المعاني النحوية
أساليبها وألفاظها عند العرب

عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي

١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م

موقع رحى الحرف

المعاني النحوية
أساليبها وألفاظها عند العرب

عبد المجيد محمد علي الغيلي

١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م

موقع رحى الحرف

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.

(ترقيم الكتاب موافق لنسخة المؤلف)

للاقتباس:

المعاني النحوية أساليبها وألفاظها عند العرب، عبد المجيد محمد علي الغيلي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، منشور على موقع المؤلف: رحى الحرف، ص

الفهرس

الفهرس ٢
مقدمة ١٠
مدخل: تصنيف المعاني النحوية ١١
الفصل الأول: الجملة الإخبارية ١٥
المبحث الأول: الإثبات ١٥
أولاً: الجملة الاسمية ١٥
ثانيا: الجملة الفعلية ١٧
ثالثا: الجملة شبه الفعلية ٢٦
المبحث الثاني: النفي ٣١
أولا: نفي الجملة الاسمية ٣١
ثانياً: نفي الجملة الفعلية وشبهها ٣٥
ثالثاً: نفي المفرد ٣٩
رابعاً: أحكام ملحقة بالنفي ٤٠
المبحث الثالث: الإخبار عن الإخبار أو غيره من الجمل ٤٣
المبحث الرابع: الدلالة على الكثرة والقلة ٤٩
أولا: الدلالة على التكثير ٤٩
ثانياً: الدلالة على التقليل ٥٥
ثالثا: ما يدل على التكثير أو التقليل معا ٥٧

الفصل الثاني: الجملة الشرطية ٦٣
المبحث الأول: دلالة الشرط ٦٥
أولاً: الشرط الإمكاني: ٦٥
ثانياً: الشرط الامتناعي ٦٩
ثالثاً: الشرط التقريري ٧٣
المبحث الثاني: تركيب جملة الشرط ٨٠
أولا: عناصر الجملة الشرطية: ٨٠
ثانيا: أحكام أخرى ٨٤
الفصل الثالث: الجملة الاستفهامية ٨٨
المبحث الأول: السؤال ٨٨
المبحث الثاني: جواب السؤال ١٠٤
الفصل الرابع: الجملة الطلبية ١٠٩
المبحث الأول: الطلب التوجيهي (الأمر والنهي) ١١٠
أولاً: الأمر ١١٠
ثانياً: النهي ١١٣
ثالثاً: التحذير ١١٥
رابعاً: الإغراء ١١٨
خامساً: الحث والتحضيض ١١٩
سادساً: العرض ١٢١
سابعاً: الإباحة ١٢٢
المبحث الثاني: التمني والترجي ١٢٤

أولاً: التمني ١٢٥
ثانياً: الترجي والتوقع ١٢٧
المبحث الثالث: الدعاء والاستغاثة ١٢٩
أولاً: الدعاء ١٢٩
ثانياً: الاستغاثة ١٣٥
الفصل الخامس: الجملة الإفصاحية ١٣٨
المبحث الأول: الجملة الإفصاحية البسيطة ١٣٩
أولاً: التعجب ١٣٩
ثانياً: المدح والذم ١٤٨
ثالثاً: التنزيه ١٥٧
رابعاً: الندبة ١٥٩
خامساً: التوبيخ والتندم ١٦٢
المبحث الثاني: الجملة الإفصاحية المركبة ١٦٤
أولا: مفهوم الجملة الإفصاحية ١٦٤
ثانيا: تركيب الجملة الإفصاحية ١٦٥
ثالثاً: أفعال الإفصاح ١٦٩
رابعا: الإفصاح عن الجملة الإخبارية ١٧٠
خامساً: الإفصاح عن بقية الجمل ١٧٧
سادساً: إثبات الجمل الإفصاحية ونفيها ١٧٨
سابعاً: طلب الإفصاح والاستفهام عنه ١٨٠
الفصل السادس: التوكيد ١٨٣
المبحث الأول: توكيد الجمل ١٨٤

أولاً: إن، إنما ١٨٥
ثانياً: اللام ١٨٨
ثالثاً: قد ١٩٢
رابعاً: القسم ١٩٣
خامساً: أدوات التنبيه الداخلة على الجمل ٢٠٠
المبحث الثاني: توكيد الألفاظ ٢٠٢
أولاً: التكرار اللفظي (التوكيد اللفظي) ٢٠٢
ثانياً: التكرار الدلالي ٢٠٥
ثالثاً: التكرار الصرفي ٢٠٩
المبحث الثالث: التوكيد بنقض الإثبات أو النفي ٢١٣
أولا: الإثبات بطريق النفي: ٢١٣
ثانيا: النفي بطريق الإثبات ٢١٦
ثالثاً: البحث البلاغي في الباب ٢١٧
المبحث الرابع: دواعي التوكيد ٢٢١
الفصل السابع: معاني البيان ٢٢٧
المبحث الأول: المبهم في اللغة ٢٢٧
المبحث الثاني: موافقة الكلام ٢٣٠
أولاً: الوصف ٢٣٠
ثانياً: توضيح المقصود بالبدل ٢٣١
ثالثاً: بيان الهيئة بالحال ٢٣٢
رابعاً: بيان الهيئة بالمصدر ٢٣٦
خامساً: إزالة الإبهام بالتمييز ٢٣٨

سادساً: رفع الإبهام عن الخبر ٢٤٢
سابعاً: الإضافة ٢٤٤
المبحث الثالث: مخالفة الكلام ٢٤٥
أولاً: الأسلوب الأول: الاستثناء ٢٤٥
ثانياً: الأسلوب الثاني: الاستدراك ٢٥٢
ثالثاً: الأسلوب الثالث: الإضراب ٢٥٩
رابعاً: الأسلوب الرابع: دفع الوهم ٢٦٤
خامساً: الأسلوب الخامس: المخالفة بين النفي والإثبات ٢٦٥
الفصل الثامن: معاني العلاقات ٢٦٦
المبحث الأول: الجمع بين الأشياء المختلفة ٢٦٧
أولاً: مطلق الجمع ٢٦٧
ثانياً: الجمع بالترتيب ٢٧١
ثالثاً: المصاحبة (المفعول معه) ٢٧٤
المبحث الثاني: الجمع بين الشيء وأجزائه ٢٧٥
المبحث الثالث: التسوية والتشبيه بين الأشياء ٢٧٨
أولا: التسوية بين الأشياء ٢٧٨
ثانياً: التشبيه بين الأشياء ٢٨٠
المبحث الرابع: التفريق بين الأشياء ٢٨٢
أولا: التقسيم والتفصيل ٢٨٢
ثانياً: أسلوب التخيير ٢٨٨
ثالثاً: أسلوب الشك ٢٩١
رابعاً: أسلوب الإبهام بين الشيئين ٢٩٢

المبحث الخامس: أساليب التعليل ٢٩٣

أولا: التعليل باللام (السبب) ٢٩٥

ثانيا: التعليل بالفاء (النتيجة) ٣٠٨

ثالثا: التعليل الخيالي ٣٢٠

الفصل التاسع: المكانية والزمانية ٣٢٢

المبحث الأول: الدلالة على المكانية ٣٢٣

أولاً: أساليب الدلالة على المكانية: ٣٢٣

ثانياً: الجهات الست النسبية ٣٢٧

ثالثاً: أشباه الجهات ٣٣٤

المبحث الثاني: الدلالة على الزمانية (متى) ٣٣٩

أولا: أساليب الدلالة على الزمانية ٣٣٩

ثانياً: معاني الظروف الزمانية ٣٤٤

ثالثاً: الربط بين أزمنة الأحداث ٣٤٧

المبحث الثالث: الدلالة على المقدارية (مكاناً وزماناً) (كم) ٣٥٢

المبحث الرابع: الابتداء والانتهاء في الغايات المكانية والزمانية ٣٥٦

أولا: ابتداء الغاية المكانية ٣٥٦

ثانيا: ابتداء الغاية الزمانية ٣٥٨

ثالثاً: انتهاء الغاية الزمانية والمكانية ٣٦٢

رابعاً: السؤال عن الابتداء والانتهاء في الغايات ٣٦٩

الفصل العاشر: ملحقات توضيحية ٣٧٠

المبحث الأول: كيفية النداء ٣٧٠

١- حروف النداء: ٣٧٠
٢- حكم المنادى: ٣٧١
٣- الموصل الندائي لنداء ما فيه (ال) ٣٧٣
٤- أسماء لا ترد إلا في النداء ٣٧٤
٥- ترخيم المنادى ٣٧٤
٦- أغراض النداء البلاغية ٣٧٥
المبحث الثاني: التفضيل ٣٧٨
أولاً: معنى التفضيل: ٣٧٨
ثانياً: أساليب التفضيل ٣٨١
ثالثاً: الاستفهام عن الأفضل ٣٨٧

مقدمة

هذا كتاب: (المعاني النحوية أساليبها وألفاظها عند العرب)، وهناك كتاب آخر سأخصه للمعاني الصرفية. وفي هذا الكتاب أدرس معاني الجمل عند العرب، وكيف يعبرون عنها، وهي دراسة للنحو مصنفة وفق المعاني لا المباني. وقد بنيتها على كتب النحاة وأمثلتهم، وأخص بالذكر كتاب (النحو الوافي)، فقد أفدت من أمثلته كثيرا.

ويتمثل جهدي الأساس في هذا الكتاب في تصنيف المعاني النحوية، ودراسة النحو وفق المعاني لا وفق المباني، وجمع الأساليب المختلفة الدالة على المعنى الواحد. وقد اقتضى ذلك تقديم طروحات جديدة في بعض القضايا، وذلك حسب ما توصلت إليه من خلال النظر في هذه المعاني وأساليبها.

ومن المقولات التي قدمتها: الحروف الموصلة (الموصل الإفصاحي، والموصل الإخباري)، والموصل الندائي، وإعادة تقسيم الجملة الشرطية؛ مما أسهم في حل كثير من المشاكل. وتحدثت عن الإفصاح عن الجمل، وقسمت الجملة الإفصاحية إلى بسيطة ومركبة، وقسمت الجملة الطلبية إلى توجيهية وحصولية... وغير ذلك من قضايا.

والمعاني النحوية هي معاني الجمل، وللجملة في اللغة العربية خمسة معانٍ: الإخبار، والاستفهام، والطلب، والشرط، والإفصاح. وهذه المعاني موضوع الكتاب. فهذا الكتاب إعادة تصنيفية لدروس النحو، وسأوضحها في المدخل.

وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا.

عبد المجيد بن محمد بن علي الغيلي

القاهرة

١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م

مدخل: تصنيف المعاني النحوية

صنفت المعاني النحوية صنفين،

الصنف الأول: المعاني المستقلة (المعاني الجملية)، وهي معاني الجمل التي يريد المتحدث إيصالها، وهذه المعاني خمسة: الإخبار، والاستفهام، والشرط، والطلب، والإفصاح. وهذه المعاني مستقلة، فلا يجتمع معنيان في جملة.

الصنف الثاني: المعاني التابعة (المعاني غير الجُمَلية)، وهي معانٍ غير مستقلة، بل يستخدمها المتكلم أثناء التعبير بالمعاني النحوية، وقد جعلتها ثلاثة أقسام: القسم الأول: معاني البيان (أي التي تبين إبهاما في الجملة، أو توضح ألفاظا فيها، وتشمل: الوصف والحال والتمييز والبدل). والقسم الثاني: معاني العلاقات (وهي التي تبين العلاقات بين الأشياء، أو بين الأشياء والأحداث، كالعطف أو التسوية أو التشبيه أو التعليل أو الإضافة). والقسم الثالث: الظرفية المكانية أو الزمانية (فتبين مكان الأشياء أو الأحداث، أو زمانها).

ومن ثم فدروس النحو تشتمل على ثلاثة أبواب:

الباب الأول: المعاني المستقلة (الجملية). [ودرستها في الفصول الستة الأولى].

الباب الثاني: المعاني التابعة (غير الجملية). [الفصول ٦ – ٩].

الباب الثالث: ملحقات توضيحية، تشمل مجموعة من الدروس، منها: كيفية صياغة التفضيل (ويتعلق بالجملة الخبرية والاستفهامية)، وكيفية النداء (ويتعلق بالجملة الطلبية وغيرها). [الفصل الأخير].

وينبغي لنا أن نفرق بين المعاني النحوية والأغراض الدلالية، فمثلا: التهكم أو الوعيد أو الترحم... هذه أغراض دلالية يبينها المتكلم بأكثر من معنى نحوي، فقد يتهكم عن طريق الإخبار، أو عن طريق الاستفهام، أو عن طريق الطلب... والأغراض الدلالية أكثر من أن تحصى.

**

المعاني المستقلة (المعاني الجملية)

يوضح الجدول التالي هذه المعاني:

الجملة			عرض الجملة	
نوع الجملة	المعنى النحوي	أقسام الجملة	غير مؤكدة	مؤكدة
الإخبارية	الإخبار	(المثبت والمنفي)	■	■
الاستفهامية	الاستفهام	التصور والتعيين	■	
الشرطية	الشرط والتعليق	(إمكاني وامتناعي وتقريري)	■	■
الطلبية	الطلب التوجيهي	طلب الفعل والترك	■	■
	الطلب الحصول	طلب الحصول على الشيء، كالترجي والتمني	■	■
إفصاحية		الإفصاحية البسيطة، والإفصاحية المركبة	■	■

يتبين من هذا الجدول أن المعاني النحوية خمسة، وكل معنى له جملة تسمى باسمه، وكل معنى إما يكون مؤكدا أو غير مؤكد (مجردا من التوكيد)، على النحو التالي:

١. الجملة الإخبارية، وهي إما تكون مثبتة أو منفية، وقد تكون اسمية أو فعلية، وقد تكون مجردة أو مؤكدة أو محتملة، فمثلا: محمد كريم (جملة خبرية مثبتة اسمية)، ونحو: إن محمدا كريم (جملة خبرية مثبتة اسمية مؤكدة)، ونحو: ظننت محمدا كريما (جملة إخبارية مثبتة اسمية محتملة). كما في الجدول التالي الذي يوضح حالات الجملة الخبرية:

		غير مؤكدة	مؤكدة	محتملة
مثبتة	اسمية	محمد كريم	إن محمدا كريم	ظننت محمدا كريما
	فعلية	جاء محمد	لقد جاء محمد	حسبت محمدا قد جاء
منفية	اسمية	ليس محمد مقصرا	إن محمدا غير مقصر	وجدت محمدا غير مقصر
	فعلية	لم يأت محمد	والله ما جاء محمد	حسبت محمدا لم يأت

٢. الجملة الاستفهامية، وهي قسمان: معينة وغير معينة، فالاستفهام عن معين نحو: هل جاء محمد؟ فأنت تستفهم عن شيء معين، ويكون جوابه: نعم، أو: لا. والاستفهام عن غير معين، نحو: من جاء؟ فالجواب: أحمد، ونحو: كم قرأت؟ فالجواب: سبعة كتب... إلخ. والجملة الاستفهامية غير مؤكدة.

٣. الجملة الشرطية، وهي قسمان: شرطية تعليقية وشرطية تقريرية، والتعليقية نوعان: شرطية إمكانية وشرطية امتناعية، فالشرطية الإمكانية نحو: إن تجتهد تنجح، فالجواب ممكن لإمكان فعل الشرط. والامتناعية نحو: لو جاء زيد لأكرمته، فامتنع الإكرام لأن زيدا لم يجئ. والتقريرية هي التي تقرر الجواب، نحو: إن زرتني فطالما أكرمتك. والجملة الشرطية قد تكون مؤكدة، نحو: والله لو جاء لأكرمته.

٤. الجملة الطلبية، وهي قسمان:

أ. الطلب التوجيهي، وهو الطلب الذي توجهه إلى الآخر، إما طلب الفعل وإما طلب الترك. (الأمر والنهي وأساليبهما)، نحو: افعل، ولا تفعل.

ب. الطلب الحصولي، وهو طلب حصول الشيء لنفسك أو لغيرك، على وجه التمني، أو الترجي، أو الاستغاثة، أو الدعاء.

والجملة الطلبية قد تكون مؤكدة، نحو: والله لتفعلنّ، وقد تكون غير مؤكدة.

٥. الجملة الإفصاحية، وهي الجمل التي تفصح عن المعاني التي في النفس، كالتعجب، أو التقييم بمدح أو ذم، أو التقييم العددي للشيء (بتكثيره أو تقليله، نحو: كم كتاباً قرأت)، أو التحسر والندبة وبيان الترحم والإشفاق. والمعاني الإفصاحية كثيرة، والحديث هنا عن المعاني التي خصص العرب لها أساليب معينة. والجملة الإفصاحية نوعان: جملة إفصاحية بسيطة (يفصح المتكلم عن نفسه)، وجملة إفصاحية مركبة (تفصح عن جملة أخرى).

**

وأما التأكيد فليس معنى نحويا مستقل، ولكن طريقة لعرض الجملة، حيث تقدم الجملة إما مؤكدة وإما غير مؤكدة.

وفيما يلي من أبواب الكتاب، سأتناول المعاني المستقلة، ثم التأكيد (باعتباره طريقة لعرض الجملة). ثم أتناول المعاني التابعة، ثم أختم بدراسة كيفية التفضيل وكيفية النداء.

الفصل الأول: الجملة الإخبارية

الجملة الإخبارية إما تكون مثبتة أو منفية، وهي التي تحتمل الصدق والكذب، فلو طابقت الواقع فهي صادقة، ولو خالفته فهي كاذبة. وسأتناول الإثبات أولا، ثم النفي ثانياً. ثم أتناول كيفية الإخبار عن الجملة الإخبارية، ثم أتناول التعبيرات المستخدمة عن الكثرة والقلة (بوصفها من الجملة الإخبارية). ويبقي مبحثان يتعلقان بالجملة الإخبارية: التأكيد والإفصاح، وسأتحدث عنهما لاحقا.

المبحث الأول: الإثبات

للإثبات أربعة طرق، إثبات الحقيقة، وإثبات الوصف، وإثبات الكينونة، وإثبات الحدث. نحو: محمد رجل (إثبات حقيقة محمد)، ونحو: محمد كريم (إثبات وصف)، ونحو: محمد في السيارة، أو: محمد فوق السطح (إثبات كينونة)، ونحو: ذهب محمد (إثبات الحدث).

ويعبر عن هذه الطرق إما بجملة دالة على الحدث، أو بجملة لا تدل على الحدث، أو جملة شبيهة بالحدث. وعلى هذا تنقسم الجملة الإخبارية ثلاثة أقسام[1]: اسمية (غير دالة على حدث) وفعلية (دالة على حدث)، وشبه فعلية، وسأتناولها من هذا المنظور.

أولاً: الجملة الاسمية

وهي جملة تتكون من عنصرين: مبتدأ وخبر، وكلاهما مرفوع، ولها – من حيث الصيغة – ثلاث صور:

الأول: اسم + اسم، وتثبت الحقيقة، نحو: محمد رجل.

الثاني: اسم + صفة، وتثبت الوصف، نحو: محمد كريم.

[1] هذا التقسيم اجتهاد من الباحث.

الثالث: اسم + جار ومجرور، أو ظرف، وتثبت الكينونة، نحو: محمد في الدار، ونحو: محمد فوق السطح[1].

وأما مجيء الخبر جملة اسمية، نحو: محمد تجارته رابحة، فإن مثل هذه الجملة تنفك إلى إحدى الصور الثلاث، فجملة: محمد تجارته رابحة، العنصر المخبر عنه: تجارة محمد (وهو المبتدأ)، وعنصر الخبر: رابحة، فهي من نمط: اسم + صفة. غير أنها مركبة، وأصلها: تجارة محمد رابحة. ونحو: اللبنُ الرطلُ بمئة ريال، فتنفك الجملة إلى: رطلُ اللبن بمئة ريال.

فالعنصر الأول هو المبتدأ، سواء ألفظا واحدا كان أم أكثر، نحو: المال زينة الدنيا، وتقول: المال والبنون زينة الدنيا. فالخبر: زينة، تخبر به عن المبتدأ، سواء المال وحده، أم المال والبنون. وسواء كان اسما صريحا أو مؤولا، نحو: أن تقتصدَ خير لك (أن تقتصد: مؤولة، والتقدير: الاقتصاد خير لك)، ومنه قوله: { وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ } (سورة البقرة ١٨٤).

ولا بد عند تحديد المبتدأ والخبر من النظر في المعنى، نحو: (المال في يدك). فهذه جملة مبتدأها: المال، وخبرها: في يدك، ولو قلت: (المال في يدك غيرُ لائق بك)، فإن المعنى يتغير، فأن تخبر عن (المال في يدك) هذه كلها مبتدأ، فلواحقها مقيدة للمعنى، والخبر (غير لائق بك).

والأصل أن يكون المبتدأ معرفة (أو شبيها بالمعرفة)؛ لأنه لا يمكن أن أخبر عن شيء مجهول، إلا إذا شبهته بالمعرفة.

**

[1] وتحديد صور الجملة الاسمية، يقوم على الصيغة، واستبعاد الرتبة، بمعنى أن تلك الصور سواء تقدم المبتدأ أم تأخر فهو مبتدأ، نحو: محمد في الدار = في الدار محمد.

ثانيا: الجملة الفعلية

١- تركيبها وصيغتها:

الجملة الفعلية هي جملة دالة على الحدث، مشتملة على فعل (أو شبيه بالفعل في دلالته على الحدث)، + فاعل. فالغرض من الجملة الفعلية إثبات الحدث. نحو: قام محمد، وللجملة الفعلية صورتان: [وتقسيم الصور بالنظر في الرتبة] [1]

الصورة الأولى: فعل + فاعل، نحو: قام محمد.

الصورة الثانية: فاعل + فعل، نحو: محمد قام.

فسواء تقدم الفعل أم تأخر فالجملة تثبت الحدث، وجمهور النحاة على أن الصورة الثانية جملة اسمية، وعدها بعضهم فعلية.

والإشكال في هذه الجملة أنها من حيث دلالتها تشبه دلالة الجملة الفعلية، أما من حيث صياغتها فتشبه الجملة الاسمية (كونها مبدوءة باسم، وتدخل عليها الأدوات التي تدخل على الاسم). فالذين نظروا إلى ناحية الصياغة قالوا إنها جملة اسمية، والذين نظروا إلى ناحية الدلالة قالوا إنها جملة فعلية. وهذا ما أقول به؛ فالجملة الفعلية هي جملة دالة على الحدث، تقدم الفعل أم تأخر. وفي إعراب نحو: (محمد قام) نقول: محمد: فاعل مرفوع، وقام: فعل ماض. (ولا داعي لتقدير استتار الفاعل في الفعل).

ومن الجملة الفعلية: محمد يأكل الطعامَ، فهذه الجملة تثبت الحدث وهو أكل الطعام لمحمد، ونحو: المؤمن يخاف الله. ونحو: المسلمون حققوا انتصارا كبيرا، ونحو: البغي يصرع أهله... إلخ.

---

[1] تحديد صور الجملة الفعلية يستند إلى أمرين: الدلالة والرتبة [أي: تقديم الفعل أو تأخيره]، والفعل يشمل: الفعل وشبيه الفعل، وبعبارة أوسع: ما يدل على الحدث.

الفعل وشبيهه:

– فعل، وهو ما يدل على الحدث، نحو: شرب، ذهب، ضرب، تعلم...

أو شبيه بالفعل في دلالته على الحدث، كاسم الفاعل: ضارب، شارب، أو اسم المفعول، فمن الأمثلة: محمد مكرمٌ زيداً (فهذه جملة فعلية، الفاعل فيها: محمد، والدال على الحدث: مكرم، والمفعول به: زيدا). ونحو: محمد حسنةٌ أخلاقُه. ونحو: الحسد قاتلٌ صاحبَه، هذا منفقٌ مالاً في وجوه البر.

وقد يكون الفعل لازما، أي: يكتفي بفاعله، نحو: نام الصبي، مات الرجلُ... إلخ.

وقد يكون الفعل متعديا، يتطلب مفعولا به، نحو: أكل محمدٌ التفاحةَ، فهنا تثبت الحدث وما وقع عليه.

وقد يتعدى الفعل لمفعولين، نحو: أعطيت محمدا كتاباً (فالحدث هو الإعطاء: وأنت الفاعل، والمفعول الأول: محمد، وهو المعطى له، والمفعول الثاني: الكتاب، وهو الشيء المعطى).

وقد يتعدى الفعل بحرف الجر، نحو: ذهب محمد إلى المدرسة، فهنا تثبت حدث الذهب إلى المدرسة، وليس مجرد الحدث[1].

**

الفاعل:

أما الفاعل فهو اسم مرفوع، وهو المتصف بالحدث، نحو: سافر أخوك، ومات الرجل، وانكسر القلمُ، وتقطعت السبلُ. ونحو: أخوك سافر، الرجل مات. فسواء تقدم الفاعل أو تأخر، فهو الفاعل.

---

[1] الحديث هنا عن متعلقات ذاتية للفعل، أما مقيدات الحدث التي تبين زمانه أو مكانه أو حاله، فسأدرسها في البيان. نحو: ذهب محمد صباحاً، أو ذهب محمد راكباً... إلى غير ذلك من المعاني التابعة. ولا يصح وصفها بالفضلة، فهي معان تابعة من حيث إنها ليست معاني جملية، ولكنها معان تقيد الجملة وتحدد المقصود منها.

ويطلق الفاعل على المتصف بالحدث، سواء أقائما بالحدث، نحو: سافر أخوك، أو متأثرا بالحدث، نحو: انكسر القلمُ، وتمزقت الورقةُ.

والفاعل لا يكون إلا اسما صريحا، نحو: جاء الرجل[1].

**

المبني لما لم يسم فاعله:

الصورة النمطية للجملة الفعلية في العربية هي: فعل وفاعل، ولكن قد لا يسمى الفاعل، فتتغير صيغة الفعل إلى (فُعِل)، فمثلاً: أكل محمدٌ التفاحةَ (جملة فعلية معلومة الفاعل)، وحين تبنيها للمجهول تقول: أُكِلَت التفاحةُ. فأصبح المفعول به نائبا مناب الفاعل، ويكون مرفوعا، وتغيرت صيغة الفعل من (أَكَلَ) إلى (أُكِل).

ونحو: عوقب المجرم، كُتِب الدرسُ، بيع الثوبُ. ونحو: سيعاقب المجرم، الآن يكتب الدرس. ونحو: الغرفة مفتوحةٌ نوافذها (أي: الغرفة فُتحت نوافذها، فمفتوحة: اسم مفعول، ونوافذها: نائب فاعل). ونحو: أخوك مُمَزَّقةٌ ثيابُه.

**

---

[1] اشتهر بين النحاة أن الفاعل قد يأتي اسما مؤولا، في نحو: يسرني أن تأكل معي، ونحو: اشتهر أن البغي مرتعه وخيم.. ورأى بعض النحاة أنه يأتي جملة، وعليه خرجوا قوله تعالى: { ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ } (سورة يوسف ٣٥).

غير أنني لا أتفق معهم في هذا الأمر، بل أقول: إن الفاعل لا يأتي إلا اسما صريحا. أما نحو: : يسرني أن تأكل معي، ونحو: اشتهر أن البغي مرتعه وخيم، وكذلك الآية. فهذه جمل إفصاحية، ذات تركيب مختلف عن الجملة الفعلية. سأتناولها مفصلة في الجمل الإفصاحية.

٢- دلالة الجملة الفعلية

للفعل ثلاثة صيغ، بغض النظر عن دلالتها، الصيغة الأولى: صيغة (فَعَل)، والصيغة الثانية: صيغة (يفعل)، والصيغة الثالثة: صيغة (افعل). ويسمي النحاة هذه الصيغ: الفعل الماضي، والفعل المضارع، والفعل الأمر. وهذا التقسيم بالنظر في صيغ الفعل، وليس في دلالاته. فالفعل الأمر جملته طلبية وليست إخبارية، بخلاف (الماضي والمضارع)، والفعل الماضي دلالته على الماضي غالبة، وأما المضارع فدلالته قد تكون للحال وقد تكون للمستقبل وقد تكون للماضي. كما سيأتي بيانه. وعليه فسأتناول فيما يلي دلالات الجملة الفعلية (الإخبارية)، وهي الدلالة على المضي، والحاضر، والمستقبل.

فالجملة الفعلية إذن يؤتى بها للدلالة على الحدث، والحدث يرتبط بزمن، إما زمن ماضٍ وقع وانتهى، وإما حال لا زال قائما، وإما مستقبل لم يقع بعد.

أ. الدلالة على الماضي:

أما الماضي فيدل على معنى في الزمن الماضي، ويدل عليه مجموعة من الصيغ:

- صيغة (فَعَل)، ويقال اختصارا: صيغة الفعل الماضي، نحو: ذهب، قام، سعى، أكل، وقد يكون رباعيا، نحو: زلزل، كلّم، والى، وقد يكون خماسيا أو سداسيا، نحو: تعلم، انطلق، استغفر... إلخ. وفي كل الأحوال يكون الماضي مبنيا، أي أن آخره يلزم حالة واحدة. وكذلك صيغة (فُعِل)، نحو: قُتِل الرجلُ، كُتبت الرسالةُ.

وقد تأتي قبل صيغة الماضي (قد)، (لقد)، أو (ربما)، أو غيرهما من موجهات الفعل، نحو: قد جلس القاضي، ربما سافر الرجل.

- صيغة (مفعول) المشتق، نحو: الغرفة مفتوحةٌ نوافذُها، والبيت مكسرةٌ أبوابه. (أي: الغرفة قد فتحت أبوابها، والبيت قد كسرت أبوابه).

– صيغة (يفعل)[1]، إذا اقترن بقرينة دالة على المضي، ومن ذلك أن يسبق بـ(إذ)، فهي دالة على المضي، كقوله: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (سورة البقرة ١٢٧)، وقوله: { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } (سورة آل عمران ٤٤).

– صيغة (كان يفعل)، وتفيد استمرار الفعل في الماضي، نحو: كان محمد يمشي في الحديقة، فالفعل (يمشي) يدل على الماضي، وأنت تصف أحداثا ماضية استمرت مدة من الزمن. ومنه قوله تعالى: { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (سورة التوبة ٦٥)، وقوله: { وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} (سورة المدثر ٤٥ – ٤٦). ويلحق بهذه الصيغة أخوات (كان)، نحو: أصبح يفعل، وأمسى يفعل...إلخ. وقد تسبقها (قد) للتوكيد، كقوله: { وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ } (سورة القلم ٤٣).

وكذلك صيغة (كان فعل)، كقوله: { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ } (سورة القمر ١٤)، وتدخل عليها (قد) عادة، كقوله: { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ } (سورة الأحزاب ١٥).

– مجيء الفعل المضارع في سياق الماضي،

فقد يأتي لوصف حالٍ وقع في الماضي، نحو: جاء محمد يبتسم (فالحديث هنا في سياق الماضي)، ومنه قوله تعالى: { وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} (سورة يوسف ١٦). ونحو: ذهبت إلى المدينة أتجول في شوارعها، وأزور متاحفها. وكقوله: {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} (سورة الأعراف ١٤١)[2].

---

[1] وهذا في الإثبات، أما في النفي فسيأتي بيانه.

[2] ومن ذلك مجيء المضارع بعد (حتى) في سياق الماضي، نحو: انهمر المطر حتى ترجف منه أعضائي. وعلامته: صحة وضع الفعل الماضي موضع المضارع، فتقول: (حتى رجفت)، وفي هذه الحالة يجوز نصب المضارع (ترجف)، باعتبار أن (حتى) ناصبة غائية (بمعنى: إلى أن)، ويجوز رفعه، باعتبار أن السياق يتحدث عن الحال، فكأنه يستحضر الماضي. وعليه قرئ قوله: { وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ } (سورة البقرة ٢١٤)، فقرئ (يقول) بالرفع

وقد يأتي لتعليل حدث في الماضي، نحو: ذهبت إلى المدرسة لأقابل المدير، وقد كانت مقابلة طيبة. أو: لكي أقابل... ونحو: درس زيدٌ العروض لينظمَ الشعر..

أو مجيء المضارع بعد (ربما)، نحو: ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال، وقوله: { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } (سورة الحجر ٢)، أي: ربما كرهت، وربما ودوا.

ب. الدلالة على الحاضر:

وأما الدلالة على الحاضر والمستقبل، فيكون بالفعل المضارع، والمضارع يصاغ بزيادة حرف من حروف (أ ن ي ت) على الفعل الماضي، للدلالة على شخص الفاعل، فتقول: أذهب (للمتكلم المفرد)، ونذهب (للمتكلم الجمع)، وتذهب (للمخاطب المفرد)، ويذهب (للغائب المفرد)... إلخ. وتميز العرب بين الدلالة على الحاضر والدلالة على المستقبل غالبا بالسياق، ولذلك قد تستخدم صيغة الماضي للدلالة على المستقبل، وقد تستخدم صيغة المضارع للدلالة على الماضي. فالشيء المتغير هنا هو الصيغة، والشيء الثابت هو الدلالة.

ويأتي الفعل المضارع للدلالة على الحاضر، مع قرينة دالة على الحاضر، نحو: الآن، في هذه اللحظة، أرى، أشاهد، ... إلخ. نحو: أشاهد القمر يظهر ويختفي.

وإذا جاءت صيغة المضارع مع لام الابتداء، نحو: إن العصفور لَيغرد. (أي: يغرد الآن في وقت هذا الكلام)، ونحو: إن الحرب لَتشتعلُ. وقد تدل هذه الصيغة على المستقبل إذا وجدت قرينة، كقوله تعالى: { وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (سورة النحل ١٢٤). وقد تدل على مطلق الزمن بالقرينة أيضاً، نحو: إن الكريم ليخفي عنك عسرته (فهو يتحدث عن أمر لا علاقة له بالزمن).

والنصب. والمعنى في حال النصب: وزلزلوا إلى أن قال ... والمعنى في حال الرفع: وزلزلوا زلزالا شديدا، حتى أصبح الحال أن الرسول والمؤمنوين يقولون متى نصر الله.

– وكذلك قد يدل على الحاضر بصيغة (الماضي)، كما في ألفاظ العقود ونحوها، نحو: بعتك، واشتريت منك، وتنازلت لك...

ومن الدلالة على الحاضر مجيء المضارع بعد فعل من أفعال الشروع، نحو: كاد الماء يغلي. (وسأتناولها لاحقا).

ج. الدلالة على المستقبل

ويكون الفعل المضارع دالا على الاستقبال، بدخول إحدى قرائن المستقبل، سواء لفظية كانت، ومنها:

(السين أو سوف)، نحو: سأجتهد، سوف أذهب إلى الملعب، وكقوله تعالى: {وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ}[الرعد٤٢]، وقوله: {أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ}[التوبة٧١]. وإذا اقترنت اللام بـ(سوف) فإنها تؤكدها، ويكون ذلك في جواب القسم، كقوله: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}[الضحى٥].

ومنها: (قد)، نحو: قد أذهب معكم. أو باستخدام الظروف الدالة على المستقبل، نحو: يصل القطار بعد ساعة، يكرم المدير الفائزين آخر العام، غداً نلتقي، يرن الجرس قريباً... إلخ. أو القرائن المعنوية، فيكون سياق الكلام دالا على المستقبل[1].

ويدل على المستقبل إذا صحب أكثر من مؤكد، نحو: لأتعلمنّ العلم. ومنه قوله تعالى: {وَتَاللهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ } (سورة الأنبياء ٥٧). وكذلك في الوعد والوعيد، كقوله: {فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } (سورة الشعراء ٤٩).

---

[1] هذا وإذا كانت الجملة شرطية، أو طلبية، فإنها تدل على المستقبل، سواء كانت صيغة الماضي أو المضارع، نحو: إن تقم أقم، وكقوله: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } (سورة البقرة ٢٣٣)، أي: ليرضعن. وكذلك في الجملة الطلبية الحصولية (كالترجي)، ومنه قوله تعالى: { لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } (سورة غافر ٣٦)، وكذلك عامة الأفعال بعد (لعل)، كقوله: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (سورة البقرة ٢١).

وقد تدل صيغة الماضي على الاستقبال، وذلك خاصة في القرآن الكريم، حين يتحدث عن أمور سوف تقع، كقوله: { أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } (سورة النحل ١)، وقوله: { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ } (سورة الكوثر ١).

**

– صيغة اسم الفاعل، الدالة على المستقبل، نحو: إني مسافر، وكقوله تعالى: { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ } (سورة الصافات ٩٩)، وقوله: { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ } (سورة الواقعة ٥١ – ٥٤): آكلون، شاربون.. أسماء فاعلين دالة على المستقبل. ومنه: { وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } (سورة البقرة ٧٢)، وقوله: { قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ } (سورة التوبة ٦٤)، وقوله: { إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ } (سورة العنْكبوت ٣٣) ، وقوله: { وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (سورة الصف ٨). وقول الأعشى: كناطحٍ صخرةً يوما ليوهنها. وقوله تعالى: { اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا } (سورة الأَعراف ١٦٤)، وقوله: { قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ } (سورة العنْكبوت ٣١)، وقوله: { إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (سورة القصص ٧).

**

د. الدلالة على مطلق الزمن (التجرد من الزمن)

حيث يتجرد الفعل من دلالته على الزمنية، فيدل على اتصاف الفاعل بالحدث، ويدل دلالة مطلقة مجردة من الزمنية، إذا كان الحديث عن حقائق ثابتة، أو عادة مستمرة، نحو: الشمس تشرق من المشرق، فهو يدل على حقائق ثابتة، لا علاقة لها بماضٍ أو حال أو مستقبل. ونحو: أستيقظ صباحاً كل يوم. فهذه عادة مستمرة.

ومن ذلك المجيء بالمضارع في وصف الله سبحانه وتعالى، كقوله: { وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ } (سورة الحجر ٢٣)، فهو فعل دائم لله سبحانه وتعالى، غير مرتبط بزمن.

وكذلك مجيء الفعل بعد (قلما)، نحو: قلما يجودُ البخيل. أو (كثر ما)، نحو: كثر ما يبذلُ الكريم.

– وقد تدل القرائن المصاحبة على تجريد الفعل من الزمن، نحو سياق الافتخار، كأن يقول: قد أواجه الأسد (فالمتحدث لا يريد التحدث عن زمن ماض أو حال أو مستقبل، وإنما يريد أن يفتخر باتصافه بهذه الصفة)، ومنه قول الشاعر:

قد أَتْرُكُ القِرن مُصْفَرًّا أَنامِلُه كَأَنَّ أَثوابَهُ مُجَّت بِفِرصادِ

فالشاعر يتحدث عن أمرٍ مضى، ولكن افتخاره به، دل على أن هذا الأمر من شأنه، فهو يقول: هذا من شأني. ومن ذلك قول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثمت قلت لا يعنينى

أي: هذا من شأني.

**

وكذلك قد يعبر عنه بالمصدر المؤول المخبر عنه، نحو: أن تبر بوالديك خيرٌ لك (أي: برك بوالديك)، فدل الفعل المضارع مع أن على المصدرية مجردة من الزمن.

**

ومنه المجيء بالمصدر وإعماله عمل الفعل، فينصب مفعوله، كقوله: { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ } (سورة البلد ١٤ – ١٥)، أي: أو تطعم يتيما، فتجرد المصدر عن دلالة الزمنية. ونحو: إكرامُك الضيفَ من أخلاق الإسلام.

ثالثا: الجملة شبه الفعلية

الجملة الفعلية خالصة للحدث، والجملة الاسمية مجردة من الحدث، أما الجملة شبه الفعلية فتختلف عنهما، فهي جملة مشوبة بالحدث، وليست خالصة له. وسميتها شبه فعلية؛ لأنها تكون مبدوءة بفعل. ويتناول النحاة في هذا القسم مباحث مختلفة، ومن ذلك: (كان وأخواتها، وأفعال المقاربة والشروع والرجاء، وأفعال القلوب والتحويل)، ويسميها النحاة أفعالا ناقصة.

وكل هذه تعد جملها شبه فعلية، وتأتي للمعاني التالية[1]:

١- تزمين الإخبار

الجملة الاسمية كما قلت تخلو من الحدث، ومن ثم فلا تدل على زمن، نحو: محمد نشيط. فإذا أريد تزمينها فإنه يدخل عليها أحد الأفعال الناقصة: (كان، أصبح، أمسى، بات، أضحى، غدا، راح، أسحر)، نحو: كان محمد نشيطاً (فيبين أن الإخبار بهذه الصفة مقيد بالزمن الماضي)[2]، ونحو: أصبح محمد نشيطاً، وبات محمد نشيطاً، وأمسى محمد نشيطاً، وأضحى محمد نشيطاً، فكل هذه تفيد تزمين الجملة الاسمية، بوقت مخصوص.

---

[1] ذكر السيوطي في همع الهوامع: أن النحاة يقولون في إعراب خبر كان: خبر كان، وأما المبرد فأعربه: مفعول، وأما سيبويه فقال: اسم مفعول. وشبه الفراء الخبر بالحال، وقال (كان زيد ضاحكا) يشبه: (جاء زيد ضاحكا)، وأعربه الكوفيون حالا. وأتابع الكوفيين في إعراب خبر كان حالا. فكان محمد مجتهدا، نعربها: كان فعل ماض، ومحمد: اسم مرفوع، ومجتهدا: حال منصوب. فالجملة في جواب: كيف كان محمد؟ فتقول: كان مجتهدا؟ وكذلك: صار محمد كسولا. فهذا قياس على نحو: أقبل محمد ضاحكا، (تشبه: صار محمد ضاحكا، أو: كان محمد ضاحكا).

أما (كاد وأخواتها من أفعال المقاربة والشروع والرجاء)، نحو: كاد العملُ ينتهي، فـ: كاد فعل ماض، والعمل: فاعل، وينتهي: فعل مضارع (وفاعله العمل).

وبهذا يتبين أنه يجوز أن يقع على الفاعل الواحد فعلان إذا اختلفا، فيكون أحدهما شبيها بالفعل (ماضيا أو مضارعا)، والآخر فعلا مضارعا.

[2] قد تأتي صيغة (كان) للدلالة على مجرد وصف الاسم بخبره، دون الدلالة على تقييد الزمن، كقوله: { وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } (سورة النساء ١٧ – ١٧٠)، فالمعنى: أن الله متصف بهذه الصفة، اتصاف دوام وبقاء.

وتقول: سيكون محمد مجتهدا، (أي سيتصف بهذه الصفة مستقبلا)، وقوله: { كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } (سورة مريم ٨٢).

وكذلك الجملة الفعلية فإن الدلالة على الحدث فيها لا ترتبط بزمن مخصوص، نحو: محمد يمشي (فهنا تثبت الحدث، وهو المشي لمحمد) إثباتا مطلقا، فلو أردت تزمينه فإنك تأتي بأحد هذه الأفعال، فتقول: كان محمد يمشي، أصبح محمد يمشي، بات محمد يمشي... إلخ.

٢- الدلالة على امتداد زمن الخبر

يدل على امتداد زمن الخبر: ظل. نحو: ظل محمد نشيطا، أي: أنه كان نشيطا وامتد زمن نشاطه لمدة معينة، ولذلك يصح أن تقول: ظل محمد نشيطا لمدة خمس سنوات. ونحو: ظل محمد يمشي خمسَ ساعات، فالمعنى أنه كان يمشي وامتد مشيه طوال تلك المدة.

٣- الدلالة على استمرارية الإخبار

يدل على استمرارية تزمين الحدث في الإخبار مجموعة من الأفعال، وهي: ما زال، وما انفك، وما برح، وما فتئ، وراح.

نحو: لا زال محمد نشيطا، (أي: استمر محمد في نشاطه، فهو كان نشيطا، ولا زال مستمرا في نشاطه)، ونحو: لا يزال المطر منهمرا. ومنه قوله تعالى: { قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى } (سورة طه ٩١)، فهم يقولون أنهم مستمرون في العكوف على عبادة العجل. وقوله: { وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ } (سورة الحج ٥٥).

٤- الدلالة على الاستمرارية المقيدة للمعنى

(ما دام)، نحو: يفيد الأكل ما دام المرءُ جائعاً. فهي تفيد استمرار (فائدة الأكل) مقيدة بمدة ثبوت الجوع. ولذلك يمكنك أن تضيف: فإنْ شبع لم يفد الأكل. فتنفي ما قبلها إذا تحقق ما بعدها. قال تعالى: { قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا } (سورة المائدة ٢٤)، فنفي قوم موسى لدخولهم المدينة مقيد بمدة دوام الجبارين فيها، فإن خرجوا منها دخلوها.

٥- الصيرورة:

نحو: صار الماءُ ثلجاً، فـ(صار) فعل يشبه الفعل المتعدي لمفعول واحد، وتجعله يتعدى لمفعولين إذا أدخلت الفاعل على الفعل، تقول: صيّر محمد الماءَ ثلجاً، فهي جملة فعلية تعدى الفعل فيها إلى مفعولين، في جواب: ماذا صير محمدٌ الماءَ؟ فالجواب: صيره ثلجا.

ونحو: صار محمد رجلا، فهنا تبين انتقال محمد من حال إلى حال (من طور الطفولة مثلا إلى طور الرجولة). وهناك أفعال كثيرة بمعنى صار، منها: عاد، رجع، استحال، تحول، ارتد.

وهناك أفعال أخرى للتحويل تفيد ما تفيده (صيّر)، ومنها: ردَّ، ترك، تَخِذَ، اتخذ، جعل، وهب، حوّل، نحو: ردّ الحزنُ وجهَك كئيباً، وجعل الصائغُ الذهبَ سبيكةً (أي: صيرها)، ومنه قوله تعالى: { وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ } (سورة الكهف ٩٩)، أي: صيرنا بعضهم يموج في بعض، وكقوله: { فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ } (سورة البقرة ٦٦)، أي: صيرناها كذلك. وقوله: { وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا } (سورة الإسراء ٨).

٦- البدء في الحدث، والشروع فيه:

وهي الأفعال التي بمعنى: شرع في الشيء، أي: بدأ فيه، وأفعال الشروع: شرع، أَنشأَ، طفق، قام، هبَّ، جعل، علِق، أَخذ، بدأَ، انبرى إلخ. مثل: طفق الزارعُ يحصد، انبرى المتسابقون يعْدون، ونحو: شرع الطالبُ يذاكر دروسه.

٧- أفعال المقاربة:

أفعال المقاربة تستخدم لبيان أن زمن الخبر قارب وقوعه، ولكنه لم يقع، فهو ينفي وقوع الخبر بطريق إثباته.

ويستخدم لذلك الفعل (كاد) و(كرب)، و(أوشك)[1]، وتسمى: أفعال المقاربة.

فنحو: السماء تمطر، معناها أن السماء تمطر الآن، أما لو قلت: تكاد السماءُ تمطر، فالمعنى: أنها لم تمطر بعد، ولكنها قاربت ذلك. (وقد تمطر وقد لا تمطر).

وكقوله: { يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ } (سورة البقرة ٢٠)، فهو قارب من ذلك ولكنه لم يخطفها، وقال: { وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي } (سورة الأعراف ١٥٠)، فلم يقتلوه.

ونحو: أوشك الصبحُ أنْ ينبلج، وكرَب الليلُ ينقضي. ونحو: أوشكت أن أنتهي من العمل.

فإذا جاء الفعل ماضيا، فإنه يدل على أنه كاد يتحقق الفعل، ولكنه لم يتحقق، نحو: كاد الماء يغلي. (أي: كان قد اقترب من الغليان اقترابا كبيرا، ولكنه لم يغل بالفعل)، ونحو: كاد القطار يتأخر (أي: اقترب من زمن التأخر، ولكنه لم يتأخر بل أتى في موعده). فـ(كاد) في الماضي دالة على النفي لا الإثبات.

وإذا جاء الفعل مضارعا، دل على اقتراب الأمر في الحاضر، نحو: يكاد الماء يغلي، (أي: اقترب من الغليان، وسيغلي عما قريب، فأنت بانتظاره).

**

وعند نفي هذه الأفعال، فإنك تنفي هذه المقاربة، وبلفظ آخر: أنت تنفي النفي، فيتحقق الإثبات.

---

[1] ومن الألفاظ الإفصاحية الدالة على المقاربة أيضاً: (كأنّ)، فقد يؤتى بها للدلالة على قرب تحقق الخبر، وفي هذه الحالة يؤتى بضمير ويكون اسمها ويجر المبتدأ الأصلي بالباء. فنحو: الفرج آت- تقول: كأنك بالفرج آت. (بمعنى: كاد الفرج يأتي). ونحو: إخوتي قادمون. تقول: كأني بإخوتي قادمون. ونحو: الدنيا تخدع طالبيها. كأنك بالدنيا تخدع طالبيها.

نحو: ما كاد الماء يغلي، فأنت هنا تنفي المقاربة، فلو قلت: كاد الماءُ يغلي (معناه: قارب الوقوع ولكنه لم يغل الماء)، ونفيه: ما كاد الماءُ يغلي (معناه: أنه غلى بعد أن تعذرت مقاربة الوقوع). قال تعالى: { قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } (سورة البقرة ٧١)، فهم فعلوا بعد أن اقترب الفعل من التعذر. وقوله: { فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } (سورة النساء ٧٨)، فهم فقهوا بعد تعذر وصعوبة. وقوله: { يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ } (سورة إبراهيم ١٧)، فهو استساغه وتجرعه. وقوله: { وَلَا يَكَادُ يُبِينُ } (سورة الزخرف ٥٢)، فهو أبان بعد تعذر. وقوله: { إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا } (سورة النور ٤٠)، فهو رآها بعد صعوبة وتعذر.

**

ولذلك يصح أن تثبت بعد النفي، وتنفي بعد الإثبات، فتقول: كاد الماء يغلي، ولكنه لم يغل. وتقول: لم يكد الماء يغلي ولكنه غلى.

ويمكنك أن تقول:

أوشك العمل أن ينتهي (= لم ينته العمل).

لم يكد العمل ينتهي (= انتهى العمل بصعوبة).

**

المبحث الثاني: النفي

النفي عكس الإثبات، وذلك بالإخبار عن عدم وجود الشيء، أو عدم اتصافه بصفة ما، أو عدم حدوثه...

وقد يستخدم في النفي ألفاظ النفي، نحو: أنفي حدوث هذا الأمر، ونحو: أنفي أن يكون محمد في الدار. وفي اللغة العربية مجموعة من الأساليب الدالة على النفي، سأتناولها في هذا الفصل.

أولا: نفي الجملة الاسمية

هناك مجموعة من الأساليب لنفي الجملة الاسمية، منها:

١- ليس:

(ليس) لنفي ثبوت الخبر عن الاسم، نحو: ليس محمد نشيطا، ليس محمد صديقي، ليس محمد في الدار، وفي الحديث: (ليس الشديد بالصرعة)[1]، وقوله: { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ } (سورة الأَعراف ٦١). وقد تتأخر (ليس) عن الاسم، نحو: محمد ليس نشيطا.

ويجوز مجيء الخبر المنفي مجرورا بالباء الزائدة، فتقول: ليس محمد بنشيط، ومنه قوله: {وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (سورة الأَنْفال ٥١). وهي تدخل على المعرفة غالباً، (أو النكرة المؤولة بمعرفة، نحو: ليس به بأس، أي: البأس الذي في ذهن المخاطب، وكالآية: ليس بي ضلالة، فهو يخاطب قومه أنه بريء من الضلالة التي يرمونه بها).

---

[1] (ليس) يعربها النحاة فعلا ناقصا ناسخا، والاسم بعدها مرفوع، ثم الخبر منصوب. ويمكن – من وجهة نظري – أن نقول في نحو (ليس محمد نشيطا)، ليس: شبيهة بالفعل، ومحمد: اسم مرفوع، ونشيطا: حال منصوب. وكذلك المشبهات بـ(ليس)، وفي هذه الحالة فإن (ليس) لنفي اتصاف محمد بالنشاط.، وهو في جواب: كيف محمد؟

٢- ما:

تنفي الجملة الاسمية، ويجوز أن تعمل عمل ليس، أو تكون مهملة، نحو: ما نحن مخطئين، أو: ما نحن مخطئون. (نحن: مبتدأ، ومخطئون: خبر ما مرفوع أو منصوب)، ونحو: ما في البيت أحدٌ. وتنفي المعارف والنكرات، نحو: ما محمدٌ كاذباً، ونحو: ما كتابٌ في الحقيبة.

ومن عملها قوله: { وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا } (سورة يوسف ٣١)، وقوله: { مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ } (سورة المجادلة ٢)، وقول الشاعر:

وما الحسْنُ فى وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكنْ فى فعلِه والخلائق

وقول الآخر:

ما الراحمُ القلبِ ظلاماً وإنْ ظُلما ولا الكريمُ بمنّاع وإنْ حُرما

وقد يدخل في خبرها حرف الجر الباء، كقوله: { وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (سورة البقرة ٧٤ – ١٤٩).

٣- إنْ:

وهي مثل (ما)، نحو: إنْ أخوك مسافراً، ويجوز: إن أخوك مسافرٌ. فهنا تنفي سفره. ويكثر وروده في القرآن الكريم منتقضا بـ(إلا)؛ لإفادة الإثبات عن طريق النفي، كقوله: { فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ } (سورة المائدة ١١٠)، وقوله: { وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } (سورة يوسف ٣١)، وقوله: { إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } (سورة الشورى ٤٨).

٤- لا:

و(لا) إما تنفي نكرة، أو معرفة.

أولا: (لا) النافية للنكرة لها حالتان،

الحالة الأولى: (لا) الاحتمالية، نحو: لا مصباحٌ مضيئاً (أو: لا مصباحٌ مضيئٌ)، فالنفي هنا يحتمل أمرين، الأمر الأول: نفي الواحد (بمعنى لا يوجد مصباح واحد مضيئ، بل هناك أكثر من مصباح، فيصح أن تقول: لا مصباحٌ مضيئا بل مصباحان، ويصح أن تقول: لا مصباح واحد مضيئاً)، والأمر الثاني: نفي الجنس (بمعنى: لا يوجد أي مصباح مضيئ). [ولا الاحتمالية تشبه ما في عملها، فيجوز في الخبر الرفع والنصب، أما اسمها فمرفوع].

ومن أمثلتها: لا أحدٌ خالداً في الدنيا. (أو: خالدٌ)، وهذه لا تحتمل إلا الاحتمال الثاني، وهذا ليس عائدا إلى التركيب، بل عائد إلى إخبار القرآن الكريم.

الحالة الثانية: (لا) النافية للجنس، نحو: لا مصباحَ مضيئ (الاسم مبني على الفتح، والخبر مرفوع، فتشبه عمل إنّ). ودلالة هذه نفي الجنس نفياً صريحاً، فالمعنى: ليس هناك أي مصباح مضيء. ولهذا لا يصح أن تقول: (لا مصباحَ واحدا مضيئ)؛ لتناقض الدلالة.

ومن أمثلتها: لا راحةَ لحسود، ولا مروءةَ لكذوب. ونحو: لا قوةَ فوق الحق، ولا أمانَ مع الطغيان. وكقوله: { وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ } (سورة يس ٤٣)، وقوله: { لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ } (سورة هود ٤٣).

وإذا تعدد الاسم فتكرر (لا)، نحو: لا راحةَ ولا أمانَ للظالم، ونحو: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله. ونحو: لا نهرَ في الصحراء ولا بحرَ.

وقد يحذف خبر (لا)، إذا كان معلوما من السياق، نحو: لا ضررَ ولا ضرارَ. (أي: لا ضرر ولا ضرار في الأمر)، ونحو: لا إلهَ إلا الله (أي: لا إلهَ موجودٌ إلا اللهُ)، وكقوله: { قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } (سورة الشعراء ٥٠)، أي: لا ضير علينا.

وقد تدخل على المعرفة مقصودة بها التنكير، كما في الحديث: (إذا هلك كِسْرِى فلا كسرَى بعده، وإذا هَلَك قَيْصَرُ فلا قيصرَ بعده)، فالمعنى: لا ملك يشبه كسرى أو قيصر بعدهما.

وقد تكون (لا) النافية للجنس مهملة، كما إذا فصل بينها وبين اسمها فاصل، وفي هذه الحالة يجب تكرارها، كقوله: { لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ } (سورة الصافات ٤٧)، ففصل بـ(فيها) بين لا واسمها (غول)، ونحو: لا في النبوغ حَظٌ لكسلان، ولا نصيبٌ، ونحو: لا لهازلِ هيبةٌ ولا توقير.

ثانياً: (لا) النافية للمعرفة، ولا بد أن تكون مكررة، نحو: لا الدارُ داري ولا أهلها أهلي، ونحو: لا البخلُ محمودٌ، ولا الإسرافُ مقبولٌ، ونحو: لا زيدٌ في الدار ولا عمروٌ، وكقوله: { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } (سورة يس ٤٠)، وقوله تعالى: { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } (سورة الكافرون ٤ – ٥)، وكقول الشاعر:

لا القومُ قومى، ولا الأعْوان أعْوانى إذا وَنا يوم تحصيل العُلا وانِى

**

٥- لات:

ويكون خبرها لفظ زمان (حين، وقت، أوان..)، واسمها يكون محذوفاً، نحو: ندم البغاة ولات ساعةَ مندم (أي: ولات الوقتُ ساعةَ مندم). ونحو: تسرعت في الإجابة ولات حينَ تسرع، وكقوله: { فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ } (سورة ص ٣). ونحو: طلبوا صلحنا ولاتَ أوانٍ. (أي: ولات الأوانُ أوانَ الصلح).

**

ثانياً: نفي الجملة الفعلية وشبهها

هناك مجموعة من الأساليب لنفي الجملة الفعلية وشبهها، سأتناولها بحسب المعاني التي تنفيها، وليس بحسب صيغ الأفعال.

١- نفي الماضي:

(ما): ويليها صيغة الفعل الماضي، نحو: ما جاء محمد، ما كان محمد نشيطا، قال تعالى: { فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ } (سورة الذاريات ٤٥)، وقال: { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (سورة آل عمران ٦٧ – ٩٥)، وقال: { مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ } (سورة المؤمنون ٩١)، وقوله: { مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ } (سورة النمل ٣٢). وكقوله: { مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى } (سورة الضحى ٣). أو صيغة (كان يفعل)، نحو: ما كان محمد يلعب. فأنت تنفي عنه اللعب، ويمكنك أن تثبت له فعلا آخر، فتقول: ما كان محمد يلعب، بل كان يقرأ.

(لا) إذا وليها فعل ماض، على أن تكرر لا مع فعلين، نحو: لا قام زيد ولا قعد، قال تعالى: { فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى } (سورة القيامة ٣١)، وفي الحديث: (إن المنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى). وقولهم: والله لا حاق الشر إلا بأهله، ولا لصق العار إلا بكاسبه.

(لم)، ويليها فعل مضارع مجزوم، نحو: لم يستيقظْ عليٌ. لم يكنْ محمد نشيطا، ومنه قوله: { وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ } (سورة البقرة ٢٤٧)، وقوله: { أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ } (سورة هود ٢٠). وقوله: { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } (سورة مريم ٢٠). وقوله: { لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ } (سورة الأَنعام ١٥٨). (نفي لـ: كان آمن)

(لمّا): ويليها فعل مضارع مجزوم، ويمتد زمن النفي بها من الماضي إلى وقت التكلم، نحو: لمّا يأتِ محمد. (تقولها وأنت منتظر مجيئه، ولكنه لم يأت حتى الآن، فقد يأتي وقد لا يأتي)، ومنه قوله تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ } (سورة البقرة ٢١٤)، وقوله: { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } (سورة يونس

٣٩)، وقوله: { بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ } (سورة ص ٨)، أي: لم يذوقوه وسيذوقونه. وقوله: { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } (سورة الجمعة ٣).

٢- نفي الحاضر:

(ما): ويليها فعل مضارع، نحو: ما أجد أحداً، ونحو: ما يتكلم فلان. وقوله: { وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } (سورة الليل ١١). وقد يليها فعل ماض، نحو: ما انتهيت من درسي حتى الآن. فهنا تنفي الحاضر، حيث دل الفعل على وقوع الحدث في الزمن الماضي متصلا بالزمن الحاضر.

(لا): ويليها فعل مضارع، ويكون مرفوعا، مع دلالته على الحاضر، كأن يسألك شخص: هل تعمل؟ فتجيب: أنا لا أعمل. فأنت تقصد: لا أعمل الآن، ولا تقصد أنك لا تعمل مطلقاً. ومنه قوله تعالى: { لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ } (سورة الأَنعام ٥٠).

(ليس)، نحو: لستُ أصنعُ هذا الأمر.

٣- نفي الاستقبال:

(لن)، نحو: لن أخونَ الأمانة. (أي في المستقبل، ويليها الفعل المضارع منصوباً)، ومنه قوله: { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا } (سورة الإسراء ٩٠)، وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ } (سورة الحج ٧٣).

٤- النفي المطلق:

(لا): إذا وليها فعل مضارع، ويكون مرفوعا، ودلالتها الأصلية هي النفي المطلق (إلا إذا دلت قرينة على دلالة الحاضر)، نحو: أنا لا أشاهد التلفاز. فهو يدل على النفي المطلق دون تقييده بزمن ماض أو حال أو مستقبل، وفي الحديث: (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة). وقال تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } (سورة الفرقان ٥٨)، وقوله: { لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً } (سورة الغاشية ١١)، وقوله: { إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } (سورة النمل ٨٠)، وقوله: { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } (سورة البقرة ١٢)، وقوله: { وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ } (سورة البقرة ٢٠٥).

(نفي الكون: ما كان، لم يكن):

نفي الكون له حالتان،

الحالة الأولى: الدلالة على نفي المضي، دون تقييد خبر كالأمثلة السابقة، نحو: ما كان محمد كريما، لم يكن الطالب مجتهدا.

الحالة الثانية: النفي المطلق، وله صيغتان:

الأولى: أن يكون الخبر فعلا مضارعا منصوباً مسبوقا بـ(لام الجحود)، نحو: ما كان المؤمن ليقبلَ الضيم، لم يكن المؤمن ليقبلَ الضيم (فأنت هنا تنفي نفيا قاطعا حدوث الرضا بالضيم من المؤمن، في جميع حالاته)، فالنفي هنا نفي مطلق، ويحمل دلالة التنزيه، فأنت تنزه المؤمن عن هذا الفعل (بمعنى: ما ينبغي له قبول الضيم). وقد سمي هذا الأسلوب بلام الجحود؛ لأن النفي فيه جحود تام للخبر، وإنكار له إنكارا قاطعا، وتنزيها للاسم عن الاتصاف به. ومنه قوله: { وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ } (سورة الأَنْفال ٣٣)، وكقوله: { فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ } (سورة التوبة ٧٠)، وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا } (سورة النساء ١٣٧)، وقوله: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } (سورة هود ١١٧).

ويلحق بها أن يؤتى باسم افاعل محل الفعل، فتقول: ما كان محمد لاهيا، ومنه قوله: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا } (سورة القصص ٥٩).

الصيغة الثانية: أن يكون الاسم نكرة مجرورة باللام، والخبر فعل مضارع منصوب بعد (أن)، فتقول في المثال السابق: ما كان لمؤمنٍ أن يقبل الضيم. فيفيد ما أفادته الصيغة الأولى، من النفي والتنزيه معاً. ومن أمثلته: { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ } (سورة آل عمران ١٦١)، وقوله: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً } (سورة النساء ٩٢)، وقوله: { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ } (سورة التوبة ١٧)، وقوله: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } (سورة الأحزاب ٣٦)، وقوله: { مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ } (سورة يوسف ٣٨)، وقوله: { مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ } (سورة مريم ٣٥). وأيضا بعد (يكون)، كقوله: { فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا } (سورة الأعراف ١٣)، وقوله: { مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا } (سورة النور ١٦)، وقوله: { سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ } (سورة المائدة ١١٦).

**

ثالثاً: نفي المفرد

ويتصل بالحديث عن النفي: نفي المفرد، وهو نفي لا ينفي الجملة كاملة، ولكنه ينفي خبرها، أو أحد متعلقاتها، ويستخدم له أداتان:

(غير) التي بمعنى (ليس) أو (لا)، وتضاف إلى ما بعدها، نحو: محمد غيرُ نشيطٍ. ومنه قوله: { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} (سورة الأَنعام ١٤١) (أي: جنات معروشات وأخرى ليست معروشات)، وقوله: { وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } (سورة هود ٧٦). وأما التي بمعنى (لا) فنحو: ربي ينفق بغير حساب، (فالتقدير: ينفق إنفاقا بلا حساب)، ومنه قوله: { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } (سورة الأَنعام ١١٩)، أي: بلا علم، وكقوله: { قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ } (سورة الكهف ٧٤). (وقد تأتي غير بمعنى: سوى، فتكون استثنائية).

(لا)، كقوله: { إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ } (سورة البقرة ٦٨)، ونحو: قرأت كتابا لا مجلة، ونحو: ينتصر الشجاعُ لا الجبانُ. وسأدرسها لاحقا.

وقد اجتمعا في قوله تعالى: { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } (سورة الفاتحة ٧)، فـ(غير) و(لا) كلاهما نافيتان للمفرد، ولهذا تعطف إحداهما على الأخرى. وكقوله: { فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ } (سورة النحل ١١٥)

**

رابعاً: أحكام ملحقة بالنفي

* طرق أخرى للنفي:

هناك طرق أخرى للنفي والإثبات، ومنها: الإثبات بطريق النفي، والنفي بطريق الإثبات.

فالإثبات بطريق النفي، نحو: ما جاء إلا محمد، فالمعنى: جاء محمد وحده ولم يجئ أحد غيره.

والنفي بطريق الإثبات، نحو: كاد الماء يغلي، فهو قارب الغليان، ولكنه لم يغلِ. وقد تناولت (كاد) سابقا.

وسأتناول هذا المبحث ضمن مباحث التوكيد.

* النفي الضمني:

ويتصل بالنفي: النفي الضمني، كما في الشرط الامتناعي، نحو: لو جاء محمد لأكرمته، فهذه الجملة الشرطية تفيد ضمنا أن محمدا لم يجئ، ولذلك فلم يحدث الإكرام.

وكما في التمني، كأن يقول: ليت الزمان يعود. فاستخدام أسلوب التمني يفيد أن المتكلم يعتقد نفي الحدوث، ولذلك فهو يتمنى.

وكما في التوبيخ، كأن تقول موبخا شخص يدعي الكرم ثم يبخل، فتقول: هل هذا كرمٌ؟! (فأنت تنفي، وكأنك تقول: لست كريما).

**

ويتصل بهذا الحديث عن الإثبات أو النفي بطريق الإيهام، نحو: لا عيب في محمد إلا إنه كريم، ونحو: أنا أفصح العرب بيد أني من قريش. وسأتناوله في باب التوكيد.

**

* **نفي الجواب وإثباته:**

سيأتي الحديث عن هذا مفصلا في الاستفهام. وأقول هنا، إنه في حال السؤال عن شيء معين، فإن السائل يريد إثبات الأمر أو نفيه من المجيب، فيكون الجواب مطابقا للسؤال.

فمثلا: هل جاء محمد؟

فالجواب في حال الإثبات: نعم.

والجواب: في حال النفي: لا.

فالسؤال جملة استفهامية، أما الجواب فهو جملة إخبارية.

ولو كان السؤال منفيا، فإن الإجابة تكون عكس السؤال، نحو: أليس محمدا في الدار؟

فالجواب في حال الإثبات: بلى. (كأنك تقول: هو في الدار، فنفي النفي إثبات).

والجواب في حال النفي: نعم. (كأنك تقول: نعم ليس في الدار).

ومن أمثلة ذلك:

سئل الرسول صلى الله عليه وسلم: أحرام الضب يا رسول الله؟ فقال: لا.

* **دلالة (مِن) المزيدة بعد النفي:**

تزاد (مِن) بعد النفي أو شبهه (الاستفهام المراد به النفي)، ويكون المجرور بها نكرة، وهو مجرور لفظاً، ومحله مختلف. فقد تزاد مع المبتدأ، كقوله: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا}(هود٦)، وقوله: {وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً}(الإسراء٥٨)، أو فاعل، كقوله: {وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا}(الأنعام٥٩)، أو مفعول، كقوله: {مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن

فُطُورٍ}(الملك٣)، وقوله:{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}(البقرة١٠٦)، أو مفعول مطلق، كقوله: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}(الأنعام٣٨)، أي: من تفريط.

ومن حيث الدلالة، فإن (مِنْ) تزاد بعد النفي لغرضين:

الأول: إما للتنصيص على العموم – إذا دخلت على نكرة منفية لا تختص بالنفي – أي قد تقع بعد النفي أو لا تقع. مثل كلمة (رجل) في نحو: (ما غاب من رجل)، فهذا التركيب نص على عموم الجنس وأنه لم يغب أي رجل. وعليه فلا يصح: ما غاب من رجل بل رجلان، فقولك: ما غاب من رجل = ما غاب أحد، أما لو قلت: ما غاب رجل بل رجلان، فصحيح.

الثاني: وإما لتأكيد العموم، نحو: ما جاء من أحد. فقولك: ما جاء أحد، نص على عموم النفي، فـ(من) زادته تأكيداً.

المبحث الثالث: الإخبار عن الإخبار أو غيره من الجمل

المراد بهذا أن المتكلم قد يصرح بإخباره لغيره وبما أخبره به، (فهو إخبار بالإخبار)، أو يخبر عن توجيهه لغيره، فهو (إخبار عن التوجيه)، أو يخبر عن استفهامه أو إفصاحه أو شرطه. والإخبار عن أي من هذه الجمل هو جملة إخبارية.

والمتكلم يخبر بطريقين: النقل المقطوع، والنقل الموصول[1].

الطريق الأول: النقل المقطوع

فيأتي بالجملة المخبَر عنها، مسبوقة بلفظ القول. فمثلا: (الصبر جميل) هذه جملة إخبارية، فلو أخبرت زيدا فقلت له: يا زيد، الصبر جميل. ثم إذا أردت أن تخبرنا أنك أخبرت زيدا بذلك، فتقول: (أخبرت زيدا: الصبر جميل). فأنت أخبرت عن إخبارك، بطريق النقل المقطوع. ونحو: قال شوقي: "آية هذا الزمان الصحف".

ويكثر النقل المقطوع في الجمل المنفية، كقوله تعالى: { قُلْتَ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ} (سورة الكهف ٣٩)، وقوله: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ } (سورة البقرة ١١٣).

ونحو: أمرت زيداً: اتق الله.

ونحو: سألت زيدا: هل ذاكرت دروسك؟ ومنه قوله تعالى: { وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ } (سورة البقرة ٢١٤).

**

[1] وضعت هذين المصطلحين للتمييز بين نوعين من النقل، الأول: النقل المقطوع، وهو النقل الذي ينقل المتكلم فيه الحديث نصا بحروفه، فكأنه يقطع الكلام الذي هو فيه ويسترجع نص كلامه السابق. أما النقل الموصول، فهو النقل الذي ينقل المتكلم فيه الحديث ليس بنصه، وإنما يصله بكلامه، ولا يقطعه، ولذلك يستخدم أحد الموصلات الإفصاحية.

وفي حال النقل المقطوع للجملة الإخبارية، فإنك تنقل النص بعينه، ولو كان مبدوءا بـ(إن)، فتكون مكسورة الهمزة، فمثلاً لو قلت لعلي: (إن الشجاعة محمودة)، فإذا أخبرت عن ذلك قلت: أخبرت علياً: "إن الشجاعة محمودة". فأنت تنقل نص القول. ومنه قوله: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } (سورة سبأ ٧). فـ(إنكم لفي خلق جديد)، هو نص ما يقوله النبي، وهم أرادوا نقل النص بلفظه. ونحو: (قلت لهم: إن الحق فضيلة)، قلت لها: "إن الكرام قليل". وقوله: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } (سورة البقرة ٣٠)، وقوله: { قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } (سورة البقرة ٣٠)، وقوله: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ } (سورة البقرة ٦٩)، وقوله : { وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ } (سورة هود ٧).

الطريق الثاني: النقل الموصول

الطريق الثاني ألا تنقل نص الجملة، بل تصلها بكلامك، وتستخدم أحد ألفاظ الإخبار، ويكون الإخبار بذلك بطريق غير مباشر، فتستخدم حرفاً موصلا: (أنْ) في أنواع الجمل: الإخبارية، والطلبية، والشرطية، وتختص (أنْ) بالجمل الإخبارية المبدوءة باسم، و(أنما) بالجمل الإخبارية اسمية أو فعلية، واللام بالجمل الفعلية (فعلها مضارع)[1].

ففي المثال السابق: (الصبر جميل)، تقول: (أخبرت زيداً أنّ الصبر جميل)، فـ(أخبر) فعل الإخبار، والجملة الإخبارية (الصبر جميل)، و(أنّ) موصل إخباري يربط فعل الإخبار مع الجملة، فهو غير موجود في الجملة الأصلية، ومن ثم فهو في هذه الجملة موصل لا أكثر[2].

---

[1] سيكون الحديث المفصل عن (الحرف الموصل) في الجملة الإفصاحية المركبة.وبه يتبين أن هذه الألفاظ ليست للتأكيد، وإنما هي موصلات إفصاحية أو إخبارية.

[2] وهناك خمسة أفعال، هي: أَنبأَ، نبَّأَ، أَخبر، خبَّر، حدّث. يجوز أن تدخل مباشرة على الجملة الإخبارية، نحو: نبأتُ الطيارَ الجوَّ مناسبًا للطيران، وأخبرت زيداً الحقَّ فضيلة، وحدثت الناسَ النصحَ مربحاً، ونحو: أنبأني صديقي أنَّه مريضةً. فهنا يأتي اللفظ الصريح الدال على الإخبار (أخبرت)، ثم المُخبَر (الناس)، ثم المُخبَر به (الحق فضيلة)... إلخ. ومنه قول الشاعر:

ويكون هذا التصريح جملة إخبارية، لا إفصاحية؛ إذ يدخلها الصدق أو الكذب، نحو: حدثت الناس أن الحق فضيلة، وأخبرت زيداً أن الصبر جميل، (فلو كان الإخبار واقعا فهي جملة صادقة، ولو لم يقع فهي جملة كاذبة).

ومن الأمثلة قوله تعالى: {وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(يونس١٠). النقل المقطوع للجملة الإخبارية. وقوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (سورة الكهف ١١٠)، والشاهد في قوله (يوحى إلي أنما)، فالجملة المنقولة: (إلهكم إله واحد)، والنقل موصول.

**

أمثلة على النقل الموصول والنقل المقطوع:

وهكذا الإخبار عن عامة الجمل، فمثلا:

الجملة الطلبية: (اذهب إلى المسجد، يا زيد).

النقل الموصول: قلت لزيد أنْ يذهب إلى المسجد، أو: أمرت زيداً أنْ يذهب إلى المسجد.

النقل المقطوع: (قلت لزيد أن: اذهب إلى المسجد)، ومنه قوله: { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } (سورة المائدة ١١٧)، وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } (سورة النحل ٣٦) (فضمن بعثنا معنى: أمرنا).

وكذلك لو أخبر المخبر عن توجيه غيره (له أو لغيره)، نحو: أمرني زيد أنْ أمكثَ في البيت، فإن هذا إخبار عن الجملة الطلبية: امكث في البيت. ومنه قوله: { قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ } (سورة الرعد ٣٦)، ومثال الإخبار عن توجيه غيره لغيره، قوله: { إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ

نُبئتُ نُعمى على الهجران عاتبةً سقيًا ورعيًا لذاك العاتب الزاري

فهو يقول: أنبأني الناسُ: نُعمى عاتبة. فنعمى :المفعول الثاني، وعاتبة: المفعول الثالث.

ولكن هذا قليل، والأغلب اقتران هذه الأفعال بالحروف الموصلة.

أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا } (سورة النساء ٥٨)، وقوله: { إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً } (سورة البقرة ٦٧)، وقوله: { أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } (سورة يوسف ٤٠).

ويوصل باللام أيضا، مع الفعل المضارع المثبت، ويكون منصوباً، كقوله: {وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(الأنعام٧١)، وقوله: { وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ } (سورة الشورى ١٥)، وقوله: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } (سورة التوبة ٣١). فاللام هنا موصل إخباري، مثل (أنْ)، ولذلك يتبادلان المواقع، وقد يجتمعان، كما في قوله: { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } (سورة الزمر ١٢).

وكما قلت إن الطلب نفسه جملة طلبية، أما الإخبار عن ذلك الطلب فهو جملة إخبارية، يدخلها الصدق والكذب، فنحو: أمرت زيداً أنْ يذهب إلى المسجد (قد يكون إخبارك عن الأمر صادقا، وقد يكون كاذبا).

**

وكذلك في النهي:

فمثلا، الجملة الطلبية (لا تكذب يا زيد)،

النقل المقطوع: (قلت لزيد: لا تكذب). والنقل الموصول: (قلت لزيد ألا يكذب).

ومن النقل الموصول، قوله تعالى: { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } (سورة الأنعام ١٥١)، وقوله: { وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا } (سورة الإسراء ٢)، وقوله: { تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا } (سورة فصلت ٣٠).

**

وكذلك في الشرط:

فمثلاً، الجملة الشرطية: لو جاء زيد لأكرمته. (النقل المقطوع: أخبرتهم: لو جاء زيد لأكرمته)، (والنقل الموصول: أخبرتهم أن لو جاء زيد لأكرمته)[1]. ومنه قوله تعالى: {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(الأنعام٥٤)، ف(كتب) تحمل دلالة الإخبار عما كتبه الله على نفسه. وكقوله: {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}(الحج٤).

ومن أمثلة النقل المقطوع: قوله تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ}(يوسف٢٦)، فشهد في الآية بمعنى: قال حكما: (إن كان قميصه..).

**

في الاستفهام:

وأما الاستفهام يكون النقل فيه مقطوعا، فمثلاً، الجملة الاستفهامية: من في الدار؟ يا زيد. (النقل المقطوع: سألت زيدا: من في الدار). ونحو: كيف حالك يا فاطمة؟ (النقل المقطوع: سألت فاطمة: كيف حالك).

أما لو نقلت الاستفهام نقلا موصولا فإنه يتحول من جملة إلى مفرد، ففي المثالين السابقين، تقول: سألت زيدا عمن في الدار، سألت فاطمة عن حالها.

وفي القرآن الكريم ترد شواهد الاستفهام من النقل المقطوع، ومن أمثلته:

وقوله: {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ} [الإسراء: ٥١]، وقوله: { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}[ق: ٣٠]، وقوله: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ}

[1] وقد يستفهم المتحدث عن (الإخبار بالإخبار)، فمثلا: أخبرت زيدا أن الصدق فضيلة. يدخل عليها الاستفهام، فتصبح: هل أخبرت زيدا أن الصدق فضيلة؟ أو: ألم تخبر زيدا أن الصدق فضيلة، كما يدخل عليها الطلب، فتصبح: أخبر زيدا أن الصدق فضيلة. ومن الاستفهام قوله تعالى: { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى} (سورة النجم ٣٦ – ٤٠).

[البقرة: ٦٨]، وقوله: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ } [المائدة: ٤]، وقوله: { يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ } [الذاريات: ١٢]، وقوله: { يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ } [القيامة: ١٠]، وقوله: {قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا } [آل عمران: ١٦٥]، وقوله: { قَالَ كَمْ لَبِثْتَ} [البقرة: ٢٥٩]، وقوله: وقوله: { وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} [التوبة: ١٢٤]....

**

وهذا جدول يبين النقل الموصول والمقطوع في الجمل المختلفة:

الجملة الأصلية	نوع الجملة	الإخبار عن الجملة	طريق النقل
العلم نافع	إخبارية	– قلت: العلم نافع. – أخبرته أن العلم نافع	– النقل المقطوع – النقل الموصول
اتق الله	طلبية	– قلت له: اتق الله. – قلت له أن يتقي الله	– النقل المقطوع – النقل الموصول
من يجتهد ينجح	شرطية	– أخبرته: من يجتهد ينجح. – أخبرته أن من يجتهدْ ينجحْ.	– النقل المقطوع – النقل الموصول
من جاء؟	استفهامية	– سألته: من جاء.	– النقل المقطوع

فيتبين أن الجمل الإخبارية والطلبية والشرطية يمكن أن تنقل إلى جمل إخبارية، بطريقي النقل المقطوع، والموصول. أما الاستفهامية فيكون نقلها بالقطع.

المبحث الرابع: الدلالة على الكثرة والقلة

في اللغة العربية أساليب عديدة تتعلق ببيان الكثرة أو القلة سواء أكان ذلك في العدد أو غيره، وسوف نتناول هذه الأساليب تباعا.

أولا: الدلالة على التكثير

للتكثير عدة أساليب، والغرض من استعمال التكثير إما الافتخار والمدح بكثرة شيء محبوب، وإما الذم بكثرة شيء معيب، وقد يكون وراء ذين أغراض أخر كالتهديد أو الوعيد أو غيرهما.

١- لفظ التكثير:

١- التكثير باستخدام لفظ التكثير ونحوه، فتقول: لقد عملت عملا كثيرا، ويغلب المجيء بلفظ (كثيرا ما)، كقول الشاعر الخفاجي:

وَرَوّتْنِي سَحَابُكَ فِي بِلادٍ كَثِيْـرا مَـا شَـكَوْتُ بِهَـا الأوَامَـا

٢- التكثير بـ(كَمْ) [1]

ويؤتى بها للإخبار بكثرة شيء معدود، ولهذا يجب أن يكون الإخبار عن شيء مضى؛ لأن الذي مضى قد بان جنسه وكميته، بخلاف ما لم يمض فإنه مجهول الجنس والمقدار، فلا يصح أن تقول: كم رحلة سأقوم بها. ولها عدة صور:

[1] لـ(كم) أحكام عدة يذكرها النحاة، ومنها: أن لها الصدارة في الكلام ما لم يسبقها حرف جر أو ظرف، نحو: لله أنت! فإلى كم عمل نافع سارعت. وعند كم عقبة في طريقك وقفت لتذليلها! وكذا حذف التمييز إن دل عليه دليل، نحو: استعرضت كتبك الضاربة في علوم مختلفة، فما أكثرها! فكم في الأدب وكم في التاريخ... أي: فكم كتاب في الأدب...الخ.

الصورة الأولى: أن يؤتى بعدها باسم نكرة مفرد أو جمع، مجرورا هو بمثابة التمييز لمدلول (كم)، نحو: كم دارٍ ملكت، وكم كتابٍ اشتريت. فهنا إخبار بكثرة الدور التي ملكت، وكثرة الكتب المشتراة، وكأنه يقول: لقد ملكت دورا كثيرة، واشتريت كتبا كثيرة. وقولهم: كم صالحٍ بفساد آخر قد فسد. ومنه قول الشريف الرضي:

كَمْ حَاجَةٍ بِمَكَانِ النّجْمِ قرّبها طول التعرض والروحات والبُكُر

وقول المتنبي:

وكـــم ذنـــبٍ مُوَلِّـــدُه دلال وكـــم بُعْـــدٍ مُوَلِّـــدُه اقتـــراب

الصورة الثانية: أن يؤتى بعد (كم) بـ(مِنْ)، ثم يأتي الاسم المراد تكثيره مفردا أو جمعا مجرورا، والأغلب أن يكون الاسم نكرة، وقد يكون معرفة جمعا، كقوله تعالى: {وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف: ٤]، وقوله: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ }[البقرة: ٢٤٩]، وكقول معروف الرصافي:

كم مِنْ أراذلَ أطْغتْها سَفاهَتُها حتى ادّعتْ وهي أذناب لها الشمَما

وقول أحدهم:

كم من الأوقاتِ قد ضيعتها؟! في الأماني والتصابي والجدالْ؟!

الصورة الثالثة: ألا يليها الاسم المراد تكثيره، وإنما يليها فعل متعدي متعلق به ذلك الاسم، ثم يؤتى بالاسم مجرورا بعد (مِنْ)، كقوله تعالى: { وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ } [الزخرف: ٦]، وقوله: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ } [الإسراء: ١٧]، وقوله: { كَمْ

تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } [الدخان: ٢٥]، وكقوله: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ } [يس: ٣١][1].

الصورة الرابعة: أن تليها جملة فعلية، ويكون المراد تكثيره هو ما تدل عليه تلك الجملة، وهنا يقدر بعضهم أن التمييز محذوف، يدل عليه السياق، نحو: كم أنقذتك وأنت تنكر المعروف، أي: كم مرة أنقذتك ...ولا حاجة بنا إلى التقدير، ليبقى السياق مبهما، ويكون التكثير في السياق كله، وذلك أوفى بالمراد، ومن الأمثلة قول الشاعر:

وإن نابتْك نائبة فشاور فكم حَمِدَ المشاور غِبَّ أمر

وقول الشاعر:

فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا ظَالِماً مُتَمَرِّداً يَرَى النَّجْمَ تِيهاً تحْتَ ظِلِّ رِكابِهِ

وقول نزار قباني:

كم أُعانى مما كتبتُ عذاباً ويعانى فى شرقنا الشرفاءُ

وقول ابن المعتز:

خليليّ إن لم تسعدانى على البكا، فلا تكثرا لومى ، فكم يصبرُ الصبرُ

وقول المتنبي:

كمْ قد قُتِلتُ وكم قد متُّ عندكُمُ ثمّ انتَفَضْتُ فزالَ القَبرُ وَالكَفَنُ

**

[1] معنى الآية: ألم يروا إهلاكنا الكثير من القرون– (أنهم لا يرجعون) فجملة (أنهم...) بدل من جملة (كم أهلكنا) كأنه قال: أو لم يروا هذا أولم يروا هذا؟!

٣- (كَأَيِّنْ)، وفيها لغات أخرى منها (كَائِنْ)

وهي مثل (كم) الخبرية تدل على تكثير المعدود، وتلزم الصدارة، ولها صور[(١)]:

الأولى: أن يأتي بعدها اسم يميز إبهامها، والاسم يكون مجرورا بعد (مِنْ)، كقوله تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ} [محمد: ١٣]، وقوله: { وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا } [الحج: ٤٨]، وقرأ ابن كثير: (كَائِنْ).

ومن الأمثلة قول الفرزدق:

إمَامٌ كَأيّنْ مِنْ إمَامٍ نَمَى بِهِ وَشَمْس وَبَدْر قَد أضَاءا فَنوّرَا

وقول عبد الغني النابلسي:

شفني السقم ولم يشف الرجا كبدي والروح راحت من يديّ
وكأين من ولوع لم يفد وكأين من دموع وكأيّ

---

(١) التكثير بـ(كأين) مع الاسم المراد تكثيره بمثابة المبتدأ في الجملة، فيكون محتاجا إلى إخبار، وعادة ما يكون الإخبار عنه بفعل (أو جملة حدثية مشتملة على فعل)، فالعفل كقوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ } [آل عمران: ١٤٦]، أي: كثير من الأنبياء قد قاتل معهم ربيون كثير، وقوله: { وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ } [يوسف: ١٠٥]، أي: كثير من الآيات يمرون عليها وهم معرضون. والجملة الحدثية، كقوله تعالى: { وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ } [العنكبوت: ٦٠]، أي: كثير من الدواب غير قادرة على حمل رزقها . يرزقها الله ويرزقكم.

وقد يكون الخبر ظرفا أو جارا ومجرورا، كقول ابن التعاويذي:

ألا حبّذا بالبانِ مَغنىً ومَلعَبٌ عَصَيْتُ بِهِ عَصْرَ الْبَطَالَةِ عُذَّالِي
فَكَائِنْ لَنَا مِنْ وَقْفَةٍ فِي ظِلاَلِهِ ومن غَدَواتٍ مُوبِقاتٍ وآصالِ

وقول أبي تمام:

لَقدْ جَلَّى كِتَابُكَ كُلَّ بَثٍّ جَوٍ وأصَابَ شَاكِلَةَ الرَّمي
فكَائِنْ فيه مِنْ مَعْنًى خَطِيرٍ وكائنْ فيهِ من لفظٍ بهيِّ

الصورة الثانية: أن يليها فعل الرؤية غالبا، أو غيره من الأفعال المتعدية، ثم يليها الاسم المجرور بعد (مِنْ)، أو يأتي منصوبا دون (مِنْ)، كقوله:

وكائن رأينا من فروع طويلة تموت إذا لم تحيهن أصول

وقول أحمد محرم:

وكائن ترى من فتىً لا يقوم غداة الحفاظ مقام الفتاة
نقمت على مصر طول الجمود ويحسبه القوم طول الأناة

وقول الرصافي:

وكائن ترَى مخدومةً فى جلالها سعتْ حيث أبكاها الردَى سعىَ خادم

وقول لبيد:

وكائنْ رأيتُ مِنْ ملوكٍ وسوقة وَصاحَبْتُ مِن وَفدٍ كرامِ ومَوكِبِ

وقول البحتري:

كَأيِنْ جحَدتمْ، مِن أيادي محَمّدٍ، كَوَاكِبَ دَجْن مِن لُهىً وَمَوَاهِبِ

الصورة الثالثة: أن يأتي الاسم بعد فاصل، ولا يلي (مِنْ)، وهنا يكون الاسم منصوبا، ومن يرفعه فقد لحن، كقول الشاعر الجاهلي:

وَكَائِنْ أَتَاهَا هَارِباً قَبْلَ هَذِهِ ومَنْ غانمِ أو أينَ منكَ الولاولُ

وقول الأعشى:

وكائنْ لنا فضلاً عليكمْ ومنةً قَديماً، فَما تَدرُون مَا مَنُّ مُنعِمِ

الصورة الرابعة: أن تليها جملة فعلية، ولا يأتي اسم مراد تكثيره، وهنا يقدر بعضهم الحذف، فيقولون التقدير: كم مرة، ولا داعي لهذا التقدير كما ذكرنا من قبل، كقول ابن زيدون:

وكائنْ رامَتِ الأيّامُ تَرْويعي، فَلَمْ أرْتَعْ
إذا صابَتْنِي الجُلّى، تجلّتْ عنْ فتىً أروعْ
على ما فاتَ لا يأسَى، وممّا نابَ لا يجزعْ

وقول الآخر:

وكائن طلبنا العيش صفواً جمامه فلم تخلُ منْ رَنْق الخطوبِ المشارب

**

وهناك أسلوب آخر، وهو (أسلوب مما)، انظر الهامش[1].

---

[1] ومن أساليب التكثير عند العرب (مِمّا)، حيث يأتي لفظ (مِمّا)، ثم يأتي بعدها فعل مضارع، وهي أسلوب غير شائع، وأمثلته نزرة، ولكنها واردة، وهي تستخدم للدلالة على كثرة اتصاف الاسم بالخبر، ويجب أن تأتي في موضع الخبر، نحو: أنت مِمّا تأكل الخبز، أي: أنت كثيرا ما تأكل الخبز، فهذا من شأنك ودأبك، فـ(مِمّا) تفك إلى (من) و (ما) أي: أنت (من) شأنك كثيرا (ما تأكل = أكل) الخبز، ونحو: زيد مما يزور أصدقائه (أي: كثيرا ما يزورهم.

ومن أمثلته عند العرب قول ابن عباس في الحديث:(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك لسانه وشفتيه)، وقال البراء:(كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم مما نحب أن نكون وراءه)، وفي حديث آخر: (وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء)، ولاحظ استخدام: كثيرا، والأغلب عدم ذكرها. وقال الفرزدق:

وإنا لَمِمَّا نضرب الكبش ضربة على رأسه وَالحَرْبُ قد لاحَ نارُهَا

أي: وإنا لمن شأننا كثيرا ضرب الفارس... ومثله قوله:

وإني لَممّا أُورِدُ الخَصْمَ جَهْدَهُ، إذا لمْ يكُنْ إلاّ الشّجَى وَالمخَنَّقُ

ثانياً: الدلالة على التقليل

١- لفظ التقليل، وقلما:

١- التقليل باستخدام لفظ القليل ونحوه، نحو: أكلتَ قليلا، وشربت كثيرا، ومن الصور الواردة:

الأولى: استخدام لفظ (قليلا ما)، وقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع، كقوله: { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ } [الحاقة: ٤١]، وللمفسرين تخريجات عدة في مثل هذه الآية، ومن ضمنها أنها تفيد التقليل، ومنه قول مهيار الديلمي:

ومرَّ على عوائده كريمٌ قليلاً ما دعوتُ فلم يجبني

الثانية: استخدام لفظ (قلّما)، ويليه فعل، نحو: قلما يجود البخيل، وربما يفيد لفظ العدم، بمعنى: لا يجود البخيل، ومنه قول ابن الرومي يذم أحد الثقلاء:

قلَّ ما توجدُ الفضائل إلا في خِفاف الرجال دونَ الثقالِ

وقول أبي العتاهية:

ألاَ قلَّ مَا ينجُو ضميرٌ منَ المُنَى وفيهِ لهُ منهُنَّ شعبَةُ وسواسِ

وقول ابن الخياط يمدح الأمين:

يابْنَ مَنْ شادَ المَعالِي جُودُهُ وَبَنى المَجْدَ فأعْلى ما بَنى
نَحَتتْ عَظْمِي خُطُوبٌ لمْ تَزَلْ تأكُلُ الأحْرارَ أكلاً مُمعِنا
ولأنْتَ اليومَ أولى أنْ تَلِي كشفَها يابْنَ أمِين الأُمَنا
فانْتَهِزْها فُرْصَةً مُمْكِنَةً قَلَّ ما يُوجَدُ مَجْدٌ مُمْكِنا

٢- التقليل بأسلوب التنكير:

حيث يأتي لفظ النكرة منصوبا، وتليه (ما)، فيفيد الأسلوب التنكير، نحو: أكلت أكلاً ما، وشربت شرباً ما، أي: أكلت أكلا قليلا، وشربت شربا قليلا.

٣- التقليل بـ (لو)

يؤتى بـ (لو) لإفادة التقليل، كما في الحديث: (اتقوا النار ولو بشق تمرة) أي: ولو بشيء قليل كشق تمرة، وفي الحديث الآخر: (لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئا ولو أن يلقى أخاه بوجه طلق)، وفي حديث آخر: (لا تحقرن جارة لجارتها من المعروف شيئا ولو بفرسن شاة)، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

***

ثالثا: ما يدل على التكثير أو التقليل معا

١- (رُبَّ) [١]

هذا اللفظ يرد غالبا للتقليل، ولكنه يرد أيضا للتكثير، والذي يحدد ذلك سياق الكلام، كما قال ابن هشام في المغني (وليس معناها التقليل دائما خلافا للأكثرين ولا التكثير دائما خلافا لابن درستويه وجماعة، بل ترد للتكثير كثيرا وللتقليل قليلا).

ولهذا كان الاستعمال الصحيح لهذا الحرف أن يجيء بعد حالة إفصاحية خالية من اليقين –كحالة الظن.... تقتضي النص على الكثرة أو القلة، كأن يقول قائل: أظنك لم تمارس الصناعة. فتجيب: رُبَّ صناعةٍ نافعةٍ مارستها، فقد جاءت الأداة (رب) وجملتها لإزالة أمر مظنون قبل مجيئها.

فمثال مجيئها للكثرة، الحديث (يا رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ يوم القيامة)، وقوله:(رُبَّ ذي نعمة محسود). ومثال مجيئه للقلة: رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك، ونحو: رُبَّ غصةٍ في انتهاز فرصة.

والقرينة على القلة والكثرة هي التجارب الشائعة التي يعرفها السامع، أو التخويف في الأثر النبوي فهو دليل على الكثرة.

و(رُبَّ)، يليها اسم نكرة مجرور، وغالبا ما توصف هذه النكرة بصفة تقلل من شيوع تنكيرها[١]، وتكون (رُبَّ) مع الاسم المجرور بمثابة المبتدأ الذي يحتاج إلى خبر، ثم يأتي الخبر

---

[١] ويقال أيضا:(رُبَّتْ)، و(رُبَّتَ) للدلالة على تأنيث الاسم المجرور، نحو: ربت عبادة موجزة أغنت عن كلام كثير.
هذا ويقول النحاة أن (رب)، حرف جر شبيه بالزائد، بمعنى أنه لا يحتاج إلى متعلق يرتبط به، ومن ناحية ثانية فإنه يجر ما بعده لفظا فقط، بمعنى أن ما بعده له محل إعرابي. إما الرفع وإما النصب – بحسب الجملة، نحو: رب زائر كريم أقبل، فتعرب (زائر): مجرور لفظا في محل رفع مبتدأ، وأقبل: خبره، ونحو: رب زميلٍ وديعٍ صاحبت، فتعرب (زميل) مجرور لفظا في محل نصب مفعول به للفعل (صاحبت). ونحو: رب مساعدةٍ خفيةٍ ساعدتُ، فتعرب (مساعدة) مفعول مطلق، ونحو: رب ليلة مغمرة سهرت مع كتبي، فتعرب (ليلة) ظرف زمان...الخ. وخبر مرشد لمعرفة المحل الإعرابي أن تنظر إلى الجملة متخيلا عدم وجود (رب) وإعراب المجرور بها بما يستحق.

بعد[٢]، فنحو: رب أخٍ لك لم تلده أمك، وصفت النكرة بقولك (لك)، والخبر هو (لم تلده أمك). والمراد بالإخبار هنا الإخبار المعنوي لا النحوي.

هذا وقد تسبق (رُبَّ) الواو، أو الفاء، أو: ألا الاستفهامية، أو (يا)، أو لام التأكيد، ومن الأمثلة: قول الشريف الرضي:

ثار به الجهلُ فابتسمتُ له وَرُبَّ جَانٍ عِقَابُهُ الضّحِكُ

وقول ابن زيدون:

وَإنْ تَبْخَلْ عَلَيْهِ، فَرُبَّ دَهْرٍ وَهَبْتَ لَهُ رِضَاكَ بِلا حِسَابِ

وقول ابن المعتز:

أقولُ، وقد ضاقَتْ بأحزانِها نفْسي: ألا رُبَّ تَطليقٍ قريبٍ من العُرسِ

وقول أبي إسحاق الألبيري:

يا رُبَّ جبارٍ شديدِ القوى أصابه سهم من الله

---

(١) قد يحذف النعت، ويدل عليه السياق، نحو: رب حلمٍ أضاعه عدم المال، أي: رب حلم عظيم. وقد يحذف المنعوت ويقام النعت مقامه، نحو: رب ملومٍ – لا ذنب له، أي: رب رجل ملوم.

(٢) عادة ما يخبر عن (رب) وما دخلت عليه بجملة فعلية، وتكون ماضية إما لفظا ومعنى، نحو: رب جبار أصابه سهم من الله، وإما معنى كما في (رب أخ لك لم تلده أمك). وهذا لأن (رب) تفيد التكثير أو التقليل فلا تأتي إلا في فعل يدل على الماضي؛ لتحقيق الوقوع.

ولكن قد تدخل في زمن مضارع، إذا كان الكلام مسبوقا مساق الحكم التي تدل على التجارب وتكرر الوقوع، كقولهم: لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك، (أي: يكون فيه نجاتك.... يكون فيه عطبك، أما (تكرهه، تحبه) منها صفتان للنكرة بمثابة (مكروه، محبوب)، ونحو:

رُبّ أمر – تتقيه جر أمراً ترتضيه
خفى المحبوبُ منه وبدا المكروهُ فيه

وقد تكون جملة اسمية، كقولهم: رب ملوم – لا ذنب له، ونحو: رب ساعٍ لأمر – هلاكه فيه، وكقول المتنبي:

ذل من يغيظ الذليل بعيش رُبَّ عيشٍ – أخفُّ منه الحِمامُ

فأنفذ المقتلَ منه وكمْ أصْمَتْ وتُصمي أسهمُ الله

وقول أبي فراس الحمداني:

ولربَّ فعلٍ جاءني من فاعلٍ أحمدتهُ وذممتُ منْ يأتي بهِ[1]

***

٢- رُبَّما (وفيه لغة: رُبَما)

تفيد التكثير أو التقليل، ويليها غالبا فعل ماض. نحو: لا تحتقر من المعروف شيئا، فربما دخلت الجنة بشق تمرة. وقد يليها فعل مضارع لفظا، ماض معنى، كقول عمر بن أبي ربيعة:

فَرَآها القَلْبُ لا شَكْلَ لَها، رُبَّما يُعْجَبُ بالشيء الحَسَنْ

أي: ربما أعجب. وقد تدخل على المستقبل لفظا ومعنى إذا كان معناه محقق الوقوع لا شك في حصوله، فكأنه من حيث التحقق بمنزلة الماضي الذي وقع معناه صار أمرا مقطوعا فيه، كقوله تعالى: { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } [الحجر: ٢]،

وقد تسبق بـ(ألا)، أو: يا، أو (لكن) الاستدراكية، أو اللام، ومن الأمثلة، قول الشريف الرضي:

سَأصْبِرُ إنّ الصّبْرَ مُرٌّ صُدُورُهُ ألا رُبَّما لذت لقلبى عواقبه

---

[1] ومن أساليب التقليل والتكثير عند العرب، المجيء باسم نكرة مجرور بعد الواو أو الفاء، كما في قول الشاعر:

وليلٍ بتُّه رهنَ اكتئابِ أقاسي فيهِ أنواعُ العذابِ

وقول الآخر:

وحديثٍ ألذه هو مما يشتهي السامعون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيانا وأحلى الكلام ما كان لحنا

والنحاة يقدرون حذف (رب)، أي: ورب ليل، ورب حديث.

وقول علي محمود طه:

يا ربّما نبأ أثار بوقعه ما لا تثير ملاحم الأجناد

(و: نبأ) فاعل مقدم للفعل (أثار)، فالذي بعد (ربما) جملة فعلية: والتقدير: يا ربما أثار نبأ بوقعه. وقول الجواهري:

كلُّ صَحْبى يشكون شكوايَ لكنْ ربّما يضحكونِ خُسْراً وغَبْنا

وقول ابن الرومي:

لئن نفرتْ منى الظباء لربما يكون قريباً من سهامى بعيدها

***

٣- (كذا)

وهي اسم مبهم، يُكْنَى بها عن العدد[1]، ولإبهامه فإنه يحتاج إلى تمييز، فيكون اسما منكرا منصوبا إما مفردا أو جمعا. والغرض من المجيء بها هو الإخبار عن شيء معدود قليل أو كثير. حسب غرض المتكلم، ولها ثلاث صور:

---

[1] ملاحظة: (كذا) تأتي كناية عن العدد كما رأيت. وقد تأتي كناية عن عمل أو قول. كالحديث: (يقال للعبد يوم القيامة: أتذكر يوم كذا وكذا)، ونحو: فعلت كذا، وقلت كذا، ولو قلت: فعلت كذا وكذا؛ فلتعدد الفعل.

* ويجوز أن تبقى على أصلها من التركيب فتكون الكاف للتشبيه وذا للإشارة. لو اقتضى المعنى ذلك، نحو: عرفت الأخ نافعا والصديق كذا (أو: هكذا، أو: كذلك)، أو (وكذا الصديق، أو: وكذلك الصديق). وهذا يرد كثيرا، كقول ابن هانئ الأندلسي:

أيها الصّبُّ لا ترعْ فالليالي فرحاتٌ تشوبها ترحات

وكذا الحبُّ ضحكةٌ وبكاءٌ وكذا الدهرُ ألفةٌ وشتات

الصورة الأولى: أن تكرر، مع عطف بالواو، نحو: تذكر كذا وكذا نعمةً من الله عليك، بمعنى: تذكر نعم الله الكثيرة عليك.

الثانية: ألا تكرر، نحو: أنفقت كذا دنانيرَ في رحلاتي، وركبت خلالها كذا سيارةً وطيارةً. ونحو: مضت لي كذا سنةً وأنا أدرس. ونحو: في المتجر كذا ثوباً، وفي المصنع كذا عاملاً.

الثالثة: أن تكرر دون عطف بالواو، وهي أقل الصور ورودا، نحو: لي كذا كذا ساعةً أنتظرك.

***

٤ – (قد)

ومما يستخدم للتكثير والتقليل (قد)، حيث يأتي بعدها فعل مضارع مرفوع، والسياق هو الذي يحدد المراد من المجيء بـ(قد)، ففي مقام الافتخار والمدح تفيد غالبا التكثير، كقول الشاعر:

فقد يكون أجلَّ البر أبرزُه وقد يكون أحبَّ البر ما لطفا

وقول الشاعر:

قَدْ أترُكُ القِرْنَ مُصفَراً أنَاملُهُ كأنَّ أثوابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ

وقد تفيد التقليل، نحو: قد يجود البخيل، أي: قليلا ما يحصل منه، أو نادرا، وكقول الشريف الرضي:

نَعَمْ لَستُمُ الأيدي الطّوَالَ فعاونُوا على قَدرِكُم، قَد تُستَعانُ الأصَابِعُ

وقول شوقي:

قيلَ : غالٍ فى الرأي ، قلتُ : قد يكون الغُلُوُّ رأْياً أَصيلا

***

٥- الأحوال الدالة على التكرار:

وقد يكون التقليل والتكثير بالأحوال الدالة على التكرار، وتكون منصوبة، نحو: دائماً، غالباً، أحياناً، نادراً، وفي النفي المطلق تستخدم: أبداً، البتة، فتقول: أفعل هذا الشيء دائماً، أو غالباً، أو أحياناً، أو نادراً، وتقول لا أفعله البتةَ، أو لا أفعله أبداً، وفي نفي الماضي تقول: لم أفعله قط. ومن الأمثلة في الشعر العربي:

قال أبو فراس الحمداني:

أينَ المعالي التي عُرفتَ بها ، تَقُولُها ، دائماً ، وَتَفْعَلُها ؟

وقال آخر يصف النساء:

فكيدهنّ يا أخي عظيم وفعلهنّ غالباً ذميم

وقال غيره:

وَللحَقّ أحْياناً، لَعَمري، مَرارَةٌ، وكل الذي دون الممات قليل

وقال البردوني:

إنْ كنتُ ألقى – نادراً – حلوة فهو يلاقي – دائماً – أربعا

هذا و(أبدا) في سياق النفي تستخدم لتأكيد النفي المطلق، وفي سياق الإثبات تستخدم بمعنى (دائما)، كما في قوله تعالى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} [البقرة: ٩٥]، وفي الإثبات: {وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: ٢٣]. ومنه في الشعر:

فلا جرتْ للنوى يوماً مدامعكم ومدمعي أبداً في الخدِّ يطردُ

وقال أبو تمام:

أَبَى قَدْرُنا في الجُودِ إلاَّ نَباهةً فليس لمالٍ عندنا أبداً قدرُ

الفصل الثاني: الجملة الشرطية

الجملة الشرطية في اللغة العربية، تربط بين جملتين، فتجعل إحداهما شرطا للآخر. وللجملة الشرطية في اللغة العربية نوعان[1]: (من حيث الدلالة)

النوع الأول: الشرط التعليقي

النوع الثاني: الشرط التقريري

أما الشرط التعليقي، فهو تعليق جواب الشرط بجملة الشرط، وله صورتان:

الأولى: التعليق الإمكاني، (الشرط الإمكاني)، وهو الشرط في المستقبل، نحو: إن تجتهد تنجح. فالنجاح متوقف على الاجتهاد (في المستقبل)، إن حصل الاجتهاد (الفعل) يحصل النجاح (الجواب). فهو شرط إمكاني، يمكن حصوله.

الثانية: التعليق الامتناعي، (الشرط الامتناعي)، وهو الشرط في الماضي، أي: عدم حصول الجواب بسبب عدم حدوث الشرط (في الماضي). نحو: لو جاء لأكرمته، (فالإكرام لم يحصل؛ لأن المجيء لم يحدث)، ومن ثم فهو ممتنع الحدوث؛ لتعلقه بحدث قد مضى.

وأما الشرط التقريري، فلا يعلق جملة الشرط بجوابه، بل يقرر جواب الشرط، ويبين وقوعه، فالجواب مقرر واقع، وأما الشرط فهو مبني على الجواب، فقد يكون الهدف من

---

[1] هذا التقسيم من اجتهاد الباحث، بعد استقراء أمثلة الشرط واستخداماته في العربية.

هذا، والنحاة يقسمون الشرط قسمين، الشرط الإمكاني والشرط الامتناعي. (وهذان القسمان في الحقيقة هما صورتان للشرط التعليقي).

وعلماء المنطق يقسمون الجملة الشرطية قسمين: شرطية لزومية (إذا كان الارتباط سببيا)، وشرطية اتفاقية (إذا كان الارتباط غير سببي). وتقسيم المناطقة أكثر دقة من تقسيم النحاة، حيث روعي المعنى إلى حد كبير في تقسيم المناطقة.

وتقسيم الشرط إلى تعليقي وتقريري، أنسب من وجهة نظري، فهو تقسيم يستوعب جميع استخدامات الأسلوب الشرطي في اللغة العربية، ولا يضطر إلى التكلف في تأويل بعض الأساليب، أو يتعسف القول فيها، كما سيتبين لنا.

الشرط التقريري: تقديم تفسير للحدث، بربطه بحدث مشابه، أو بيان التعاقب الزمني، أو التعميم... إلخ. فمثلاً، قوله تعالى: {قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ}(يوسف٧٧)، فالجواب (فقد سرق أخ له من قبل) جواب قد حدث، فهم يقررون حدوثه، فجاءوا الشرط (إن يسرق)؛ ليفسروا الحدث، بعلاقة التشابه، فهم يقولون: إن سرق فهو يشبه أخاه الذي سرق من قبل.

**

سأتناول الجملة الشرطية في مبحثين، الأول: دلالة الشرط: إمكاني وامتناعي وتقريري.

والمبحث الثاني: تركيب الجملة الشرطية.

المبحث الأول: دلالة الشرط

أولاً: الشرط الإمكاني:

الشرط الإمكاني يتعلق بالمستقبل، ولذلك فهو ممكن الحدوث، ففي الجملة الشرطية يتعلق السبب بالمسبب على وجه الإمكان، فعندما يحصل السبب يحصل المسبب[1].

والشرط الإمكاني هو الغالب في اللغة العربية، ودلالاته على النحو التالي:

١- تعليق زمان الحدث

ويستخدم لذلك (متى، أيان) الجازمتان، ولا يختصان بزمن معين، نحو: متى تأتِ زيداً تأمنْ. فالمعنى: أن الأمن ممكن حدوثه إذا أتيت زيداً. ونحو: متى تؤد الصلاة يطمئن قلبك.

ومن شواهده:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

وقوله:

---

[1] يقول النحاة أن مدلول جواب الشرط يمتنع تكراره إذا كان مدلول الجملة الشرطية يقتضي التكرار – إلا إذا اقتضى العرف التكرار أو دلت القرينة على ذلك. فنحو: إن أسافر أركب سفينة، لا يكون المراد أني كلما أسافر أركب سفينة، وإنما المراد أن سفري سيقتضي ركوب السفينة مرة واحدة، فإذا تكرر السفر فقد يكون في السفينة أو غيرها، لكن قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ}(المائدة٦)، فالجواب اقتضى التكرار كل مرة لدليل شرعي آخر، وهو إيجاب الوضوء قبل كل صلاة على من ليس متوضئ.

وأقول إن الشرط يقتضي التكرار في حالة واحدة، وهو الشرط التقريري الذي يكون بمعنى (كلما)، والحديث عنه سيأتي في الشرط التقريري، كما في قوله: { وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ } (سورة آل عمران ١١٩)

أيان نؤمنك تأمن غيرنا وإذا لم تدرك الأمن منا لم تزل حذراً

بمعنى (أي وقت تأته، وأي وقت نؤمنك...).

٢- تعليق مكان الحدث

ويستخدم لذلك: (أين، أنى، حيثما)، كقوله تعالى: {وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}(البقرة١١٥)، وقوله: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ}(النساء٧٨)، ونحو: حيثما تكثر السلع تنخفض الأسعار. فكل هذه في جواب (أين)، فلو قلت: أين تنخفض الأسعار؟ فالجواب: حيثما تكثر السلع، ولو قلت: أين يدرككم الموت؟ فالجواب: أينما تكونوا.

وقوله:

حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحاً في غابر الأزمان

وقوله:

أين تصرف بنا العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقي

٣- التعليق المطلق لفاعل الحدث

التعليق المطلق لفاعل الحدث، العاقل، (مَنْ)، كقوله: { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} (سورة النساء ١٢٣).

٤- التعليق المطلق لفعل الحدث

التعليق المطلق لفعل الحدث، (ما، مهما)، كقوله: {وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ}(البقرة١٩٧). وكقوله: {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}(الأعراف١٣٢).

٥- التعليق المقيد (أي)

ويستخدم لذلك: (أي)[١]، بحسب ما تضاف إليه، مثالها لتعليق مكان الحدث: أي مكان تجلس أجلس، ومثالها لتعليق زمان الحدث: أي يوم تحضر أحضر.

٦- التعليق المجرد للحدث

ويستخدم لذلك: (إن، إذما) و(لو غير الامتناعية)، وتدل على تعليق الجواب بالشرط تعليقاً مجرداً، يراد منه الدلالة على وقوع الجواب بوقوع الشرط، فهو يدل على تعليق الحدث، دون النظر في زمانه أو مكانه أو فاعله، أو غيره، كقوله: {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ} (البقرة٢٨٤) [٢]، وقول الشاعر:

وإنك إذما تأتِ ما أنت آمرٌ به تُلْفِ مَنْ إياه تأمر آتيا

---

[١] وهي واجبة الإضافة كما مثلنا، إما إلى نكرة كما مثلنا، وإما إلى معرفة دالة على متعدد صراحة، نحو: أي الكرام تسأل أسأل، أو متعدد تقديراً: أي محمد تستحسن أستحسن.

[٢] قد تزاد (ما) بعد (إنْ) الشرطية، للتأكيد، كقوله: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}(الأنفال٥٧)، وقوله: {إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً}(الإسراء٢٣).

وأما (إنْ) في قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ } (سورة الزخرف ٨١)، فالتحقيق أنها للنفي، وليست شرطية، وقد ذهب إلى هذا مجموعة من المفسرين، والمعنى: ليس للرحمن ولد، بل هو إله واحد لم يلد ولم يولد؛ فلذلك آمنت به، وأنا أول العابدين لله الذي لم يلد ولم يولد.

وأما (لو) غير الامتناعية: فهي (لو) الإمكانية، بمعنى (إن)، فهي لا تفيد الامتناع إنما تفيد تعليق حصول الجواب على حصول الشرط في الزمن المستقبل، ويليها فعل مضارع، كقوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ}(الحجرات٧)، فالمعنى: إن حدث منه طاعة لكم سيكون هناك عنت ومشقة عليكم. وكقوله: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ}(الأعراف١٠٠)، أي: لو نشاء ذلك فسنصيبهم ببعض ذنوبهم، وكقول الشاعر:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ومن دون رمسينا من الأرض سبسب
لظل صدى صوتي – وإن كنت رمة – لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

وقول كثير:

رهبان مدين والذين عهدتهم يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجدا

ثانياً: الشرط الامتناعي

حيث تعلق الشرط بالجواب على وجه الامتناع، فتفيد أن الجواب ممتنع؛ لأن الشرط ممتنع أيضاً. ويكون في الماضي؛ إذ لا يتصور إمكانية تحقيق حدث قد مضى وانقضى، بخلاف المستقبل، فهو ممكن الحدوث.

وللشرط الامتناعي ثلاث أدوات في العربية: لو، لولا، لوما.

(لو الامتناعية)[1]:

نحو: لو جاء لأكرمته، (فامتنع حدوث الإكرام لأن المجيء لم يحدث).

والجواب الممتنع بعد (لو) من حيث دلالته الامتناعية – نوعان:

الأول: الامتناع التلازمي

نحو: لو طلعت الشمس لكان النهار طالعاً. فطلوع الشمس سبب لوجود النهار، ووجود النهار لا يكون إلا بطلوع الشمس، فهناك تلازم بين الشرط والجواب وجودا وعدما، فإن وجد أحدهما وجد الآخر، وإن انعدم أحدهما انعدم الآخر. فيصح أن تعكسهما فتقول: لو غابت الشمس لما طلع النهار، أو: لو لم تطلع الشمس لما طلع النهار.

ومن أمثلته قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا } (سورة الأنبياء ٢٢)، فامتنع الفساد لامتناع تعدد الآلهة. فلو حدث التعدد لحدث الفساد، ولو امتنع التعدد لامتنع الفساد. وكقوله: { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ } (سورة الأَعراف ١٧٦)، فامتنع رفعه بالآيات لامتناع مشيئة الله.

ومنه قوله تعالى: { وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ } (سورة آل عمران ١٦٧)، فهم لم يتبعوهم لأنهم ادعوا أنه ملم

[1] سميت (امتناعية)، تمييزا لها عن (لو) التقريرية، أو لو: الإمكانية. فهي تستخدم في أنواع الشرط الثلاثة، واشتهرت في الشرط الامتناعي.

يعلموا قتالا. وكقوله: { لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا } (سورة الأنبياء ٩٩)، وقوله: { وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ } (سورة المائدة ٨١).

الثاني: الامتناع الاطرادي

نحو: لو طلعت الشمس لأضاءت الغرفة. فطلوع الشمس (سبب) لإضاءة الغرفة، فإذا حدث طلوع الشمس حدثت الإفضاء اطرادا، ولكن إذا غابت الشمس فيمكن إضاءة الغرفة، بالمصابيح أو الشموع... فالشرط هنا اطرادي، بمعنى إذا وجد الأول وجد الثاني، ولكن إذا غاب الأول لم يلزم غياب الثاني، فقد يوجد وقد لا يوجد.

ولذلك لا يصح أن تعكس الجملتين، فلا تقول: لو لم تطلع الشمس لما أضاءت الغرفة، فهذه مغالطة منطقية (ويمكن قبولها من باب التجوز والمبالغة)، كأن يقول فتى لحبيبته: لو لم تستيقظي لما ابتسمت زهور المدينة.

ويمكن التمثيل له من القرآن الكريم بقوله: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } (سورة المائدة ٦٦).

**

ونحو: لو ركب المسافر الطائرة لوصل باكرا. فهذا امتناع اطرادي، ومن الصحيح أيضاً أنه كان بإمكانه الوصول باكرا لو لم يركب الطائرة (يركب السيارة، ويخرج باكرا)... ونحو: لو واظبت على الرياضة لصح جسمك.

فالامتناع الاطرادي يصدق منطقيا في الإثبات، ويكذب منطقيا في النفي.

***

(لولا)، و(لوما):

ويلي الأداةَ اسمٌ مرفوع، صريح، أو مصدر مؤول، نحو: لولا اللهُ هلكنا، فامتنع حدوث الهلاك لولا الله، وكقوله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ}(البقرة٦٤)، وقوله: { يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } (سورة سبأ ٣١)، وقوله: { وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ } (سورة البقرة ٢٥١).

ومن أمثلة مجيئه مصدرا مؤولا: قوله: { لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا } (سورة القصص ٨٢)، { وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا } (سورة الحشر ٣)، وقوله: { لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ } (سورة القلم ٤٩)، وقوله: { فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (سورة الصافات ١٤٣ – ١٤٤).

والفرق بين (لولا، لوما) و(لو)، أن (لو) تبين امتناع حدث بسبب حدث آخر. أما (لولا، لوما)، فتبين امتناع حدث بسبب وجود شيء آخر. فهما يربطان بين حدث ووجود، نحو: لولا الله لهلكنا (أي: لولا وجود الله). ومن ثم فجملة الشرط بعد (لولا) ثابتة. أما جملة الشرط بعد (لو) فممتنعة.

دلالة الإثبات والنفي في الشرط الامتناعي:

مما سبق من الأمثلة يتبين أن الشرط الامتناعي دلالته عكسية، فالجملة المثبتة منفية، والجملة المنفية مثبتة.

نحو: لو جاء زيد لأكرمته. فـ(جاء زيد) مثبتة، و(أكرمته) مثبتة. ومن ثم فدلالة الشرط هنا النفي، فالمعنى: أن زيدا لم يجيء، وأنك لم تكرمه.

ونحو: لو لم يأت زيد لخسر. فـ(لم يأت زيد) منفية، و(خسر) مثبتة. ومن ثم فدلالة الشرط: نفي المثبت وإثبات المنفي. فالمعنى: أن زيدا أتى، وأنه لم يخسر.

ونحو: لو لم يشأ الله لما حييت. فالجملتان منفيتان، ولذلك فدلالتهما عكسية، يصبح المعنى: أن الله قد شاء، وأنك حييت.

ومن الآيات التي ينبغي التنبه لها، قوله تعالى: { قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ } (سورة يونس ١٦)، فهنا حذف مقدر، والتقدير: لو شاء الله ألا أتلوه عليكم لما تلوته عليكم. (ولكن شاء الله أن أتلوه عليكم، فلذا أنا تلوته). فالنفي ليس للمشيئة، وإنما لما تعلق بها.

وهذا خلاف قوله تعالى: { وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ } (سورة الأَنعام ١٣٧)، فالله لم يشأ، وهم فعلوا. وقوله: { وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ } (سورة البقرة ٢٠)، فالله لم يشأ، وأسماعهم وأبصارهم لم يذهبها.

وأما قوله تعالى: { لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ } (سورة الأَنْفال ٦٣)، فهذا شرط تقريري، وليس امتناعيا، والمعنى: أنك ما ألفت بين قلوبهم، إنما الله هو من ألف. وذكرت هنا حتى لا يقع الوهم فيه وفي أمثاله.

ثالثاً: الشرط التقريري

ذكرت أن الشرط التقريري، هو الربط الشرطي بين حدثين، الثاني منهما مقرر سابقا، فمن ثم لا يوجد تعليق للشرط على الجواب. وإنما يهدف المتكلم إلى تقرير الجواب وبناء الشرط عليه.

وبدراسة استخدام العرب لهذا الأسلوب، يتبين أن هناك مجموعة من الروابط التقريرية بين فعل الشرط وجوابه، ومن هذه الروابط:

١- رابط التشابه والاطراد

ومن ذلك قوله تعالى: {قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ}(يوسف٧٧)، فإخوة يوسف يقولون أن سرقة بنيامين غير مستغربة، فهو يشبه أخاه يوسف، ويزعمون أن يوسف قد سرق من قبل.

وكقوله: {وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ}(فاطر٤)، أي: إن كذبك هؤلاء المشركون فلا غرابة، فالمشركون عبر التاريخ بعضهم من بعض، تأتيهم الرسل فيكذبونهم، فهم متشابهون في ذلك، كما قال تعالى: { كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ } (سورة الذاريات ٥٢ – ٥٣)، ولا يصح إجراء الشرطية السببية في الآية؛ لأن تكذيب الرسل غير مترتب على تكذيب قريش.

٢- رابط التعاقب الزمني

وقد يكون الرابط بين الحدثين، راجعا إلى التعاقب الزمني، فيحدث أحدهما ويليه الآخر، دون وجود سببية بينهما، وهذا الترابط يكون مع (إذا) [أو إحدى أدوات التعليق الزماني]، ويعقبها فعلان ماضيان، ويكون بمعنى (لمّا)، أي: لما حدث أ حدث بعد ذلك ب. أو بمعنى (كلما)، أي: كلما كان أ كان ب.

كقوله تعالى: {حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً}(الكهف٩٦)، فهنا ترابط زمني وليس سببيا بين الأحداث، فذو القرنين لما ساوى بين الصدفين قال: انفخوا. ولما جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا.

ومنه قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}(البقرة١٤)، أي: كلما يلقون المؤمنين يقولون آمنا، وكلما يلقون شياطينهم يقولون إنا معكم.

وقوله: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَذِهِ}(الأعراف١٣١)، (أي: كلما يحدث هذا يحدث ذاك)، وقوله:

صم إذا سمعوا خيراً ذكرتُ به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وهناك أدوات أخرى للتعاقب الزماني، منها: كلما، لما، عندما، ... نحو: عندما تشرقُ الشمس يتحركُ القطار، وكقوله: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا } (سورة آل عمران ٣٧)، وقوله: { فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ } (سورة البقرة ١٧)... وسأدرسها بالتفصيل في باب (الدلالة على الزمانية).

٣- رابط الاستدلال

فيكون الرابط بين الحدثين أن أحدهما دليل على الآخر، فإذا وجد الحدث لزم منه وجود الجواب، وهذا الرابط يستخدم كثيرا في الاستدلالات غير السببية، كأن يقول القاضي للسارق: إذا وجدنا بصمتك في البنك فأنت السارق. (فوجود البصمة دليل على القائم بالفعل. ومن أمثلته:

قوله تعالى: { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } (سورة يوسف ٢٦ – ٢٨)، أي: إذا تحققت هذه العلامة فقد دلت على مدلولها، ولذلك حكم عزيز مصر وفقا للعلامة.

ومنه قول عيسى لربه: {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}(المائدة١١٦)، أي: إذا حدث مني هذا القول، فيلزم أنك علمته؛ لأنك يا رب تعلم كل شيء.

ومنه مثال المناطقة: إن كان النهار موجودا كانت الشمس طالعة. فوجود النهار ليس سببا لطلوع الشمس، وإنما دليل عليه.

٤- رابط مجرد الحدوث

نحو: إن كان الإنسان ناطقاً فالفرس صاهل. فلا يوجد رابط بين جملتي الشرط، وإنما هو رابط تقريري، بمعنى: هذا موجود وهذا موجود أيضاً.

ومنه قوله تعالى: { لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} (سورة آل عمران ١٥٤)، فهما حدثان لا رابط بينهما إلا مجرد الحدوث.

٥- رابط التعميم (تقرير الجواب)

حيث يكون الهدف من مجيء الشرط تقرير جواب الشرط، فالمتكلم يقول: إن الجواب واقع، سواء تحقق الشرط أم لم يتحقق.

ومن أمثلته بعد (إنْ):

كقوله تعالى: { وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا } (سورة الكهف ٥٧)، فليس المعنى: إن دعوتهم فلا يهتدون، إذ يلزم منه أن يكون مفهومه: إذا لم تدعهم سيهتدون، وهذا غير مراد إطلاقاً. ومن ثم فالشرط في الآية يراد به تعميم الحكم بتسوية ما لم يذكر بما ذكر، بمعنى: سواء فعلت أم لم تفعل، فهو يقول: سواء دعوتهم أم لم تدعهم فهم لن يهتدوا، كما قال: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (سورة البقرة ٦)، وكقوله: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } (سورة الأَعراف ١٩٣)، فهنا أفصح عن رابط التعميم.

وكقوله: {إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا}(النساء١٣٥)، أي: سواء كان غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما. فالجملة تقرر الجواب، وهو أن الله أولى بالناس من أنفسهم.

وكقوله {فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى}(الأعلى٩)، فالأداة مستخدمة بمعنى (سواء)، أي: سواء نفعت أو لم تنفع فذكر. ونحو: الظالم وإن نام في حصنه فهو خائف. أي: سواء نام في حصنه أم لم ينم فيه فهو خائف، ومن الخطأ أن يقال: الظالم– وإن نام في حصنه، إلا أنه خائف، أو: لكنه خائف.

وكقوله تعالى: {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}(طه٧)، أي: سواء جهرت بالقول أم لم تجهر فإن الله يعلم السر وأخفى منه. فعلم الله للسر صفة أزلية غير مترتبة على الجهر بالقول.

ومن أمثلته بعد (مَنْ):

قوله: {مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}(العنكبوت٥)، فالمعنى: إن أجل الله لآت سواء رجوتم لقاءه أم لم ترجوه. ولا تحمل على الشرطية السببية؛ لأن مجيء أجل الله غير مترتب على رجائه من الناس.

والتعميم في الشرط يفيد الإرشاد، حيث ينبه المخاطب إلى ما هو الأولى به معرفته، أو عمله. ففي الآية الأخيرة يكون المقصود: إن أجل الله آت سواء رجوتم لقاءه أم لا، فمن كان يرجو لقاءه فليبادر إلى العمل الصالح فهو أولى به.

وكقوله تعالى: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (سورة الأَنْفال ٤٩)، فالله عزيز حكيم سواء توكل عليه أحد أم لم يتوكل، فإذا عرف المخاطب ذلك طلب العزة والحكمة من مصدرها الحقيقي، فتوكل على الله.

ومن هذا الباب قوله تعالى: { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (سورة الأَنعام ١٤٥)، فالله غفور رحيم، ولا يتوقف ذلك على اضطرار مضطر، فالآية ترشد المخاطب إلى التوبة وطلب المغفرة من الغفور

الرحيم. ويبين موطن الإرشاد ما ورد في قوله: { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (سورة البقرة ١٧٣).

ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (سورة النور ٢١)، فالشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر دائما، سواء اتبعه أحد أم لم يتبعه، فأمر الشيطان بالفحشاء ليس سببا عن اتباع خطواته، فهو دائما يأمر بذلك. فالآية ترشد المخاطب، إلى أن الشيطان دائما يأمر بالفحشاء والمنكر، فمن يتبعه سيضل ويشقى ويغوى؛ لأنه لا وجود للأمر بالخير في قاموس الشيطان، فماذا يتوقع من يتبعه؟!

ومن أمثلته بعد (لو):

ومنه قوله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}(التوبة٣٣)، فالله سيظهر دين الحق سواء كره المشركون أم لم يكرهوا.

وقوله: {قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُواْ اللّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(المائدة١٠٠). أي: سواء أعجبك كثرة الخبيث أم لم تعجبك، فلا يستوي الخبيث والطيب.

وكقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في زينب بنت أبي سلمة: "إنها لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي، إنها ابنة أخي من الرضاعة". فهو يقول: إنها ما تحل لي، سواء كانت ربيبتي في حجري أم لم تكن.

ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ}(لقمان٢٧)، فكلمات الله لم تنفد ولا تنفد، سواء كانت شجرات الأرض وبحارها أقلاما ومدادا، أم لم تكن.

ومثل أن تقول لحبيب أساء إليك مرة وأحسن كثيراً، ولا زلت تحبه، فيخشى أن تكون سخطت عليه: لو لم تحسن إلي ما سخطت عليك. أي: فمن باب أولى أن لا تسخط عليه إذا أحسن. فأنت تقرر الجواب، هو أنك لا تسخط عليه أبدا، أحسن أم لم يحسن.

وكقوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ } (سورة البقرة ١٠٣)، وقوله: { وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا } (سورة النساء ٦٤).

ومن أمثلته بعد (أي):

قوله تعالى {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}(الإسراء ١١٠)، أي: أي اسم تسموا (بمعنى تدعو)، فالله له الأسماء الحسنى، وهذا أمر لا يتعلق بدعاء خلقه، إنما هو حث لهم على أن يدعوه بأسمائه الحسنى.

٦- رابط (حتى ولو)

نحو: إن كان زيد في السماء ما نجا من الموت.

فالرابط بين جملة الشرط وجوابها رابط: حتى ولو، بمعنى: حتى ولو كان زيد في السماء فإنه لن ينجو من الموت. فجملة (ما نجا من الموت) تقرر الجواب، ولا تعلقه بالشرط، فلا أحد ينجو من الموت.

ومنه قوله تعالى: {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(الأنفال٣٢). فقريش بلغ بها جحودها واستكبارها أن قالت هذا القول، والمعنى: حتى ولو كان هذا هو الحق من عندك، فإننا لا نؤمن به، بل نكذب به، ولو غضبت فأمطر علينا حجارة أو عذبنا. ما أقل أدب بشر إذ يخاطبون ربهم هذا الخطاب، وكان الأولى بهم أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه. فهم يقررون الطلب (فأمطر علينا..)، دون تعليقه بالشرط، فهم يقولون: سواء هذا كان حقا من عندك أو لم يكن حقا، فأمطر علينا حجارة.. ألا يا لقلة أدبهم مع ربهم!!

وكقوله تعالى: {قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ}(الإسراء١٠٠). فالآية تقرر أن طبيعة الإنسان: الإمساك خشية الإنفاق، فهي طبيعة مفطور عليها، حتى ولو كان لديه خزائن ربي.

وكقوله تعالى: { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ } (سورة الأنعام ١١١)، وقوله: { وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } (سورة المؤمنون ٧٥).

المبحث الثاني: تركيب جملة الشرط

أولا: عناصر الجملة الشرطية:

الجملة الشرطية في اللغة العربية تتركب من ثلاثة عناصر: أداة الشرط، وفعل الشرط، وجواب الشرط. نحو: إنْ تجتهدْ تنجحْ. (إن): الأداة، و(تجتهد) فعل الشرط، و(تنجح) جواب الشرط.. وقد يأتي رابط يربط الجواب بالشرط، نحو: من ذاكر فلن يندم.

أداة الشرط:

أدوات الشرط في اللغة العربية، هي: إنْ، إذما، مَنْ، ما، مهما، متى، أين، أيان، حيثما، أنى، أي، إذا، كيف، لو، أما، لولا، لوما، لما الحينية.

وإذا جاء فعل الشرط أو جوابه فعلا مضارعا . فإنه يجزم مع بعض الأدوات، وتسمى الأدوات الجازمة، وهي: (إنْ، إذما، مَنْ، ما، مهما، متى، أين، أيان، حيثما، أنى)، كقوله تعالى: {إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ}(الأنفال١٩)، وكقوله: {مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ}(الشورى٢٠).

وتنقسم أدوات الشرط من حيث دلالتها إلى أدوات مختصة ومشتركة.

فالمختصة هي التي تختص بأحد أنواع الشرط، والمشتركة التي تستخدم في أكثر من نوع.

فأدوات الشرط الامتناعي: لو، لولا، لوما.

وأدوات الشرط التقريري: إنْ، لو، إذا (وقد تأتي أدوات أخرى، نحو: مَن، وكذلك الأدوات الشرطية الزمانية، نحو: لما، كلما، عندما...).

وأدوات الشرط الإمكاني: أدوات الشرط الجازمة. و(لو) أحياناً.

فيتبين لك أن (لو) من الأدوات المشتركة بين الأنواع الثلاثة، و(إن) مشتركة بين التقريري والإمكاني.

وكل الأدوات الشرطية يليها فعل الشرط مباشرة، إلا (أي)، فلا بد أن تضاف إلى اسم يدل عليها، نحو: أي منزل تنزل أنزل، وقد تكون (أي) نكرة فتلحقها (ما)، وتكون الإضافة منوية، كقوله تعالى {قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى}(الإسراء ١١٠)، أي: أي اسم تسموا (بمعنى تدعو).

قواعد فعل الشرط:

١. فعل الشرط بعد (لولا، لوما) يكون اسما مرفوعا (صريحا أو مؤولا).

٢. فعل الشرط بعد بقية الأدوات يكون جملة فعلية[1]، تقدم الفعل أم تأخر (نحو: إن تجتهد تنجح)، ونحو: (إن أحد استجارك فأجره)،

٣. فعل الشرط بعد (لو)، كذلك جملة فعلية، إما مباشرة (لو جاء زيد لأكرمته)، وإما مع (أنّ) [أن: موصل إفصاحي]، نحو: لو أنّ زيدا جاء لأكرمته.

٤. الجملة الفعلية في الشرط الإمكاني مستقبلية، وفي الشرط الامتناعي ماضية، وفي الشرط التقريري ماضية غالباً.

[1] أقصد بالجملة الفعلية ما ذكرته سابقا، وهو الجملة المشتملة على فعل، سواء تقدم الفعل، نحو: جاء محمد، أم تأخر، نحو: محمد جاء.

قواعد جواب الشرط:

١. **جواب الشرط قد يكون جملة إخبارية (مثبتة أو منفية، اسمية أو فعلية)، وقد يكون جملة طلبية، وقد يكون جملة استفهامية، وقد يكون جملة إفصاحية**[١].

٢. **جواب الشرط الامتناعي: ماضي المعنى، وجواب الشرط الإمكاني: مستقبل المعنى، وكلهما يكون جوابهما مشتملا على معنى الحدوث، كالجملة الفعلية، أو الجملة الطلبية. أما جواب الشرط التقريري: فقد يكون مشتملا على معنى الحدوث، وقد لا يشتمل عليه، ولذلك يكون جوابه جميع أنواع الجمل في العربية.**

قواعد رابط جواب الشرط:

٣. **جواب (لو) المثبت يقترن غالبا باللام، وكذلك جواب (لولا، لوما). أما الجواب المنفي فغالبا لا يقترن برابط**[٢].

٤. **جواب بقية الأدوات يقترن بالفاء، إذا لم يكن جملة فعلية.**

---

[١] أمثلة لجواب الشرط:

الجملة الإخبارية الاسمية: مثبتة: (من تطوع فهو خير له)، منفية: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم). الجملة الإخبارية الفعلية: مثبتة (إن تجتهد تنجح)، منفية: (إن تذاكر فلن تندم)، (إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها). الجملة الطلبية: (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني)، (من يؤمن بالله فلا يخف). الجملة الاستفهامية: (إن يخذلكم الله فمن ينصركم من بعده). الجملة الإفصاحية: إن يفز زيد فما أجدره بذلك.

[٢] أمثلة ذلك: المثبت المقترن باللام (وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ)، (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ). المثبت غير المقترن باللام (لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً). المنفي غير المقترن وهو الغالب: (وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ)، والمنفي المقترن باللام: (لو اجتهد زيد لما خسر).

٥. **الجملة الفعلية لا تقترن بالفاء، إلا إذا كانت مبدوءة باسم، أو بأداة دالة على المضي أو المستقبل، نحو: (إن يسرق فقد سرق أخ له)، (إن تأتي فسوف أكرمك)، (إن تجتهد فلن تندم)، (إن توليتم فما سألتكم من أجر). والقاعدة أن الجملة التي لا تصلح أن تكون فعل شرط، فإنها تقترن بالفاء.**

٦. **يجوز ربط الجواب بـ (إذا) الفجائية، إذا كان الجواب جملة مثبتة مبدوءة باسم، وأداة الشرط: إن، إذا، لمّا. نحو: (لما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)، (إن لم يعطوا إذا هم يسخطون)، (وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون).**

ثانيا: أحكام أخرى

(الحذف في الجملة الشرطية):

الأصل أن ترد عناصر الجملة الشرطية، دون حذف. ولكن يكثر يحذف جواب الشرط إذا دل عليه دليل، كأن يتقدم ذكره، كقوله تعالى {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}(آل عمران١٣٩)، وقوله: {قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}(المائدة١٠٠). وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}(سبأ٥١)، أي: لرأيت أمراً عظيماً. وكقوله {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}(النور١٠)، أي: لهلكتم أو افتضحتم.

كذلك في نحو: التمس ولو خاتما من حديد، أي: ولو كان المهر خاتما، ونحو: اقرأ كل يوم ولو صفحة.

وفي الجمل التفصيلية، نحو: إن خيرا فخير وإن شرا فشر، أي: إن يكن الأمر خيرا فهو خير.

وقد يحذف فعل الشرط والجواب معا، إذا تقدم ذكرهما، أو دل عليهما دليل، ففي الحديث: (من فعل فقد أحسن ومن لا فلا)، أي: ومن لا يفعل فلا حسن له، وقولهم: من يسلم عليك فسلم عليه ومن لا فلا، وكقول الشاعر:

قالت بنات العم: يا سلمى وإنْ كان فقيراً معدما قالتْ: وإنْ

وقد تحذف الأداة مع فعل الشرط إذا دل عليه دليل، كقوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}(المؤمنون٩١)، والتقدير: إذا لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق.

الإثبات والنفي:

جواب الشرط قد يكون مثبتا، وقد يكون منفيا. وقد قدمت كثيرا من الأمثلة على ذلك. فمن المثبت: (إن يجئْ محمد أكرمه)، ومن المنفي: (إن تجتهد فلن تندم)، (لو شاء الله ما أشركوا).

وأما فعل الشرط، فالغالب أن يأتي مثبتاً، نحو: منْ يعملْ خيراً يفلحْ، إن تأت تفزْ... وغيرها من الأمثلة التي قدمناها.

وقد يأتي منفياً، نحو: من لا يعمل خيراً يخسرْ، إن لم تأت تندمْ.

ومن أمثلة النفي في القرآن الكريم:

النفي بعد (إن)، مع (لم) الجازمة، كقوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}(المائدة٦٧)، وقوله: {فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ}(البقرة٢٤)، ومع (لا) النافية، كقوله: {إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}الأنفال٧٣)، وقوله: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ}(التوبة٤٠)، وقوله: {وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ}(يوسف٣٣).

النفي بعد (مَن) قوله: { وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ } (سورة الأحقاف ٣٢).

النفي بعد (لو): نحو: لو لم تأت لندمت، وكقوله: { يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ } (سورة النور ٣٥).

الاستفهام عن الشرط:

الاستفهام لا يتعلق إلا بجواب الشرط، فيدخل عليه مباشرة، نحو: إن زرتك أفتكرمني؟ لو جاء زيد أكنت تكرمه؟ وهو كثير في القرآن الكريم، ومنه: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ } (سورة الملك ٣٠).

وقد يدخل الاستفهام على جملة الشرط، فيكون المقصود هو الاستفهام عن الجواب لا عن فعل الشرط، كما في قوله تعالى: { أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } (سورة آل عمران ١٤٤)، فالمعنى: أتنقلبون على أعقابكم إن مات رسول الله أو قتل؟

ومع (لو)، كقوله: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } (سورة لقمان ٢١)، فالمعنى: لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير أفيتبعونهم أيضاً؟!

العطف على جملة الجواب:

إذا وقع فعل مضارع بعد جملة الجواب مقروناً بالفاء أو الواو أو ثم، فللمتكلم ثلاثة أوجه . والذي يحدد هذه الأوجه هو غرض المتكلم . فله الرفع على الاستئناف، فهما حرفا استئناف (أي الفاء والواو)، وله الجزم على اعتبار الحرفين مجرد حرفي عطف، وبهما قرئ قوله {وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ}(البقرة٢٨٤)، وقوله: {مَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}(الأعراف١٨٦)، فقرئ قوله (يغفر)، و(يذرهم) بالرفع وبالجزم.

ويجوز النصب على اعتبار الفاء سببية، والواو للمعية، وقد روى قول النابغة بالثلاثة الأوجه:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام

وأمثلة (ثم): قوله تعالى {وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ}(آل عمران١١١)، وقوله: {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}(محمد٣٨)، والكوفيون هم أجازوا النصب بعد (ثم).

الفصل الثالث: الجملة الاستفهامية

النوع الثالث من أنواع الجمل: الجملة الاستفهامية، وهي جملة استخبارية يطلب بها السائل الحصول على الخبر. وسأتناولها في مبحثين، الأول: السؤال، والثاني: الجواب.

المبحث الأول: السؤال

أما السؤال، فهو استفهام يطلب المتكلم من خلاله الفهم والإعلام، والاستفهام إما يكون حقيقيا أو مجازيا، فالاستفهام الحقيقي هو الذي يريد المستفهم من خلاله أن يعرف حقيقة الأمر مِن المسئول[1]، وأما الاستفهام المجازي فالسائل لا يريد من خلاله معرفة أمر غائب عنه، وإنما يريد الوصول إلى أغراض أخر، كالتهكم، أو الإنكار، أو التقرير...الخ[2].

وأيا كان الاستفهام فصوره وأساليبه في العربية عديدة، ويمكن تناولها بحسب المعاني التي تؤديها.

١- الاستفهام بطلب الإثبات أو النفي: هل، الهمزة

وهذا ما يسميه علماء البلاغة الاستفهام التصديقي، وله ثلاثة أساليب:

---

[1] يقسم البلاغيون الاستفهام قسمين: طلب التصديق، وطلب التصور، أما التصديق فهو إدْراك النسبة الحكميّة بين المسند والْمُسْنَد إليه، موجبةً كانت أو سالبة، نحو: هل جاء زيد؟ وجوابه يكون بـ(نعم) أو (لا). وأما التصور فهو: إدْراكُ المفرد، ويُطْلَبُ بالاستفهام عن التصّور إدْراكُ المسند إليه، أو إدْراكُ المسند، لتعيينه، ويكونُ الجوابُ بتعيينِ المسؤول عنه، مُسْنداً كان أو مُسنداً إليه، نحو: متى تستيقظ؟ فالجواب: الساعة الرابعة فجرا.

[2] يذكر البلاغيون كثيرا من أغراض الاستفهام المجازي، وأشهر هذه المعاني: التعجب، والإنكار، والتوبيخ، والتقرير، والعتاب، والتذكير، والافتخار، والتعظيم، والتهويل، والتهديد، والتكثير، والتسوية، والأمر، والنهي، والترغيب، والتنبيه، والدعاء، والاسترشاد، والتمني، والاستبطاء، والعرض، والتحضيض، والتحقير، والمدح، والتهكم.

الأسلوب الأول: (هل)،

ويستفهم بها عن نسبة أمر إلى آخر، وتدخل على الجملة الاسمية أو الفعلية، فتقول: هل جاء محمد؟ وهل المال كاف؟ وجوابها: نعم (في الإيجاب)، أو لا (في النفي). ومن أمثلتها في القرآن الكريم: { قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ} [المائدة: ٦٠].

وتزاد (مِنْ) الجارة يعد الاستفهام بـ(هل) كثيرا، فتقول: هل من مجيب؟ هل من سامع لندائي؟ وتفيد زيادة التوكيد في الأمر المسؤول عنه، ومنه قوله تعالى: { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ }[ق: ٣٠]، وقوله: { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } [القمر: ٥١]، وقوله: { فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} [الحاقة: ٨].

الأسلوب الثاني: الهمزة[١]،

فتستفهم بها عن نسبة أمر إلى آخر، وتدخل على الجملة المبدوءة باسم أو فعل، ولها حالتان:

الحالة الأولى: أن تدخل على الجملة المثبتة، فتقول: أجاء محمد؟ وتسأل: آلمالُ كافٍ؟[٢] وجوابها: نعم (في الإيجاب)، أو: لا (في النفي). ومنه قوله: { أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ } [المجادلة: ١٣].

والحالة الثانية: أن تدخل على الجملة المنفية، نحو: ألم أحسنْ إليك؟ أما يكفيك ما قد حصل؟ وجوابها يكون: بلى، في حالة الموافقة، و(نعم) في حالة المخالفة والنفي، فمثلا: ألم أحسن إليك؟ فإذا أنت موافق تقول: بلى، أي: أنت أحسنت إلي، وإذا أنت مخالف تقول: نعم،

---

[١] للاستفهام بالهمزة صورتان، هذه، والثانية ستأتي.

[٢] (آلمال) أصلها: ألمال كاف؟ فالهمزة الأولى استفهامية، والثانية همزة (ال)، فحين يلتقيان يتم التخفيف، وتحويل همزة الاستفهام إلى مدة، ومنه قوله تعالى: { آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٩١]، وقوله: { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ }[النمل: ٥٩].

أي أنت لم تحسن إلي. ومنه قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي } [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا } [الأنعام: ٣٠].

الأسلوب الثالث: الاستفهام بالتنغيم،

نحو: جاء محمد؟ ونحو: أنت مسلم؟ فتؤدي الجملة بطريقة التنغيم الاستفهامي، فيعلم المسؤول أنك تستفهم، ومنه قوله: { قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ } [الأعراف: ١٢٣].

**

٢- الاستفهام عن الأشياء غير العاقلة: ما

(ما)، ومعناها: (أي شيء؟)، وتسأل بها عادة عن غير العاقل من الأشياء أو الحيوانات، أو غير ذلك[١]، وللاستفهام بها صور:

الصورة الأولى:

أن يستفهم بـ(ما)، مجردة[٢]، ويليها اسم مفرد، أو جملة، ومن أمثلته في كتاب الله تعالى: { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ} [البقرة: ٦٨]، وقوله: { قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ }

---

[١] قد تستخدم مع العاقل إذا نزل منزلة غير العاقل، كأن تقول لقادم وأنت لا تعرف ما صفاته ولا حاله: ما أنت؟ ولعل منه قول فرعون حين سأل موسى: { قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء: ٢٣]، وهذا من جهالته وحماقته.

[٢] يقول علماء اللغة أن (ما) يسأل بها عن ثلاثة أمور، الأول: عن ماهية الشيء، نحو: ما النضار؟ فتجيب: هو الذهب، والثاني: حقيقة المسمى، نحو: ما الكذب؟ وكما في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟) قالوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ ، قَالَ : (ذِكْرُكَ أخَاكَ بِما يَكْرَهُ). والثالث: بيان صفات المسؤول عنه أو أحواله الخاصة، كقوله تعالى: { وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} [طه: ١٧ – ١٨]، وكقوله: { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا } [البقرة: ٦٩].

[يوسف: ٥١]، وقوله: { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } [ص: ٧٥]، وقوله: { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ } [الشعراء: ٧٠ – ٧١]، ويكثر دخولها على (لك)، أو (لكم)، أو (لنا)...كقوله: { قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ } [يوسف: ١١].

الصورة الثانية: (ماذا)، ويليها غالبا فعل، كقوله: { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ } [المائدة: ٤]، وقوله: { قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ }[يوسف: ٧١]، وقد يليها غير فعل ظاهر، كقوله: { قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ } [يونس: ١٠١].

الصورة الثالثة: أن تسبق بحرف جر، لتؤدي معه معنى خاصا في السؤال، والحروف التي تقترن بها هي:[لم، بم، مم، عم، علام، فيمَ، إلامَ]، وتلاحظ أن (ما) تكتب بدون ألف، وتنطق مقصورة، حيث تستخدم للدلالة على العلة أو الظرفية أو المجاوزة أو غير ذلك من معاني حروف الجر، نحو: عم تتحدث؟ ولم جئت؟ وأصل التركيب: ما الشيء الذي تتحدث عنه؟ وما الشيء الذي جئت لأجله؟ وتقول: إلامَ تدعو الناس؟ أي: إلى أي شيء تدعوهم؟

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: { قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ } [الحجر: ٥٤]، وقوله: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ: ١]، وقول أبي العلاء المعري:

بهِجْتَ بفرْعٍ لا ثباتَ لأصلِه، ففيمَ تُلاحي، أو علامَ تُشاجر؟

**

٣– الاستفهام عن العاقل: مَنْ

(مَنْ)، ويستفهم بها عن العقلاء، نحو: من هذا؟ ولها ثلاث صور:

الأولى: أن تأتي مجردة، ومنه قوله تعالى: { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ } [آل عمران: ٥٢]، وقوله: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ

اللهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الملك: ٢٨]، وقوله: { فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الإسراء: ٥١].

الثانية: (مَنْ ذا)، وعادة ما يليها اسم موصول، كقوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ } [الحديد: ١١]، وقوله: { وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ } [آل عمران: ١٦٠].

الصورة الثالثة: أن تسبق بحرف جر، لتؤدي معه معنى خاصا في السؤال، والحروف التي تقترن بها هي: [على من، لمن، إلى من، بمن، عمن، ممن، في من]، وهي تؤدي مع هذه الحروف معاني خاصة تتعلق بمعاني حروف الجر، كالسؤال عن انتهاء الغاية، ومن الأمثلة: { هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } [الشعراء: ٢٢١]، وقول العشماوي:

عمن تسألنا، عن لُبنَى أو سُعدى أو مَن والاها؟
مهلا، فسؤالي عن أخرى يخفق بالحب جناحاها

***

٤- الاستفهام عن الزمن: متى، أيان

(مَتَى)،

وتكون للسؤال عن الزمن مطلقا، كقوله تعالى: { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [يونس: ٤٨]، وقوله: { فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا } [الإسراء: ٥١]، ونحو: متى قامت الوحدة بين شطري اليمن؟ ونحو: متى سينعقد المؤتمر؟ وقد يسبق بـ (حتى)، أو (إلى)، نحو: إلى متى تمكث في المدينة؟ ونحو: حتام تراعي النجم في الظلم؟

(أَيّانَ)،

وهي للسؤال عن الزمن، وتختص بما لم يقع، كقوله تعالى: { يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ } [الذاريات: ١٢]، وقوله: { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا } [النازعات: ٤٢]، وقول ابن الرومي:

أقول فيما أجيب السائلين به أيَّانَ ذلك والبرهان قد وضحا

أما الاستفهام عن المدة الزمانية، فيكون بـ(كم)، وسيأتي.

**

٥- الاستفهام عن المكان: أين، أنى

(أَيْنَ)،

ويسأل بها عن المكان، نحو: أين وقع الحادث؟ ومنه قوله تعالى: { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } [الأنعام: ٢٢]، أين هم؟ في أي مكان؟ وقوله: { يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ } [القيامة: ١٠]، وقوله: { فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } [التكوير: ٢٦].

(أَنَّى)،

إذا كانت بمعنى: "مِنْ أيْنَ؟"، ويليها حرف الجر (اللام)، ثم المجرور به، كقوله تعالى: {قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ} [آل عمران: ٣٧]، وقوله: { أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ } [الدخان: ١٣]، وقوله: { وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } [سبأ: ٥٢].

**

٦- الاستفهام عن الحال: كيف، أنى

(كَيْفَ)،

ويستفهم بها عن الحال الذي عليه الشيء، كقوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام: ١١]. ومنه قول عنترة:

كيف السُّلوُّ وما سمعتُ حمائماً يَنْدُبْنَ إلاّ كُنْتُ أوَّلَ منْشِدِ

ومنه قول حافظ إبراهيم:

سائِلُوا اللَّيْلَ عنهمُ والنَّهارَا كيف باتَتْ نِساؤُهُمْ والعَذارَى
كيف أَمْسَى رَضِيعُهُمْ فَقَدَ الأمَّ وكيف اصْطَلَى مع القَوْمِ نارَا
كيف طاحَ العَجُوزُ تحتَ جِدارٍ يَتَداعى وأسْقُفٍ تَتَجارَى

(أَنَّى)،

إذا كانت بمعنى: "كَيْفَ؟"، وفي هذه الحالة يليها الفعل المضارع، وهو مذكور غالباً، كقوله تعالى: { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } [مريم: ٢٠]، وقوله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ} [غافر: ٦٩]. وقد يقدر الفعل، كقوله: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا } [آل عمران: ١٦٥]، أي: أنى يصيبنا هذا؟!

أما الاستفهام عن المسافة المكانية، فيكون بـ(كم)، وسيأتي.

**

٧- الاستفهام عن المقادير: كم

(كَمْ)،

ويستفهم بها عن المقادير، كالعدد، أو الثمن، أو المسافات، أو المدد الزمانية...

ويليها اسم منصوب، نحو: كم كتاباً قرأتَ؟ كم قلماً في المكتبة؟ (الاستفهام عن العدد)، ونحو: كم ميلا مشيت (الاستفهام عن المسافة)، ونحو: كم ساعة سهرت؟ (الاستفهام عن المدة).

وقد يليها فعل، إذا كان الاستفهام عن المدة أو المسافة، كقوله تعالى: { قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } [البقرة: ٢٥٩]، ونحو: كم مشيت ميلاً.

وقد تسبق (كم) بحرف جر، لتؤدي معه معنى معين، ويليها اسم مجرور، أو فعل، نحو: بكم ريالٍ اشتريت هذا؟ عن كم من الرجال رويتَ؟ ومنذ كم وأنت هنا؟ وكقول الشاعر:

إلى كم أنت في بحر الخطايا تبارز من يراك ولا تراه

وللسؤال عن الثمن، تقول: بكم ريالٍ اشتريتَ هذا؟ ونحو: بكم ريالٍ ستبيع هذا؟ أو: بكم هذا الثوب؟

**

٨- الاستفهام عن أكثر من شيء: أي، (أ...أم)

لهذا الاستفهام أسلوبان

الأول: (أ...أم)،

حيث يستفهم بها عن أكثر من أمر، وعلى المجيب أن يختار، فتدخل الهمزة أولا مع الخيار الأول، ثم تدخل (أم) ثانيا مع الخيار الآخر[1]، نحو: أجاء محمد أم ذهب؟ ونحو: أأنت أولى بالخير أم عليٌ؟ ومنه قوله تعالى: { يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [يوسف: ٣٩]، وقوله: { قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ } (سورة البقرة ١٤٠).

---

[1] يجب أن يلي الهمزة و(أم) الشيء المسؤول عنه، فنحو: أجاء محمد أم ذهب؟ أنت تسأل عن مجيء محمد من ذهابه، ولهذا من الخطأ أن تقول: أجاء محمد أم علي؟ فلو أردت السؤال عن أيهما القادم لقلت: أمحمد جاء أم علي؟ وتقول أضاحكا جاء محمد أم غاضبا؟ فأنت تسأل عن حال محمد وقت مجيئه، وتقول: أفي الصباح جاء محمد أم في الليل؟ ... وهكذا. ولهذا تأمل هذه الآيات القرآنية، وركز في الشيء المسئول عنه: { أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } [الدخان: ٣٧]، وقوله: { يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ } [النحل: ٥٩]، وقوله: { أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ } [الواقعة: ٦٤].

الثاني: (أي)،

ويُسْتَفْهَمُ بها لتعيين أحد المشاركين في أَمْرٍ يَعُمُّهُما، سواءٌ أمِمَّنْ يَعْقِلُ كان الشخصان، أَم مِمَّا لاَ يَعْقِل، أم زمانين، أم مكانين، أم حالَيْن، أم عددين، أم غير ذلك، وتكُونُ بِحَسَبِ ما تُضاف إليه، ويليها اسم مجرور، قد يكون مثنى أو مفردا أو جمعا[1]، نحو: أي السيارتين تسوق؟ وأي الجمعتين ستزورني؟ وأي البلدين أحب إليك؟

وقد يجتمع الأسلوبان، فتقول: أي البلدين أحب إليك؟ آليمن أم مصر؟ وتقول: أي السيارتين تفضل؟ أهذه أم تلك؟

ومن أمثلته في كتاب الله تعالى: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا } [مريم: ٧٣]، وقوله: { وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} [التوبة: ١٢٤].

ومن أمثلة سبقها بحروف الجر، قوله: { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى } [النجم: ٥٥]، وقوله: { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ } [الجاثية: ٦]، وقوله: { لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ } [المرسلات: ١٢]، وقول محمود الجواهري:

عن أي شيءٍ تَسألون فكل شيء مُحتكَرْ
لم يخلُ دَرْب من عراقيلٍ ولم يسَلَم مَمَرْ

**

٩- الاستفهام عن العلة: وله تسعة أساليب

الأول: اللام

---

[1] يقول النحاة أن (أي) إذا أضيفت إلى نكرة فيجوز أن تكون مفردة أو مثنى أو جمعا، أما إذا أضيفت إلى معرفة فلا بد أن تكون مثنى أو جمعا.

الحرف الأساس المستخدم في السؤال عن العلة هو اللام، نحو: لِمَ؟ لماذا؟ لأجل ماذا؟ لأي شيء؟ ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ } [الصف: ٢]، وقوله: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ } [الصف: ٥]، وكقول شاعر معاصر:

وقال القلْبُ وهو يَضِجُّ لِلْعَقْلِ الذي سَكِرا؟
لماذا لم تُنِرْ دَرْبِي؟! ولم تَحْفَلْ بما انْكَسَرا؟!
فلو نبَّهْتَني ما كنْتُ أَرْكبُ مَرْكبي الخَطِرا؟!
ولاسْتَيْقَظْتُ.. واسْتَنْكَرْتُ كَيْما أَتَّقي الضَّررّا

وإذا كان السؤال عن علة عاقلة، فتستخدم (مَنْ) مع اللام، نحو: لِأجل مَنْ كل هذا؟ فتجيب: لأجلك أنت.

**

الثاني: الباء، ولها صورتان:

الأولى: بِمَ؟ (بسبب ماذا؟)، كما قيل لقيس بن عاصم: بم سدت قومك؟ قال: ببذل القرى، وترك المِرا، ونصر المولى. وكقول البحتري:

سلاها بمَ استحللتِ قتل أخي هوى صفا لك منه ما يجن وما يبدي؟

الثانية: بأي، كقوله: { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ } [التكوير: ٨ – ٩].

الثالث: مِنْ

مِمَّ؟ (مِنْ ماذا؟)، (مِنْ أيّ شيء؟)، كما روي أن الأعمش قيل له: مم عمشت عيناك؟ فقال: من النظر إلى الثقلاء.

الرابع: علامَ؟

كقول عمر أبي ريشة:

تتساءلين علام يحيا هؤلاء الأشقياء؟
المتعبون ودربهم قفر ومرماهم هباء

وقول وضاح اليمن:

حَتَّامَ نَكْتُمُ حُزنَنا وَإِلَى مَا؟ وَعَلامَ نَسْتَبْقِي الدُّمُوعَ عَلىَ مَا؟

الخامس: في

فيمَ؟ (في ماذا؟)، (في أي شيء؟)، والاستفهام بهذا يأتي في الدرجة الثانية بعد اللام، كقول شاعرة:

فإن تسألاني فيم حزني؟ فإنّني رهينة هذا القبر يا فَتَيَانِ
أهابك إجلالاً، وإن كنت في الثّرى مخافة يومٍ أن يسؤك مكاني
وإنّي لأستحييك، والتّرب بيننا كما كنت أستحييك حين تراني

ومنه قول شاعر أندلسي:

بعيشك هل تدرين من أنا طالبُ ولم تدر في ماذا يكون حداها

ومنه قول أحد الأمراء لسجين: في أي شيء حبست يا فلان؟ فقال: في تهمة أصلح الله الأمير.

السادس: عمَّ؟ بمعنى: لأجل أي شيء؟، كأن تقول: جئتك، فأقول: عم؟ فتجيب: عن محبة لك، أي بسبب محبة لك.

السابع: كيْ يكون ماذا؟ كأن يقول قائل: لقد تعلمت كثيرا، فيسأله سائل: كي يكون ماذا؟ فيجيب: كي أنفع أمتي؟

الثامن: أنْ ماذا؟ فقوله تعالى: { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى } [العلق: ٦]، يستوجب سؤالا: أنْ ماذا؟ أي لأي شيء يطغى، فقال تعالى: { أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } [العلق: ٧].

التاسع: فماذا إذنْ؟

وهذا يكون سؤالا بعد سبب، ويسأل به عن مسبب، كقول الشاعر:

لأنكِ منّي شربتُ الحَزَنْ وذقتُ العذابَ . فماذا إذَنْ؟
يكون صدودكِ وجهَ الحياة!! يكون صدودكِ ذاكَ الثمنْ!!

العاشر: ما دليلك؟ وهذا السؤال يأتي في باب التعليل بالتمثيل، فحين يأتي المتحدث بحكم ما، ينشأ سؤال لدى المستمع: ما دليلك على ما تقول؟

***

١٠- الاستفهام عن ابتداء الغاية: مِنْ، منذ

(مِنْ):

ويستخدم له (مِنْ)، ولابتداء الغاية أربعة معانٍ:

الأول: ابتداء غاية الشيء غير العاقل، (مِمَّ، مِنْ أي)، نحو: مِمَّ هذا الشيء، ومن أي شيء أصله؟ ومنه قوله تعالى: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ } [الطارق: ٥]، وقوله: { مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } [عبس: ١٨].

الثاني: ابتداء غاية الشيء العاقل (مِمَّنْ)، نحو: مِمَّنْ أنت؟ ومنه ما روي أن سعيد بن عقبة سأل أعرابياً: ممن أنت؟ فقال: من قوم إذا عشقوا ماتوا، قال: عذري ورب الكعبة، ثم قال: ولم ذلك؟ قال: لأن في نسائنا صباحة وفي فتياتنا عفة.

الثالث: ابتداء الغاية المكانية (مِنْ أين)، نحو: من أين أتيت؟ ومنه قول العشماوي:

من أين نخرج أيها الليل البهيم؟ من أين نبدأ رحلة الأمل العظيم؟

وقولي:

من أين أبدأ يا حبيبي؟ والدليلْ في قلبك الحاني يسائل عن دليلْ

الرابع: ابتداء الغاية الزمانية (مِنْ متى)، نحو: مِنْ متى وأنت هنا؟

**

(منذ):

والغالب استخدام (منذ) في الغاية الزمانية لا (من)، نحو: منذ متى وأنت هنا؟ فتجيب: أنا هنا منذ الساعة الثامنة.

كذلك تستخدم (كم) مع (منذ)، فتقول: منذ كم وأنت هنا؟ أو منذ كم يومٍ ركبت البحر؟ أو منذ كم ركبت البحر؟ فتجيب: ركبت منذ ليلتين.

كذلك تقول (منذ أي وقت)، نحو: منذ أي وقت سافر محمد؟ فتجيب: سافر محمد منذ طلوع الفجر.

***

١١- الاستفهام عن انتهاء الغاية: إلى، وأدوات أخرى

الأداة الأولى: (إلى)

ويستخدم له (إلى)، ولانتهاء الغاية أربعة معانٍ:

الأول: انتهاء غاية الشيء غير العاقل، (إلامَ، إلى أي)، نحو: إلامَ تدعو الناس؟ إلى أي شيء تقودنا؟ ومنه قول بهاء الدين زهير:

فيا تاركى أنوي البعيدَ من النوى إلى أيّ قَوْمٍ بَعدَكمْ أتَيَمّمُ؟

وكقول البحتري:

إلى أيّ سِرٍّ فى الهَوَى لمْ أُخَالِفِ؟ وأيِّ غَرَامٍ عندَهُ لمْ أُصَادِفِ؟

الثاني: انتهاء غاية الشيء العاقل (إلى مَنْ)، نحو:إلى من تنتسب؟ أي: ما الأصل الأعلى الذي تنتسب إليه، فتجيب مثلا: إلى العرب، أو: إلى الإسلام. ومنه قول مجنون ليلى:

أيا مَنْ أتى ينعى الحبيب صبيحة بِمَنْ وإلى مَنْ جِئْتُمَا تشِيَانِ

الثالث: انتهاء الغاية المكانية (إلى أين)، نحو: إلى أين تتجه؟ وقول الشريف الرضي:

فقُلْ لِغَاوِ مَشَى الظّلامُ بِهِ: أين إلى أين قادك الخطل؟

الرابع: انتهاء الغاية الزمانية ، ولها أربع صور:

الأولى: (إلى متى) كقول بهاء الدين زهير:

يا هذهِ ذهبَ الصبا فإلى متى هذا التصابي

ويشيع في الشعر استخدام (إلامَ)، وأصلها: إلى متى، كقول ابن القيسراني:

إلام أعلن أسراري وأكتمها وآيــة الشــوق إعــلان وإســرار

**

الأداة الثانية: (حتى متى)،

كقوله:

أأحبابَنا حتى مَتى وَإلى مَتى أُعـرِّضُ بالشـكوَى لكـمْ وَأُصـرّحُ

ويشيع في الشعر استخدام (حتامَ)، وأصلها: حتى متى، كقول صفي الدين الحلي:

حتامَ أمنحكَ المودةَ والوفا، وتَسومُنى قصدَ القَطيعة ○ والجَفَا

الأداة الثالثة: (إلى كم)، بمعنى: إلى متى،

كقول الشاعر:

إلى كم أنت فى بحر الخطايا تبارز من يراك ولا تراه

الأداة الرابعة: (إلى أي حين)،

حيث يأتي بعد (أي) لفظ يدل على الزمان، نحو: حين، أو زمان، أو وقت، كقول ابن المعتز:

إلى أيّ حين كنتَ فى صَبوَة ○ أما لكَ فى شيءٍ وعظتَ بهِ ناهِ؟

ومنه قول المتنبي، وقد جمع معظم هذه الصور:

إلى أيّ حين أنْتَ فى زيّ مُحْرِم وَحتى مَتى فى شِقْوَةٍ وَإلى كَم

١٢- الاستفهام عن الظرفية: في

ويستخدم له (في)، نحو: في أي سيارة ذهبت؟ ونحو: فيم كنت؟ ونحو: في أي زمان أتيت؟ وفي أي مكان جلست؟ ومن أمثلته: قوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} [النساء: ٩٧]**، وقول مجنون ليلى:**

أحجاج بيت الله فى أي هودج وفى أيِّ خِدْرٍ مِنْ خُدُورِكُمُ قَلْبى

١٣- الاستفهام عن الملكية: لمن

(لِمَنْ)

نحو: لمن هذه السيارة؟ وكقوله تعالى: {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ } [الأنعام: ١٢]**.**

***

المبحث الثاني: جواب السؤال

الجواب يكون بحسب السؤال، فإذا كان السائل يطلب تعيين أمر ما، فالجواب ينبغي أن يكون بإيضاح ذلك الأمر، نحو: مَنْ عندك؟ فتجيب: محمد. وإذا سأل السائل: كم زرت مصر؟ فالجواب يبين العدد، فتجيب: زرت مصر ثلاثَ مرات.

أما إذا كان السائل يطلب التصديق فالجواب بـ(نعم)، أو (لا)، أو (بلى). ثم إن العرب تستخدم أحيانا في الجواب بعض الألفاظ لدلالة ما، ولإيصال معاني معينة إلى السامع، وهنا عرض لأشهر تلك الأساليب والمعاني:

١- (نعم) (لا)

إذا كان السائل يطلب من المخاطب تصديقا له، فإن جوابه في الإثبات بـ(نعم) وحال النفي بـ(لا): نحو: هل هذا أبوك ؟ – نعم، ونحو: أسافر محمد ؟ – لا. ومنه قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } [الشعراء: ٤١ – ٤٢].

وكذلك يستخدمان مع الوعد حال الأمر أو النهي، نحو: سلم على زيد، فتقول: (نعم)، حال الموافقة، و(لا) حال المخالفة.

ويستخدمان بعد الخبر المثبت للموافقة أو المخالفة، نحو: محمد كريم، فتقول: نعم، أو: لا، أما الخبر المنفي فنستخدم معه (نعم)، و(بلى).

– وقد يجاء بـ(اللهم) قبل حرف الجواب ؛ تقوية للجواب، وتأكيداً لمضمونه، ومثاله حين سأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أسألك بالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب الجبال آلله أرسلك إلى الناس؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهم، نعم). ونحو: أهذا التخلف والتقهقر الذي أصاب المسلمين مما يأمر به الإسلام ؟ فتجيب: اللهم، لا.

٢- (نعم) (بلى)

إذا كان السؤال تقريريا، والجملة منفية، فإن جوابه في الإثبات والتصديق (بلى)، وفي النفي والتكذيب (نعم)، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك، نحو: ألم أحسنْ إليك؟ أما يكفيك ما قد حصل؟ وجوابها يكون: بلى، في حالة الموافقة والتصديق، و(نعم) في حالة المخالفة والنفي، فمثلا: ألم أحسن إليك؟ فإذا أنت موافق تقول: بلى، أي: أنت أحسنت إلي، وإذا أنت مخالف تقول: نعم، أي أنت لم تحسن إلي[1]. ومنه قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} [البقرة: ٢٦٠]، وقوله: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا } [الأنعام: ٣٠]، وكقوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ } [الزخرف: ٨٠].

**

٣- (أَجَلْ)

وهي بمعنى (نعم)، وتستخدم للموافقة، سواء الموافقة في الخبر أو في الطلب، فمن قال: أقام زيد؟ تجيبه: أجلْ، ومن قال: اذهب إلى زيد، فتجيبه: أجلْ. قال الأخفش: إنها تكون في الخبر والاستفهام، إلا أنها في الخبر أحسن من (نعم)، و(نعم) في الاستفهام أحسن منها. ومنه قول كثير عزة:

تقولُ حليلتى لمّا رأتنى أرقتُ وضافنى همٌّ دخيلُ
كأنَّكَ قد بدا لك بعد مُكثٍ وطولِ إقامةٍ فينا رحيلُ
فَقُلْتُ: أجَلْ، فَبَعْضَ اللَّوْمِ إنّي قَدِيماً لا يلائِمُنِي العذولُ

ومن الأبيات التي تذكر هنا قول الشاعر الأندلسي حيدر بن سليمان، وقد جمعت كثيرا من أحرف الجواب:

---

[1] وهذا بعد السؤال، إما إذا لم يسبق بسؤال فالأمر مختلف، فلو قيل: ما جاء علي، فإن الموافقة والتصديق تكون بـ(نعم)، والمخالفة والتكذيب تكون بـ(بلى)، وقد أشرت إلى هذا.

قامت تجنّى لى فى دَلهِّا قلتُ لها: رِفقاً بأسراكِ
قالت: نعتَّ البدر فى سعدِه؟ قلتُ: نعم وهو مُحيَّاكِ
قالت: وصفتَ الدرَّ في سمطِه؟ قلت: بلى وهو ثناياكِ
قالت: نسيمُ الورد أطريتَه؟ قلت: أجل والوردُ خدَّاكِ
قلت: فمن خصركِ قلبى اشتكى ضعفاً، فقالت: كذِبَ الشاكى
قلت: إذاً أدعو له بالضنا قالت: وزِدهُ ثِقلَ أوراكِ

***

٤- (إيْ)

حرف جواب بمعنى "نعم" ويقال بمعنى "بلى" فيكون جوابا لتصديق المخبر ولإعلام المستخبر ولوعد الطالب، ولا تقع إلا قبل القسم نحو "إي والله"، ومنه قوله تعالى: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } [يونس: ٥٣]، ومنه قول الشاعر المعاصر فهد العسكر:

يا بنى العرب إنما الضعف عارٌ إي وربى سلوا الشعوب القويّة
كم ضعيف بكى ونادى فراحت لبكاه تقهقه المدفعية

**

٥- (إذَنْ)

(إذن) وتكتب (إذاً) أيضا.

تستخدم (إذن) في الجواب، وتأتي (إذن) للدلالة على الجزاء، وهي تستخدم في جواب الشرط، وفي جواب السؤال.

ولها عدة صور:

الأولى: استخدامها في جواب الشرط، مع (لو)، و(إنْ)؛ لتقوية الجواب، نحو: إن جاء محمد إذن أكرمْه، وكقوله تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ

سَبِيلًا } [الإسراء: ٤٢]، وقوله: {قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ } [الإسراء: ١٠٠]، ومنه قوله: {قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ } [يوسف: ١٤]، ومنه قوله:

فلــو خلــد الكــرام – إذن خلــدنا ولــو بقــى الكــرام إذن بقينــا

وقوله:

لــئن عــاد لــي عبــد العزيــز بمثلهــا وأمكننــي منهــا إذن لا أقيلهــا

الثانية: استخدامها في جواب السؤال الظاهر؛ للدلالة على المجازاة في المستقبل، ويأتي بعدها فعل مضارع يجوز نصبه ورفعه[1]،كان يسأل سائل: ماذا لو رأيت البائس؟ فتجيب: إذن أكرمُه، (أو: إذنْ أكرمَه)، ونحو: ماذا لو أتيتك زائرا؟ فتجيب: إذن أكرمَك (أو: إذن أكرمُك).

الثالثة: استخدامها في جواب السؤال المقدر، للدلالة على المجازاة في المستقبل، ويأتي بعدها فعل مضارع يجوز نصبه ورفعه، كأن يقول قائل: سأغضي عن هفواتك، فتقول: (إذن أعتذرُ عنها مخلصا) (أو: إذن أعتذرَ عنها مخلصا)، فالتقدير: سأغضي عن هفواتك، فماذا يكون موقفك؟ وكأن يقول قائل: سأزورك، فتجيب: إذن والله أكرمك.

ولعل منه قوله تعالى: { وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ } [الإسراء: ٧٤ – ٧٥]، فحين قال: لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. فنشأ سؤال: وماذا لو ركن إليهم؟ الجواب: إذاً لأذقناك ضعف الحياة، أي: لو ركنت إليهم شيئا لأذقناك. وكقوله: { مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ } [المؤمنون: ٩١]، وكقوله: { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ } [العنكبوت: ٤٨].

[1] ذهب بعض النحاة إلى أن (إذن) مهملة دائما، وعليه فيرفع المضارع بعدها، جاء في شرح الأشموني: (حكى سيبويه وعيسى بن عمر أن من العرب من يلغيها مع استيفاء الشروط وهي لغة نادرة، ولكنها القياس لأنها غير مختصة). وأشير هنا إلى أن نصب المضارع إنما يجوز بشروط: إذا صدرت (إذن)، واتصلت بالفعل في الغالب، وكان المضارع مستقبلا.

الرابعة: المجيء بها بين طرفي الجملة؛ للمح الدلالة على الجزاء، وكأن هناك سؤالا مقدرا عن الجزاء، فيؤتى بـ(إذن) كجواب عن هذا السؤال المقدر، كقوله: { مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ } [الحجر: ٨]، فالتقدير: ولو نزلناهم ما كانوا إذن منظرين، وكقوله: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: ١٤٥]، وكقوله: { فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } [القمر: ٢٤]، وكقوله: { أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى } [النجم: ٢١ – ٢٢]، وكقوله: { وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ } [الشعراء: ١٩ – ٢٠].

٦- (لبيك وسعديك)

وهي في الحقيقة ليست جوابا لسؤوال، وإنما جواب للنداء، فتقولها لمن يناديك أو يدعوك لأمر، ومعنى لبيك: أجيبك إجابة بعد إجابة، ومعنى سعديك: أساعدك مساعدة بعد مساعدة، جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى: (يا معاذ) فقال: لبيك يا رسول الله وسعديك. ومنه قول ابن المعتز:

لَبيّكَ، يا مَن دَعانى عندَ عَثرَتِه، لبيّكَ ألفَين، يا مولايَ ، لبّيكَا
لو كنتُ منكَ قريباً حينَ تسمعنى جَعَلتُ خَدَّيَّ أرضاً تحتَ رجلَيكَا

**

الفصل الرابع: الجملة الطلبية

الجملة الطلبية، هي الجملة التي يطلب المتحدث فيها شيئا، وهي قسمان:

القسم الأول: الجملة الطلبية التوجيهية، حيث يطلب من الآخر إما فعل شيء أو ترك شيء. وتشتمل على: الأمر والنهي.

القسم الثاني: الجملة الطلبية الحصولية، وهي التي يطلب المخاطب فيها الحصول على شيء. وتشتمل على: التمني والترجي.

ويلحق بالجملة الطلبية الحصولية: الدعاء، والدعاء طلب يستخدم صيغ الطلب التوجيهي عادة (صيغ الأمر والنهي)، ولكن الغرض منه: طلب الحصول على الشيء، وليس التوجيه، فالدعاء من حيث الصيغة: توجيهي، ومن حيث الدلالة: حصولي. وسأدرسه ضمن القسم الثاني.

ومن هذا القسم أيضا: الاستغاثة، وهو طلب حصول الغوث (وله أساليبه العربية الخاصة).

لذلك أتناول الفصل في ثلاثة مباحث، الأول: الطلب التوجيهي، والمبحث الثاني: التمني والترجي، والمبحث الثالث: الدعاء والاستغاثة.

المبحث الأول: الطلب التوجيهي (الأمر والنهي)

الطلب التوجيهي في اللغة العربية إما يكون بتوجيه الآخر إلى الفعل، وإما بتوجيهه إلى الترك. وهناك أساليب عديدة للطلب، منها: الصيغ المباشرة، وهي صيغ الأمر والنهي، ومنها: صيغ التحذير والإغراء، ومنها: أسلوب الحث والتحضيض، وكذلك أسلوب العرض، وأخيراً أسلوب التوبيخ والتنديم.

أولاً: الأمر

١- الأمر باللفظ:

نحو: آمرك أن تفعل كذا، كقوله: { إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ } (سورة النساء ٥٨). وهناك ألفاظ أخرى، نحو: أوجب عليك أن تفعل كذا، وغيرها من ألفاظ تدل على الإيجاب والفرض.

٢- الأمر بصيغة: افعل:

وهي أشهر صيغ الأمر، نحو: اكتب الدرس، ومنه قوله تعالى: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } (سورة البقرة ٤٣).

٣- الأمر بصيغة: لِتفعلْ

حيث تدخل (لام الأمر) على الفعل المضارع، ويكون الفعل المضارع مجزوما، نحو: لتقمْ إلى الصلاة، ومنه قوله: { فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ } (سورة النساء ١٠٢).

٤- الأمر باسم الفعل

نحو: دونَك الأمر، وعليك نفسَك، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ } (سورة المائدة ١٠٥).

٥- الأمر بالمصدر النائب مناب الفعل

حيث يؤتى بمصدر الفعل، ويكون منصوبا، نحو: مشياً على الأقدام، أيها الناس سعياً إلى الحق، وجهاداً في سبيله، ونصرةً لأهله. ومنه قوله: { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ } (سورة محمد ٤). أي: فاضربوا الرقاب.

٦- الأمر بصيغة الخبر

كقوله: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } (سورة البقرة ٢٣٣)، فالآية إخبار بمعنى الأمر، أي: فليرضعن أولادهن.

وقد يكون ذلك في مقام الوصف بمدح فاعله، كقوله: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (سورة التوبة ٧١)، أي: ليكن المؤمنون والمؤمنات كذلك.

٧- الأمر بصيغ الإغراء، أو الحث والتحضيض

نحو: الماءَ الماءَ. والحديث عنه في صيغ: التحذير والإغراء.

٨- الأمر بصيغة الاستفهام

كأن تقول لمن قدمت له طعاما: ألا تأكل؟ (وأنت تقصد: كلْ). قال تعالى: { فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } (سورة هود ١٤)، أي: فأسلموا، وقوله: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } (سورة المائدة ٩١)، أي: فانتهوا.

ثانياً: النهي

١- النهي باللفظ:

نحو: أنهاك أن تفعل كذا، ومنه قوله: { يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } (سورة الأعراف ١٥٧)، وقوله: { إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ } (سورة الممتحنة ٩)، وهناك ألفاظ عديدة للنهي، يدرسها الأصوليون في كتب أصول الفقه، كلفظ: المحرم، والمكروه، كما في قوله تعالى: { كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا } (سورة الإسراء ٣٨)، والآيات تتحدث عن محرمات.

٢- النهي بصيغة: لا تفعل

كقوله: { وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } (سورة البقرة ٣٥)، وقوله: { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } (سورة آل عمران ١٠٥). و(لا) ناهية جازمة، والفعل المضارع بعدها مجزوم.

٣- النهي بطريق الإخبار

ويكون في مقام الذم أو المدح، نحو: المؤمن لا يكذبُ، ومنه قوله تعالى: { الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ } (سورة النور ٣)، فهنا إخبار، وذمه يبين أنه منهي عنه. أو في مقام الوعيد الشديد، كقوله: { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } (سورة النساء ٩٣)، ويقول المدير لموظفيه: من يغب هذا الأسبوع فسأخصم عليه اليوم بثلاثة أيام.

وقد يكون في سياق أن المخاطب مستجيب للطلب، ومن ثم فإنك تخبره إخبارا دون طلب، كقوله: { الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } (سورة البقرة ١٩٧).

٤- النهي بصيغة: ما كان

نحو: ما كان لك أن تكذب (تقولها لشخص قبل أن يتحدث)، فهي تفيد النهي عن الكذب، ومنه قوله: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى } (سورة التوبة ١١٣).

٥- النهي بصيغة الاستفهام

نحو: أتجبن عن لقاء العدو؟ (أي: لا تجبن)، ومنه قوله: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ } (سورة الإنْفطار ٦)، أي: لا تغتر.

ثالثاً: التحذير

وهو تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه، فالتحذير يراد منه نهي المخاطب عن الفعل.

وأسلوب التحذير فيه محذِّر، وهو المتكلم، والمحذَّر، وهو المخاطب، ومحذَّر منه.

من أساليب التحذير:

١- الأسلوب الأول: أسلوب الأمر.

ويكون المحذر منه منصوباً. وله عدة صور:

أ. الصورة الأولى: المجيء بالمحذَّر منه بعد فعل الأمر، إما مذكور، نحو: احذر إغضابي، وكقوله:

واحذر مصاحبةَ اللئيم فإنها تُعْدي كما يُعْدي الصحيحَ الأجربُ

وفي حال ذكر الفعل يكون المحذّر منه منصوباً على المفعولية.

وإما يكون الفعل محذوفاً، فتقول: النارَ. (تحذر طفلاً يقترب منها)، أي: احذر النارَ. وتقول: السيارةَ (تحذر طفلا يقترب منها). وتقول للناس: العولمةَ (تحذرهم منها)[1].

والفعل المحذوف يقدر عادة بـ:احذر، أو بفعل آخر يناسب المقام، نحو: أن تقول لمن يحاول لمس طلاء سائل: يدَك، أي: أبعد يدك، أو: صن يدك.

ب. الصورة الثانية: تكرار المحذر منه

[1] عند حذف الفعل، لك في المحذر منه النصب، بتقدير فعل: احذر، كما يجوز المجيء بالمحذر منه مرفوعاً، بتقدير: هي النارُ فاحذروها. هي العولمة فاحذروها. وجعل منه بعض المفسرين قوله تعالى: {الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ}(القارعة١-٢)، ونحو ذلك، وقد قرئت بالنصب في الشواذ.

إما على سبيل التوكيد اللفظي، نحو: البردَ البردَ، (أي: احذر البرد).

أو بعطف شيء آخر، نحو: البردَ والمطرَ. (أي: اجتنب البرد والمطر). ونحو: يدَك يدَك، ونحو: يدَك وملابسَك. (أي:صن يدك وملابسك). وفي هذه الحالة يسمح المجيء بالفعل.

ويكثر المجيء بلفظ (اللهَ اللهَ)، نحو: اللهَ اللهَ في أمري، (أي: أحذرك الله وعقابه)،

ج. الصورة الثالثة: التحذير مع واو المعية

وهناك صورة تكون بالواو أيضاً. لكن الواو للمعية، نحو: يدَك والسكينَ، رأسَك وحرارةَ الشمس، أصابعَك والحبرَ.

والتقدير: (صن يدك وأبعد السكين، احفظ رأسك واحذر حرارة الشمس)، أو يكون التقدير: (راقب يدك مع السكين، احفظ رأسك مع حرارة الشمس، باعد أصابعك مع الحبر).

وكقوله تعالى: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}(الشمس١٣)، أي: ذروا ناقةَ الله وشربَها في يومها الذي لها فلا تمسوها.

د. الصورة الرابعة: التحذير بصورة (اللهَ في...)

ومنه صورة هذه هيئتها (اللهَ في...)، فالمحذَّر منه ما يأتي بعد حرف الجر (في)، فتقول مثلا: اللهَ في تضييعِ وقتك. (أي: اتق الله في تضييع وقتك). وكقول شوقي يخاطب حبيبته:

اللهَ في الخلقِ من صَبٍّ ومن عانِي تذوَى القلوبُ ويبقى قلبك الحاني

(أي: اتق الله في إغواء الخلق)، وكقوله:

بيني وبينك حرمة اللهَ في تضييعها

٢- الأسلوب الثاني: أسلوب النهي،

حيث يؤتى بالمحذر منه منهيا عن الوقوع فيه، كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}(المائدة١٠١)، فالقرآن يحذر من السؤال عن هذه الأشياء، وكقول الشاعر:

لا تلمني في هواها ليس يرضيني سواها

فهو يحذر المخاطب من لومه نتيجة وقوعه في هوى المحبوبة.

**

٣- الأسلوب الثالث: التحذير بـ (إياك)، وله عدة صور:

الصورة الأولى: يجاء بـ(إياك) وبعدها الواو ثم الاسم المحذر منه منصوباً على التحذير. نحو: إياك والجودَ بدِينك، والبخلَ بمالك، ونحو: إياكما والتفريطَ في أوقاتكما. ونحو: إياكم والانسياقَ وراء الرغبات الصهيونية.

الثانية: مثل الأولى، ولكن دون واو، نحو: إياكم تحكيمَ الأهواء السيئة، فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، وكقول الشاعر:

إياك إياك المراءَ فإنه إلى الشر دعّاءٌ وللشر جالب

الثالثة: يجاء بـ(إياك) ثم الاسم المحذر منه مجروراً بـ(من) بعد (إياك...)، نحو: إياك من مؤاخاةِ الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. ونحو: إياكن من الاغترار بالمظاهر البراقة التي تريد هتك أستاركن.

الرابعة: صورة (إياك وإياه): فيكون المحذر منه ضميرا غائبا بعد (إيا)، نحو: لا تسيروا وراء ركب حضارة الغرب الجوفاء – وإياكم وإياها. وكقول الشاعر:

فلا تصحب أخا الجهل وإياكَ وإياهُ

رابعاً: الإغراء

وهو دلالة المخاطب على أمر محبوب ليفعله، بطريقة الإغراء، وأسلوبه كأسلوب التحذير الأول، وهو الأمر،

إما مع الفعل، نحو: الزم الاعتدالَ، وتحرّ الصدقَ.

وإما مع اسم الفعل، نحو: عليك بالصدق في الحديث.

وإما بحذف الفعل، نحو: الاعتدالَ، ونحو: الفرارَ من صحبة اللئيم. وفي هذه الحالة يجوز نصب المُغْرَى به ورفعه[1].

وإما بتكرار المغرى به، نحو: الاعتدالَ الاعتدالَ.

أو بعطف آخر عليه، نحو: الفرارَ والهربَ من اللئيم الأحمق.

أو بالمجيء بواو المعية، نحو: شعرَك والاعتناءَ به، ونحو: أمتَكم والارتقاءَ بأبنائها.

---

[1] وعلى الرفع جاء قول الشاعر:

إن قوماً منهم عُمير وأشباه عُميرٍ ومنهم السفاحُ
لجديرون بالوفاء إذا قال أخو النجدة: السلاحُ السلاحُ

خامساً: الحث والتحضيض

ويراد به: حث المخاطب وحضه على فعل الشيء، نحو: هلا تجاهد الأعداء، فأنت تحثه على جهاد الأعداء.

والأدوات التي تدل على هذا الأسلوب هي: لولا، لوما، هلا، ألاّ، ألا، لو.

وهذا الأسلوب يتعلق بالمستقبل، ولذلك يأتي بعد فعل مستقبل معنى، بصيغة المضارع، أو الماضي.

١- فالفعل المضارع، مثل: {لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}(النمل٤٦)، و{لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}(الحجر٧)، و{أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}(التوبة١٣)، و{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ}(الشعراء١٠٦)، و: ألاّ تصاحبُ النبيل، و: هلاّ تقاتلُ الأعداء، ونحو قولك لبخيل: لو تتبرع لدر الأيتام فتؤجر[1].

٢- والفعل الماضي لفظاً، المستقبل معنى، كقوله: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}(التوبة١٢٢)، و{وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا}(الفرقان٢١)، و{وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ}(المنافقون١٠)، أي: لولا ينفر، لولا ينزل، لولا تؤخرني.

---

[1] الأصل أن الفعل يلي الأداة، ولكن قد يتقدم على الفعل المضارع معموله، نحو: هلا الأعداءَ تقاتل، ألاّ النبيل تصاحب، وكقوله:[فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ{٨٣} وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ{٨٤} وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ{٨٥} فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ{٨٦} تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ{٨٧}](الواقعة٨٣-٨٧)، أي: فلولا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم، (إن كنتم غير مدينين) وهو في هذه الحالة، (ولولا الثانية تكرار للأولى).

وقد يأتي للتحضيض جواب وقد لا يأتي بحسب المقام، فإذا جاء جواب وجب أن يكون مضارعاً إما مقروناً بفاء السببية فينصب، نحو: هلا تدعو إلى الخير فتشتهرَ به. وإما خالياً منها فيجزم، نحو: هلا تدعو إلى الخير تشتهرْ به.

وقد اجتمعا في قوله تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ}(المنافقون١٠)، (فأصدق) منصوب، و(أكن) مجزوم، كأن التقدير (لولا أخرتني أكنْ).

***

سادساً: العرض

الغرض منه: تحبيب المخاطب في فعل شيء، وترغيبه على القيام به.

والفرق بينه وأسلوب الحث، أن الحث فيه نوع من الشدة، ودعوة المخاطب إلى العمل بقوة، أما العرض ففيه لين، ودعوة المخاطب إلى العمل بود. وللعرض أداتان:

الأولى: (ألا)، ويليها الفعل المضارع،

ومن أمثلته: {وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(النور ٢٢)، ومثل:

ألا رجلا جزاه الله خيراً يدل على محصلة تبيت
ترجل لمتى وتقيم بيتي وأعطيها الإداوة إن نضيت

أي: ألا تروني رجلا هذه صفته.

الثانية: (لو)، ويليه الفعل المضارع.

نحو: لو تنزلُ عندنا فتصيبَ خيراً، ومثل قولي:

لو تعطيني قلبي – إني في أرضك لا قلبَ لدي

أي: لو تعطيني قلبي فأعيشَ به؛ لأني في أرضك لا قلب لدي.

والعرض قد يأتي له جواب، وقد لا يأتي، ويكون جوابه مضارعاً مقروناً بالفاء السببية منصوبا، أو مجردا عنها مجزوما. وإذا جاء ل جواب فيكون كجواب أدوات التحضيض، وقد سبق بيانه، نحو:

يا بن الكرام ألا تدنو فتبصرَ ما قد حدثوك فما راءٍ كمنْ سمعا

سابعاً: الإباحة

الإباحة أن يخير المخاطب بين الفعل والترك، ولها أساليب عديدة،

١- الأسلوب الأول: ألفاظ دالة على الإباحة:

الأول: استخدام الألفاظ الدالة على الإباحة، كقوله تعالى: { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة: ١٨٧]، وقوله: { الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } [المائدة: ٥].

٢- الأسلوب الثاني: ألفاظ دالة على نفي الحرج:

الثاني: نفي الحرج، أو الإثم، نحو: لا جناح عليك أن تذهب إلى زيد، ونحو: لا بأس عليك لو فعلت هذا، ومنه قوله تعالى: { وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ } [البقرة: ٢٣٥]، وقوله: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ } [النور: ٦١]، وقوله: { وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى } [البقرة: ٢٠٣].

٣- الأسلوب الثالث: استخدام فعل الأمر

استخدام فعل الأمر، مع وجود قرائن دالة على أن الأمر للإباحة، كقوله: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا} [الجمعة: ١٠]، وقوله: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } [البقرة: ١٨٧].

٤- الأسلوب الرابع: استخدام (أو)

ويكون بعد أمر، نحو: كُلْ موزا أو تفاحا، ونحو: زر مصر أو السودان، و(أو) هنا كالتخيير، إلا أن الإباحة تعني: ترك المخاطب حرا في اختيار أحد المتعاطفين فقط أو اختيارهما معا، فيجمع بينهما لو شاء، بخلاف التخيير (فهو لا يختار إلا أحدهما لا غير)، ونحو: جالس الحسن أو ابن سيرين.

٥- الأسلوب الخامس: استخدام (إما ... وإما)،

ويكون المراد به الإباحة لا التخيير، حيث يصح الجمع بينهما، نحو: إما أن تزرع فاكهة وإما قصبا.

المبحث الثاني: التمني والترجي

التمني هو طلب أمْرٍ محبوبٍ أو مرغوبٍ فيه، ولكن لا يُرْجَى حصولُهُ في اعتقاد المتمنّي، لا ستحالته في تصوُّره، أو هو لا يطمَعُ في الحصول عليه، إذْ يراه بالنسبة إليه معذّراً بعيد المنال، نحو: ليت الشبابَ يعود (يقولها شيخ كبير).

أما الترجي (أو التوقع)، فهو طلب أمر محبوب، يرى طالبه أنه ممكن الوقوع، فهو يترقب وصوله، وينتظر حصوله، نحو: لعل المسافرَ يعود.

وأما التوقع، فهو انتظار أمر ما، قد يكون محبوبا أو مكروها، وإذا كان مكروها، فإنه يسمى الإشفاق، نحو: لعل الحرب تشتعل. وصيغه مثل صيغ الترجي.

أولاً: التمني

١- التمني بلفظ التمني:

نحو: لقد تمنيت أن أفعل هذا الأمر.

٢- التمني بـ(ليت):

تدخل (ليت) على جملة اسمية، فتنصب الاسم وترفع الخبر، نحو: ليت الشبابَ يعود، وكقوله: { قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ } (سورة القصص ٧٩)، فالقائلون يستبعدون حصول هذه الثروة لهم.

٣- التمني بصيغة الطلب (الأمر والنهي)

وذلك في مقام طلب الشيء المحبوب الذي لا قدرة للطالب عليه ولا طمع له في حصوله. كقوله تعالى: { رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ } (سورة المؤمنون ١٠٧)، فقد طلبوا الخروج من النار ولات حين خروج، إنه محال ولا طمع لهم في حصوله ولكنه التمني. ومنه قول امرئ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبحٍ، وما الإصباح منك بأمثل

وللمعري:

فيا موت زُرْ؛ إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

فطلب الانجلاء من الليل تمني، وطلب زيارة الموت تمنٍ أيضاً.

وكقول الآخر:

يا ليل طُلْ، يا نوم زُلْ يا صبح قف لا تطلع

٤- التمني بالاستفهام:

كقوله: { يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } (سورة الأَعراف ٥٣)، فقوله: (هل لنا من شفعاء) هو تمنٍ منهم، جاء بصيغة الاستفهام.

٥- التمني بـ(لو) الامتناعية

كقوله: { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ } (سورة البقرة ١٦٧). وقال جرير:

ولَّى الشَّبَابُ حَمِيدَةً أيَّامُهُ لَوْ كَان ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يَرْجِعُ

فهو يتمنى عودة الشباب.

٦- التمني بـ(لعل)

وذلك في مقام يدعي المتكلم فيه إمكانية حدوث الأمر، فكأنه لا يعترف أنه غير ممكن، كأن يقول: لعل الشباب يعود يوما، ومنه قول الشاعر:

أسِرْبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ؟ لَعَلِّي إلى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أَطِيرُ

وما تمناه الشاعر العربي قبل قرون، أصبح اليوم ممكن التحقق، فالإنسان يطير فعلا إلى من يهوى. **

ثانياً: الترجي والتوقع

١- الترجي بلفظ الرجاء

نحو: إني لأرجو أن يتحقق هذا الأمر، أو: إني لآمل أن يتحقق.

٢- الترجي بـ(لعل):

تدخل (لعل) على جملة اسمية، فتنصب الاسم وترفع الخبر، نحو: لعل الفرجَ قريب. ومنه قوله: { قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } (سورة القصص ٢٩).

وفي قوله: { قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ } (سورة المؤمنون ٩٩ – ١٠٠)، فاستخدمها الكافر في هذا المقام؛ ليبين حالته النفسية، وتعلقه بأمل ما في أن يعود إلى الدنيا ليحسن العمل.

ولأن الترجي يعد طلباً، فإن الفاء إذا جاءت بعد جملة الترجي داخلة على المضارع، فإنها تكون فاء سببية، وتنصب المضارع، نحو: لعلك تحسن اختيار الكلام، فتفوزَ بإعجاب السامعين، ومنه قوله: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى } (سورة غافر ٣٦ – ٣٧).

٣- الترجي بـ(عسى) وأخواتها من أفعال الرجاء:

وأخواتها هي: (أوشك، واخلولق، وحَرَى)، وكلها تدل على الترجي والتوقع. ويأتي بعدها اسم مرفوع، وخبرها مضارع مسبوق بـ(أنْ)، نحو: اشتد الغلاء؛ فعسى اللهُ أنْ يُخفف حدَّته، وتقول: عسى الفرج أن يكون قريبا، ونحو: اخلولقت السماءُ أن تمطر، وأوشك الفجر أن ينبلج، وحرَى

زيد أن يأتي. ومنه قوله: { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا } (سورة يوسف ٨٣)، وقال: { فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ } (سورة الكهف ٤٠)، وقال: { وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ } (سورة القصص ٢٢). ومنه قول الشاعر:

عَسَى الكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتُ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءُه فَرَجٌ قَرِيبُ

وقد جاء الفعل دون (أن)، وهو جائز في (عسى)، ولكنه قليل.

ويكثر أن يتأخر الفاعل بعد عسى، نحو: عسى أن يشفيك الله، ومنه قوله: { وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا } (سورة الكهف ٢٤).

٤- الترجي بـ(ربما):

نحو: ربما يفوز محمد في السباق، فهي تدل على الاحتمالية والرجاء.

٥- الترجي بالاستفهام:

كقول الشاعر:

مَضَى زَمَنٌ والنّاسُ يِسْتَشْفِعُونَ بي فَهَلْ لِي إِلَى لَيْلَى الْغَدَاةَ شَفِيعُ؟

٦- الترجي بالدعاء:

نحو: يسر الله أمرك، (فأنت تدعو له، ودعاؤك رجاء).

المبحث الثالث: الدعاء والاستغاثة

أولاً: الدعاء

الدعاء هو صدور الكلام من الأدنى إلى الأعلى على هيئة الطلب. وله عدة أساليب:

١- الدعاء بصيغة الأمر

ومن أمثلته: دعاء المسلم ربه {اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ}(الفاتحة٦)، ودعاء موسى ربه: {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي{٢٥} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي{٢٦} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي{٢٧} يَفْقَهُوا قَوْلِي{٢٨} وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي{٢٩} هَارُونَ أَخِي{٣٠} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي{٣١} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي{٣٢}}(طه٢٥-٣٢)، ودعاء المؤمنين: {رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ}(آل عمران١٩٣).

وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء هنا إظهار كمال الخضوع له، وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال حتى كأنها أمور مطلوبة من الله.

وللمتنبي يخاطب سيف الدولة – توسلاً ودعاء لا أمراً:

أزل حسد الحساد عني بكبتهم فأنت الذي صيرتهم لي حسداً

وله عدة صيغ، فمنها: فعل الأمر، كما مثلنا، ومنها المضارع المقترن بلام الأمر، نحو: لِتغفْر لي يا رب.

٢- الدعاء بصيغة النهي:

والدعاء بأسلوب النهي يدل أيضاً على الرغبة القوية في تحقيق الدعاء، ومن أمثلته: دعاء المؤمنين: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}(البقرة٢٨٦)، {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}(آل عمران٨).

ويكثر المجيء بالمنادى المدعو قبل هذين الأسلوبين، إما مقترنا بحرف النداء، نحو: يا ربنا انصرنا ولا تنصر علينا، وكثيراً ما يحذف حرف النداء، كما في الآيات السابقة[(١)].

---

(١) وقد يدخل حرف النداء على لفظ الجلالة، نحو: يا ألله، سبحانك أنت القدير فانصرنا، أنت القوي فقونا، و(يا ألله) يصح اعتبار الهمزة همزة قطع فتنطق، أو وصل (يا الله) فلا تنطق.

وغالباً ما تحذف ياء النداء، ويعوض عنها الميم، فتصير (اللهم)، كدعاء عيسى: {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}(المائدة١١٤). ولا نأتي بحرف النداء مع لفظ (اللهم)، فلا تقل: (يا اللهم). ويصح حذف (ال) من (اللهم)، فتصبح (لاهُمّ)، إلا في الشعر، كقوله:

لاهُمّ هب لي بيانا أستعين به على قضاء حقوق نيام فاقضيها

وكقوله:

لاهُمّ إن العبد يمنع رحله فامنع رحالك

- وقد يجيء بعد (اللهم) صفة، كقوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}(الزمر٤٦).

- هذا وقد لا يأتي دعاء صريح بعد (اللهم)، إنما يراد به تعظيم الله تعالى، وفي ضمنه يكون دعاء ما، كما في قوله: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }(آل عمران٢٦).

- وقد يدخل المنادى بين المعطوفين، كما في دعاء الملائكة: {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }(غافر٧-٨)، فجاء المنادى (ربنا) بين الدعائين: فاغفر ...وأدخلهم.

٣- الدعاء بـ(لن):

كقول موسى: {قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ}(القصص١٧)، فهذا دعاء؛ لأن أدبه مع الله وجهله بالغيب يمنعه من النفي القاطع بأمر مستقبلي. ونحو: اللهم لن أصير يداً لحاكم طاغية، (بمعنى: اللهم لا تجعلني كذلك).

٤- الدعاء باستخدام (لا زال – لن يزال):

نحو: لا زال الخيرُ منهمراً عليك في كل أيامك، ونحو: لا يزال التوفيقُ رائدَك في كل ما تقدم عليه، ونحو: لن تزال عنايةُ الله تحرسك فيما يصادفك. فالغرض من الدعاء بهذا الأسلوب هو الدعاء للمخاطب، بمعنى (اللهم اجعل الخير منهمراً على فلان...)[١]، ومثل قول الشاعر:

ألا يا اسلمي يا دارَ مَيّ على البلى ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقال آخر:

لن تزالوا كذلكم ثم لازلتُ لكم خالداً خلودَ الجبال

٥- الدعاء بالمصدر النائب عن فعل الأمر:

نحو: اللهم نصراً عبادَك المؤمنين، وهلاكاً أعدائَك الكافرين، بمعنى (انصر عبادَك وأهلك أعدائَك). ونحو: اللهم سُقيا رحمةٍ لا سُقيا عذاب. فـ(نصراً، هلاكاً، سقيا) مصادر نابت عن فعلها المحذوف وجوبا، فلا يصح أن تقول: (انصر نصراً عبادك..). ومثله قول الشاعر:

---

[١] و(زال) هذه من الأفعال الناسخة التي تدخل على الجملة الاسمية فترفع المبتدأ اسماً لها وتنصب الخبر خبراً لها –كما في الأمثلة (لا زال الخير منهمراً...).

أكابرَنا عطفاً علينا؛ فإننا بِنا ظمأ بَرْحٌ وأنتم مناهلُ

ومن الأمثلة أيضا: (سَقْياً لك)، دعاء بالإنعام الغامر، و(رَعْياً لك) دعاء بالرعاية. وتقول في الدعاء بالشر: (تباً لك، سُحقاً لك، بُعْداً لك، بؤساً لك)[1]، بمعنى: هلكتَ وبعدتَ، تدعو عليه بالهلاك وبالبعد، فكأنك تقول: اللهم اجعله بائسا هالكاً، باعداً، ساحقاً.

وهناك مصادر، وهي: (ويح) في الترحم وإظهار الشفقة والدعاء بالرحمة، و(ويل) في الدعاء بالعذاب، وهي مصادر لا أفعال لها من لفظها، نحو: ويلٌ لك، ويحك. ولها ثلاث صور:

- ويلٌ لزيد، وهي الغالبة في الاستخدام، كقوله: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}(الهمزة١)، و{وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}(المطففين١)، و{وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}(الجاثية٧).
- ويلُ زيدٍ [أو: ويلَ زيدٍ]، ومنه قوله تعالى: { قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ } (سورة طه ٦١)، وقوله: { يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } (سورة الأنبياء ١٤ – ٤٦)، وقوله: {وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ } (سورة الصافات ٢٠).
- الويلُ لزيدٍ، كقوله تعالى: { وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } (سورة الأنبياء ١٨).
- يا ويلَتَى (وهذا في: ويل فقط)، كقوله: { قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ } (سورة هود ٧٢)، وقوله: { وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً

---

[1] والمعنى (اسق فلاناً – يا رب– الدعاء لك يا فلان)، و(ارع فلاناً – يا رب – الدعاء لك يا فلان). فالجار والمجرور (لك) متعلق بمحذوف، تقديره: (الدعاء لك) ولا يصح تعلقه بالمصدر. وهذه اللام (لك) تسمى بلام التبيين، لأنها تبين أن ما بعدها مفعول معنوي، والأصل (اسق يا رب فلانا)، فعدل عن المفعول؛ لأنه يخاطبه، وجر ضميرَه (الكاف) باللام. ومن ذلك قوله:

نُبِّئْتُ نُعمى على الهجران عاتبةً سَقْياً ورَعْياً لذاك العاتب الزاري

قال تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ}(الملك١١)، أي: سحقاً، الدعاء لأصحاب السعير، وقال: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}(محمد٨). وقد يحذف ما بعد المصدر كما في الحديث: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا)، أي: سحقا لهم.

إِلَّا أَحْصَاهَا } (سورة الكهف ٤٩)، وقوله: { يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا } (سورة الفرقان ٢٨).

٦- الدعاء بأسماء منصوبة غير مصادر:

ورد عن العرب الدعاء بأسماء منصوبة غير مصادر، نحو: تُرباً وجَنْدلا، (أي: ألزمه الله تربا وجندلا)، والترب هو التراب، والجندل هو الصخر. كما ورد عنهم (بفيك التراب). وتقول: حجراً بفيك.

٧- الدعاء بصيغة الخبر:

نحو: عفا الله عن فلان (بمعنى: اللهم اعف عنه). ونحو: غفر الله لك يا أخي، ونحو: يعطيني الله من فضله (بمعنى: اللهم أعطني من فضلك).

وهذا كثيراً ما يرد في أدعية الأذكار، كأذكار الصباح والمساء والنوم، نحو: (باسمك اللهم أحيا وأموت)، أي: اللهم أحيني وأمتني باسمك[1].

**

ملحق: حكم الفعل المضارع بعد الدعاء:

إذا جاء بعد الدعاء فعل مضارع مقترن بفاء السببية أو واو المعية فإنه ينتصب، نحو:

رب وفقني فلا أعدلَ عن سنن الساعين في خير سنن

[1] نصب المضارع المقترن بفاء السببية أو واو المعية بعد الدعاء:
إذا جاء بعد الدعاء فعل مضارع

وقوله:

فيا رب عجلْ ما أؤمل منهم فيدفأَ مقرور ويشبعَ مرمل

ونحو: رب لتكن طاعتي لك على قدر فضلك فأفوزَ فوزاً عظيماً. ونحو: رباه لتدخلني في عداد المقربين وترفعَ مقامي بينهم. ونحو: سقيا لك فتسلمَ. ونحو: يرزقني الله الغنى فأنفقَ المال في سبيل الخير.

ولو سقطت هذه الفاء جزمت الفعل، نحو: رب وفقني لا أعدلْ عن سنن الهداة، ونحو: سقيا لك تسلمْ. ونحو: يرزقني الله الغنى أنفقِ المال في سبيل الله.

ثانياً: الاستغاثة

هي نداء موجه إلى من يُخَلص من شدة واقعة قد وقعت، أو يعين على رفعها قبل وقوعها. وأنت تستغيث إما بلفظ الاستغاثة، نحو: إني أستغيث بك يا رب أن تخلصني، وإما بلفظ الدعاء، نحو: اللهم فرج كربتي، واكشف غمتي. وهذه أساليب غير اصطلاحية.

أما الأسلوب الاصطلاحي فله صور:

الصورة الأولى:

يتكون فيها الأسلوب من ثلاثة عناصر: أداة (يا)، ومستغاث به، ومستغاث له.

– الأداة (يا) ولا يستخدم غيرها في الاستغاثة.

– والمستغاث به (وهو المنادى الذي يطلب منه العون، وهو مجرور دائما بلام مفتوحة).

– والمستغاث له، (وهو الذي يطلب بسببه العون إما لنصرة وتأييد، ويجر بلام مكسورة)، نحو: يا لَلناس لِلغريق[1]، أي: يا للناس إغاثتكم للغريق، فـ(يا) أداة استغاثة، و(للناس) مستغاث به مجرور، و(للغريق) مستغاث له مجرور. ونحو: يا لَلطبيب لِلمريض.

وقد يطلب بسببه العون للتغلب عليه نحو: يا لَلمسلمين لِلأعداء، ونحو: يا لَلحكام ويا لَلعلماء– لِلمسلمين. وقوله:

يا لَلرجالِ لِحرةٍ موءودة قُتِلَتْ بغير جريرة وجناح

[1] في هذا المثال ونحوه، أرى أن من الأفضل إذا أردنا الإعراب، أن نقول: يا: حرف استغاثة، و(لَلناس): مستغاث به، مجرور بلام جر مفتوحة، و(لِلغريق): مستغاث له مجرور بلام جر مكسورة. والنحاة يعربون المستغاث به: منادى مبني في محل نصب.

الصورة الثانية:

يجوز حذف لام الجر المفتوحة، ويعوض عنها ألف في آخر المستغاث به، نحو: يا حكاما لِلمسلمين، يا ناسا لِلغريق، أي: (يا للحكام... يا للناس)، (ولا ينون المستغاث به). وكقوله:

يا يزيدا لِآملٍ نيلَ عز وغنى بعد فاقة وهوان

الصورة الثالثة:

كالصورة الثانية، ويزاد أن يؤتى بهاء السكت على آخر المستغاث به، ويكثر ذلك في الوقف، نحو: يا حكاماهْ، يا ناساه. وورد في الوصل أيضا وتضم الهاء، كقوله:

فيا رباهُ لِلإسلام والدين وما عبثت بقومي جندُ صهيون

الصورة الرابعة:

يتكون أسلوب الاستغاثة من: الأداة، والمستغاث به، والمستغاث منه مجروراً بـ(من)، نحو: يا لَلرجال من الضعفاءِ الخائنين، ونحو: يا لَرِجّالِ الإطفاءِ من الحريق، وكقوله:

يا لَلرجال ذوي الألباب من نفر لا يبرح السفه المردى لهم دينا

وللمتنبي:

فيا شوق ما أبقى ويا لي من النوى[1] ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أقسى

[1] في هذا البيت دخلت الاستغاثة على الضمير، فالمستغاث به هو الضمير (أي المستغيث يستغيث بنفسه). وقد يكون المستغاث له ضميرا، نحو: يا للرائد لي، يا للمخلص لك. وقد يكونان ضميرين معا نحو: يا لك لي. وقد يقتصر على (يا لي) فيحذف المستغاث، والضمير مستغاث له، نحو: عرفت الأحمق فاكتويت بحمقه، فيا لي! (أي: يا للأصدقاء لي، أو: يا لقومي لي...)، ونحو: صحبت العاقل فأمنت أذاه، فيا لي (أي: يا لقومي لي...).

الصورة الخامسة:

نحو: يا لَلعجبِ! يا لَلكارثةِ، يا لَهولِ المفاجئة، فما بعد الياء يجوز اعتباره مستغاثا به فتفتح اللام، ويجوز اعتباره مستغاثا له فتكسر اللام، فلو جعلته مستغاثاً كأنك تقول: يا عجب احضر فهذا وقتك، ولو جعلته مستغاثا له كأنك تقول: يا لقومي للعجب...إلخ. وهذا في كل اسم لا ينادى إلا مجازا– لأنه لا يعقل– وليس بعده ما يصلح أن يكون مستغاثاً.

الصورة السادسة:

يجوز أن يكون المستغاث به هو المستغاث له في المعنى، كأن تنصح مهملاً اسمه زيد . فتقول: يا لَزيدٍ لِزيدٍ (أي: أدعوك لتنصف نفسك من نفسك).

الفصل الخامس: الجملة الإفصاحية

الجملة الإفصاحية، هي الجملة التي يفصح المتكلم فيها عما في نفسه، وعن مشاعره واعتقاداته ونواياه. وأقسمها قسمين:

القسم الأول: الجملة الإفصاحية البسيطة، فيفصح المتكلم في الجملة نفسها عن انفعالاته أو مشاعره، ومن ذلك: التعجب، والمدح أو الذم، والتنزيه، والتحسر... إلى غير ذلك من الإفصاحات.

القسم الثاني: الجملة الإفصاحية المركبة، وهي مركبة من جملة إفصاحية وجملة أخرى، حيث يفصح المتكلم فيها عن جملة أخرى، إما عن جملة إخبارية، أو عن جملة شرطية أو جملة استفهامية.

المبحث الأول: الجملة الإفصاحية البسيطة

أولاً: التعجب

هو شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمراً نادراً، أو لا مثيل له، مجهول الحقيقة، أو خفي السبب، أو ينزل تلك المنزلة. والتعجب الذي يرد في القرآن فيه توجيه السامعين إلى إظهار العجب والدهشة. وله أساليب عدة، فمنها:

١- كلمة (عجب) ومشتقاته.

نحو: عجبتُ لمن يشتري المماليك بماله، ولا يشتري الأحرار بكريم فعاله. ونحو: عجيبٌ أمرُك. وقول الشاعر:

فوا عجبا! كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

٢- ومنها ألفاظ تصاحبها قرينة فتدل على التعجب

منها:

(سبحانَ الله)، نحو: سبحان الله! ما أجملك، وفي الحديث: (سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس) يتعجب من حال المخاطب المتوهم نجاسة المؤمن. وتقول: سبحان الله! أمثلك يجهل هذا.

(واها له)، نحو: واها له ما أطيبه!، أي: أعجب لطيبه، فاللام في (له) للتعجب، وكقول الشاعر:

واها لسلمى ثم واها واها هي المُنى لو أننا نلناها

(ويْ كأن)، وهو لفظ إفصاحي بمعنى: أعجب، كقوله تعالى: {وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ}(القصص٨٢)،

(حسْب)، وينصب المتعجب له على التمييز، أو مجرورا بـ(من)، نحو: حسبك بفلان رجلاً! أو: حسبك به من رجل! حسبك به مدافعاً عن الحق! وكقوله:

وحسبك داءً! أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القِدْر

٣- التعجب بـ(يا)

وله عدة صور،

الأولى، نحو: يا لَلماءِ (تتعجب من برودته وحلاوته)، فتجر المتعجب منه بلام مفتوحة، ونحو: يا لَلماء العذبِ. ومنه قول الشاعر:

يا لَلغروبِ وما به من عبرة لِلمستهام وعبرة للراءي

الثانية: نحو: يا عجباً لك يا ابن عباس! ويا حسناً! فتنصب الاسم المتعجب منه، ويجوز عند الوقف أن تختم بهاء السكت، فتقول: يا حسناه! يا عجباه! يا بدوراه! وفي الوصل أيضاً . في الشعر، كقوله:

فيا عجباهُ! أنَّى شدوتِ بما تغنى

الثالثة (يا لك مِن)، نحو: يا لك مِن قائدٍ بارع، فتجر المتعجب منه بـ(من)، ونحو: يا لي مما عملت بالأعداء! [أتعجب من صنيعي بهم]، ومنه قول الشاعر:

فيا لك مِنْ ليل كأن نجومه بكل مغار القتل شدت بيذيل

الرابعة (يا لك)، نحو: يا لك قائداً بارعاً، فيأتي المتعجب منه منصوبا، ونحو: إن خالدا قائد عظيم، يا له رجلاً! وقوله:

فيا لك بحراً! لم أجد فيه مشرباً وإن كان غيري واجدا فيه مسبحا

والذي يبعث إلى التعجب بهذا الأسلوب أمران:

١- أن يرى شيئاً عظيماً يتميز بذاته أو كثرته أو... فينادى جنسه إعلاناً بإعجابه وإذاعة به، كما سبق، وقد ينادى العجب بنفسه-مجازا- مبالغة في التعجب نحو: يا عجبا! يا لَلعجبِ!

٢- أن ينادى من له صلة وثيقة بذلك الشيء، وتخصص فيه، وتمكن منه؛ حمداً له وتقديراً، أو طلبا لكشف مواطن العجب فيه.كأن ترى أجهزة بديعة، فتقول: يا لَلعباقرة، وتقول: يا لَله مما يصنع فلان. ولشوقي:

ضيعتْ قيصرَ البرية أنثى يا لَربى مما تجر النساء

***

٤- التعجب بصيغة (لله)

وله عدة صور:

الأولى (لله دَرّ)، نحو: لله درك! ونحو: لله در فلان شجاعاً في الحق! أو: لله در فلان من شجاع في الحق! [والدر: هو ما يرضعه الرضيع من لبن، وكأن المعنى في التعجب: إن اللبن الذي ارتضعه هذا الشخص في صباه لبن غير عادي، إنما هو لبن خاص أعده الله لهذا الشجاع أو لهذا المعوان...إلخ].

الثانية (لله أنت)، نحو: لله أنت معواناً على الخير! أو: لله أنت من معوان على الخير! ويصح إطلاق التعجب، فتقول: لله أنت! (أي: في جميع الكمالات، فلا تتعجب لأجل شيء معين).

الثالثة (للهِ)، نحو: لِلهِ! انتصرت الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة بإذن الله. ونحو: لِلهِ! لا ينجو من الزمان حذر. ولفظ (لِلهِ!) يفيد مع التعجب القسم، (فأنت تقسم على ذلك الأمر، وتتعجب منه)، ويحسن الوقف على لفظ (لِلهِ).

**

٥- التعجب بصيغة (ما أنت)

نحو: يا صديقي ما أنتَ صديقاً! أو: يا صديقي ما أنتَ مِنْ صديقٍ!

ونحو: يا جارتي ما أنت جارة؟! ونحو: يا زوجتي ما أنت من زوجة؟!

والمعنى: أنت ما أعظم صداقتك، أو: أي صديق أنت؟ وأنت ما أعظم جوارك! أو: أي جارة عظيمة أنت!...

**

٦- التعجب بصيغة (ما لك)

نحو: مالك مِنْ فارسٍ! أو: ما لك فارساً! بمعنى: ما أعظم فروسيتك! ونحو: ما لك من عالم!

٧- التعجب بالاستفهام

وذلك حسب القرينة التي تفيد أن الاستفهام لا يقصد به حقيقته، وإنما يقصد به التعجب، وله صور منها:

الصورة الأولى: التعجب بأدوات الاستفهام

كقوله تعالى: {وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ}(النمل٢٠)، فهو تعجب لما تفقد الطير فلم يجد الهدهد: كيف يغيب بغير إذنه. وكقول امرأة إبراهيم: {قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً}(هود٧٢)، ولذا قالت الملائكة لها: {أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ}(هود٧٣). وكقوله تعالى {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(البقرة٢٨)، ونحو: أي رجل عند الشدائد أنت؟ ومنه قول المتنبي يتعجب من وصول الحمى إليه رغم ازدحام الهموم عنده:

أبنتَ الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام؟

الصورة الثانية: صيغة (ما كذا)

كقوله: {الْقَارِعَةُ . مَا الْقَارِعَةُ}(القارعة١-٢)، وكقوله تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}الواقعة٢٧)، و{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ}(الواقعة٤١).

الصورة الثالثة: صيغة (ألم تر إلى)،

كقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ}(البقرة٢٤٣)، بمعنى: ألم تعجب لفعلهم؟!

٨- التعجب بصيغة (أرأيتك)

معنى (أرأيتك): أخبرني، وهو لا يستعمل إلا عندما نطلب معرفة شيء له حالة عجيبة، نحو: (أرأيتك الحديقةَ، هل طاب ثمرها؟) أي: أخبرني عن الحديقة هذه العجيبة، هل طاب ثمرها؟

وهذا التركيب يتكون من أربعة عناصر، الأول: همزة الاستفهام. والثاني: الفعل (رأى) متصلاً بالتاء، وبكاف الخطاب ويكون متصرفاً وجوبا على حال المخاطبين فيذكر ويؤنث، ويثنى ويجمع، فتقول: (أرأيتكَ ، أرأيتكما، أرأيتكم، أرأيتكن)، والثالث: أن يليه الاسم المتعجب منه منصوبا. والرابع: أن يتبع ذلك جملة استفهامية.

وقد يحذف الاسم المنصوب إذا كان مفهوما، كقوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(الأنعام٤٠)، وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ}(الأنعام٤٧). والتقدير: أرأيتكم المعارضين إن أتاكم عذاب الله – هل...؟

وقد يتبعه جملة تحمل معنى الوعد أو الوعيد، كقوله: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً}(الإسراء٦٢).

٩– التعجب بصيغة (فَعُل)

حيث يصاغ الفعل على وزن (فَعُل) بغرض المدح أو الذم. مع الإشعار بالتعجب فيهما. وتفصيل الكلام على هذه الصيغة في باب المدح والذم. ومن الأمثلة: شَدّ ما يفخر به اللئيم بأصوله إن كانت له أصول، وكقوله تعالى: {مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً }(الكهف٥)، وقوله: {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}(الصف٣).

١٠– صيغتان قياسيتان: (ما أفعله) و (أفعل به)

فصيغة (ما أكرم محمداً)، يأتي بعد لفظ التعجب اسم منصوب، وصيغة (أكرِمْ بمحمد)، يأتي بعد صيغة التعجب حرف الجر الباء، ثم الاسم مجرورا بالباء.

وهاتان صيغتان تستعملان عند إرادة التعجب، وتشتمل كل صيغة على عنصرين: متعجَّب منه ومتعجَّب لأجله. فنحو: ما أكرمَ محمداً[1]! فأنت تتعجب من كرم محمد، فالكرم متعجب لأجله، ومحمد هو المتعجب منه، وترمز بهذا إلى معنيين، الأول: توجيه الذهن إلى أن ما بعدها عجيب، والثاني: أن الذي أوجده أمر عظيم. وكذلك الصيغة الأخرى: أكرِمْ بمحمد! أجمِلْ بالوردة! فأنت لا تتعجب من محمد أو من الوردة، وإنما تتعجب من كرم محمد، ومن جمال الوردة.

وقد تخصص المتعجب لأجله، فنحو: ما أكرم محمداً! أنت تتعجب من كرم محمد مطلقا، ولكن لو قلت: ما أكرم محمدا في السفر! فإنك تتعجب من كرمه في حالة السفر، ونحو: ما أعظم محمداً معواناً على الخير! فأنت تتعجب من عظمته حال إعانته على الخير، ونحو: ما أحسن الغني متصدقاً على الفقير!. ونحو: أكرم بمحمد نبياً! وأعظم بأبي بكر خليفة!

ونحو: ما أحب محمداً للخير[2]، وما أبغضَ المؤمنَ للنفاق!

ومن أمثلته في القرآن الكريم: (ما أفعل): قوله : { فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } (سورة البقرة ١٧٥)، وقوله: { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (سورة عبس ١٧). (أفعِلْ به): قوله: { لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ } (سورة الكهف ٢٦)، وقوله: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا } (سورة مريم ٣٨).

---

[1] الأولى لو أردنا إعراب مثل هذه الصيغة أن نقول: (ما) تعجبية، و(أكرم) لفظ إفصاحي لإفادة التعجب لأجله، و(محمدا) متعجب منه منصوب. والصيغة الثانية: (أكرم بمحمد) . نعربها: (أكرِم) لفظ إفصاحي لإفادة التعجب لأجله، و(بمحمد) متعجب منه مجرور بالباء. ولا علاقة لهذه الألفاظ بالفعلية أو الزمنية، إنما هي إفصاحية.

أما النحاة فإن لهم كلاما طويل الذيل في إعراب مثل هذه الصيغ، نحن في غنى عنه، والذي يعنينا كيفية صياغة الأسلوب.

[2] يقول علماء العربية أن لفظ التعجب إن دل على حب أو كره، فإنه يعدى بـ (إلى) إلى فاعله المعنوي، نحو: ما أحب الخير إلى محمد، ما أبغض النفاق إلى المؤمن، فـ(محمد، المؤمن) هو فاعل الحب والبغض. [حيث تقول: محمد يحب الخير، المؤمن يبغض النفاق]. ويعدى باللام إلى مفعوله المعنوي، نحو: ما أحب محمداً للخير، ما أبغض المؤمن للنفاق!

وفي كل ما سبق، يكون المتعجَّب منه معرفة، كما مثلنا، أو نكرة مختصة نحو: ما أسعد رجلا عرف عن طريق الهدى فسار فيه! وما أشقى إنساناً تبين الرشد من الغي فاتبع الضلال! ولولا هذا الشرط لكان التعجب لغوا، إذا لا فائدة من قولنا: ما أسعد رجلاً، ما أشقى إنساناً. أو: أسعد برجل.

وصيغة التعجب صيغة إفصاحية لا علاقة لها بالزمن، وإذا أراد المتكلم تزمين تعجبه، فإنه يقول: (ما كان أفعل)، نحو: ما كان أشجعَ زيد، فهو يتعجب من شجاعته في الماضي. ومنه في الشعر:

ما كانَ أجملَ عهدَهم وفعالَهم من لي بعهد في الهناء تصرما؟

**

١١- التعجب بـ(أشدّ) وأخواتها

الصيغة السابقة صيغة مباشرة للتعجب، حيث تأتي بالمتعجب لأجله في صيغة (أفعَل)، أو (أفعِل)، نحو: ما أشجعَ زيدا، وأشجِعْ به.

وقد يستخدم المتكلم صيغة مساعدة، فيكون المتعجب لأجله مصدرا منصوباً، بعد (ما أفعله)، ومجرورا بالباء بعد (أفعل به)، ويسبقه لفظ (أشد، أعظم، أكبر أصغر... إلخ)، نحو: ما أشدَّ شجاعةَ زيدٍ، وأشْدِدْ بشجاعةِ زيدٍ.

ونحو: برع الذكي، تقول: ما أبرعَ الذكيَ! أبرِعْ بالذكي! ويجوز: ما أعظمَ براعةَ الذكي! أعظمْ ببراعة الذكي!

ونحو: طالت النخلة: تقول في التعجب منها: ما أطولَ النخلة! أطول بها! ما أعظمَ طولَ النخلة! أعظمْ بطولها!

وكذلك الأفعال الدالة على اللون أو الحلية أو العاهة، نحو: سود وجهك، تقول في التعجب منه: ما أسودَ وجهَك! أسود بوجهك! ما أشدَ سوادَ وجهك! ونحو: حورت عينه، تقول

في التعجب منه: ما أحورَ عينيك! أحورْ بعينيك! ما أحسنَ حورَ عينيك! ونحو: عرج الرجل، تقول في التعجب منه: ما أعرجَ الرجل! أعرج بالرجل! ما أقبحَ عرجَ الرجل! وتقول العرب: ما أحمق فلاناً وما أرعنه!

كما أن هذه الصيغة المساعدة تستخدم مع الأفعال التي لا يتعجب منها مباشرة، كالعفل الخماسي والسداسي، نحو: انتصر الحق، تغلب الباطل، تتعجب منها فتقول: ما أقوى انتصارَ الحق، ما أضعفَ تغلبَ الباطل. ونحو: أقوِ بانتصار الحق، أضعفْ بتغلب الباطل.

ثانياً: المدح والذم

المدح والذم هو أسلوب تقييمي، يذكر الشخص بثناء عليه، أو بذم، وإذا كان المدح من قبل الإنسان لنفسه سمي فخرا، وإذا كان الذم من شاعر بشعر سمي هجاء، وله أساليب كثيرة في لغة العرب، ومنها:

١- المدح أو الذم بالإخبار:

أول أساليب المدح والذم هو الإخبار، وجملة الإخبار ليست إفصاحية، إنما هي جملة إخبارية، ولكن المتحدث يورد المدح والذم عن طريق الإخبار، مبالغة منه في ذلك، وكأنه يقرر أن هذا الأمر لا يخصه وحده، بل هو حقيقة يخبر عنها. ومن صور المدح والذم بالإخبار ما يلي:

الصورة الأولى: اللفظ المباشر

نحو: أمدح فلانا أو أذمه، أو: أمدح في محمد كرمه، وأذم فيه فتور عزيمته.

الصورة الثانية: الوصف

نحو: محمد فاضل، وزيد لئيم، أو: جاء محمد الفاضل، ومررت بزيد اللئيم.

الصورة الثالثة: أفعل التفضيل

ومن أساليب المدح والذم: ما يكون بـ (أفعل التفضيل)- بالقرينة، كقول أعرابي وقد سئل عن حاكمَين: أما هذا فأحرص الناس على الموت في سبيل الله، وأما ذاك فأحرص الناس على الحياة في سبيل الشيطان. ونحو: محمد خير البشرية، وأفضل من مشى، وكقول البوصيري:

محمد خير من يسعى على قدم محمد أفضل الأعراب والعجم

الصورة الرابعة: التجريد

والتجريد أن ينتزع من أمر ذي صفة أمرا آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه، وتستخدم معه حروف الجر: مِن، الباء، في. نحو: لي من فلان صديق حميم، (أي أنه بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يستخلص منه صديقا آخر). ونحو: لئن لقيت زيداً لتلقين به الأسد (تمدح شجاعته، مشبها إياه بالأسد). ونحو: رأيت في فلان البحر.

ومنه قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً}(الأحزاب٢١)، والأصل: لقد كان لكم رسول الله أسوة، ولكن المدح مع (في) كان أبلغ وأتم.

وكقول الشاعر:

إذا ما تأملته مقبلاً رأيتَ به جمرة تشتعلْ

**

الصورة الخامسة: المجاز

كالتشبيه، ومنه قول الشاعر:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقول المتنبي في الذم:

وإذا أشار محدثاً فكأنه قرد يقهقه أو عجوز تلطم

ولابن الرومي في الريق:

تقول: هذا مجاج النحل تمدحه وإن تَعِبْ قلتَ: ذا قيء الزنابير

ولآخر يذم مغنيا:

وإن شدا فصوته صوت دجاج يمسك

ومن المجاز: الاستعارة، نحو: زارني (بحر)، قام (أسد) يخطب. وهذا له بحث خاص. وكقول المتنبي يمدح سيف الدولة بالكرم

فلم أر قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلاً قامت ليوث تعانقهْ

ومن المجاز: الكناية، نحو: عليٌ طويل اليد [تذمه بالسرقة]، وزيد نظيف المئزر [تمدحه بالعفة].

**

٢- المدح أو الذم بالتعجب:

التعجب المراد به المدح أو الذم- إذا قامت القرينة على ذلك، حيث يدل على المدح المقرون بالتعجب. سواء أكان بصيغة التعجب القياسية، أو بغيرها. نحو: أكرم بزيد، ومنه في الثناء على الله تعالى: ما أعظمَ اللهَ! وما أجله! وما أقدره! والمعنى أن الله في غاية العظمة، وأن عظمته مما تحار فيه العقول. ومثل قول المتنبي:

ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم

وقوله:

فأخبثْ به طالباً قهرَهم وأحببْ به تاركاً ما طلبْ

٣- المدح والذم بصيغة الأمر أو النهي:

كقوله تعالى: {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ}(المؤمنون١٠٨)، تحقيرا لهم وإهانة، ويقول الله للكافر يوم القيامة {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}(الدخان٤٩)، فهو لا يمكنه الذوق، ولكن تحقير له وإهانة. وكقول الحطيئة يهجو الزبرقان:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

٤- المدح أو الذم بالاستفهام،

كقول الشاعر يمدح:

مَنْ للمحافل والجحافل والسرى؟ فقدتْ بفقدك نيرا لا يطلع

وقول العرجي مفتخرا:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا؟ ليوم كريهة وسداد ثغر

وفي التحقير قول المشركين عن الرسول يحقرونه ويذمونه: {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ}؟(الأنبياء٣٦)، وقولهم {وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً}؟(الفرقان٤١). ومنه قول الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري أطنينُ أجنحة الذباب يضير؟

***

٥- المدح أو الذم بأسلوب (كفى به)

تستخدم العرب كثيرا المدح أو الذم بهذا الأسلوب، فتقول: كفى بمحمد عالماً، وكفى بزيد لئيما، ومن أمثلته في القرآن الكريم: {وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً}(النساء٤٥)، وقوله: {ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً}(النساء٧٠)، وقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً}(الفرقان٣١)، وفي الذم قوله: {انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً}(النساء٥٠)، و{وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً}(النساء٥٥).

٦- المدح بـ (نعم) أو الذم بـ (بئس، أو: ساء).

تدل هذه الألفاظ نصا على العموم في المدح أو الذم، بمعنى أنها موضوعة في العربية للمدح أو الذم، والمراد بالعموم أنه لا يقتصر على شيء معين، فالمدح العام يتجه إلى الفضائل كلها، فعندما أقول: نعم الرجلُ زيدٌ، (فإني أمدحه بكل خصال الرجولة). والذم العام كذلك يتجه إلى العيوب كلها، فنحو: بئس المرأة هند، (فإني أذمها بكل صفات المرأة السيئة). إلا إذا حصل التقييد فإنه لا يفيد العموم، في نحو: نعم الرجل-رجلاً وفياً- زيد. ولا بد أن يكون المخصوص بالمدح أو الذم معرفة؛ لأنه لا يعقل أن تمدح شيئا منكرا.

ولهذا الأسلوب عدة صور:

الصورة الأولى:

المجيء بالصفة (محل المدح أو الذم) معرفة مرفوعة،

وتكون المعرفة مقترنة بـ(ال)، نحو: نعم القائدُ زيد[1]. فـ(نعم) لفظ المدح، والقائد: صفة المدح، و(خالد) هو المخصوص بالمدح. ونحو: وبئس المحاربُ نادرٌ، فـ(نادر) هو المخصوص بالذم، و(المحارب) صفة الذم، و(بئس) لفظ الذم. ومنه قوله تعالى: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}(الملك٦)، أي: وبئس المصيرُ جهنمُ. وقوله: {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(المائدة٦٢)، وقوله: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}(ص٤٤)، أي: نعم العبد أيوب.

وقد تكون صفة المدح أو الذم اسما موصولا مع صلته، نحو: نعم الذي آمن زيد، (كما تقول: نعم المؤمن زيد)، وكقوله: {وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(المائدة٦٢).

وقد تكون علما – إن خرج من علميته ودل على العموم – كقول رجل اسمه محمد: بئس محمد أنا إن كذبت. وفي الأثر: (نعم عبد الله هذا).

الصورة الثانية:

المجيء بالصفة (محل المدح أو الذم) اسم نكرة منصوبا، والمخصوص يكون مرفوعا، نحو: نعم قائداً خالدٌ. ونحو: نعم امرأةً هندٌ، نعم رجلين الزيدان، بئس قوماً معشرُك. وبئس رجالاً هؤلاء. ونحو: نعم رجلاً أنت، وبئس امرأً هو، وكقوله تعالى:{إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً}(الفرقان٦٦)، وقوله: {سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا}(الأعراف١٧٧)،

وكقول الشاعر:

[1] أفضل عدم إعراب مثل هذه الصيغ، كإعرابات النحاة، فـ(نعم) ليس فعلا، إنما هو لفظ إفصاحي خاص بالمدح، والقائد، ليس فاعلا، إنما هو صفة المدح مرفوعة، و(خالد) هو المخصوص بالمدح، ويمكن أن يعرب بدلا من (القائد) على جهة المبالغة، وكأن (خالد) هو الجنس كله. فالأفضل غض النظر عن هذه الإعرابات، ولا سيما أنها لا تؤثر في صياغة الجملة صياغة صحيحة، وبدلا من شغل الذهن بمثل هذه الإعرابات، فالأفضل أن نشغله بمعرفة الصور الصحيحة التي يأتي فيها هذا التركيب.

نعم امرأً هرمٌ لم تعرُ نائبةٌ إلا وكان لمرتاع بها وزرا

وقد تحذف صفة المدح أو الذم النكرة المنصوبة، كما في نحو: (من فعل كذا فبها ونعمت)، أي: ونعمت طريقةً، وفي الحديث: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل).

الصورة الثالثة:

زيادة (ما) بعد (نعم) و(بئس)، ثم يليها اسم مرفوع، نحو: بئسما عملٌ بغير نية، ونعم ما قولٌ بعمل، فصفة المدح هنا محذوفة، يدل عليها ما بعدها، والاسم بعدها هو المخصوص، والتقدير: بئس العمل عملاً بغير نية، ونعم القول قولاً بعمل، ومنه في القرآن الكريم: {إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ}(البقرة٢٧١)، أي: نعم الصدقاتُ هي. والأحسن عندما تلي (ما) (نعم) أن تدغم فيها، كما في الآية، وفي قوله {نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ}.

وهناك صور أخرى، تراجع في كتب النحو.

***

٧- المدح بـ (حبذا)، والذم بـ(لا حبذا)

(حبذا) يدل على المدح دلالة صريحة، ويشعر زيادة على مجرد المدح أن الممدوح محبوب وقريب من النفس؛ لأنه لفظ مشتق من مادة الحب. نحو: حبذا هندٌ، فـ(حبذا) لفظ إفصاحي يدل على المدح، و(هند) المخصوص بالمدح مرفوع. ونحو: حبذا الرجلان، حبذا النساءُ. ولا تذكر صفة المدح (في هذا الأسلوب، غالباً) - كما هو الشائع في أسلوب (نعم وبئس)؛ لأن صفة المدح مشتقة من لفظ (حبذا) نفسه، فنحو: حبذا هند، أي: أن هندا قد اجتمعت فيها الصفات التي تحبب فيها، فأنت تمدحها بها مدحا مطلقا، وتدل عليها بهذا اللفظ دلالة صريحة.

وأشهر صوره،

الصورة الأولى، نحو: حبذا هندٌ، فيكون المخصوص علما مرفوعاً، ونحو: لا حبذا زيدٌ.

الصورة الثانية، نحو: حبذا ذكرياتٌ من أيام الطفولة، فيكون المخصوص نكرة مرفوعة موصوفة بـ(مِن) وما بعدها.

والصورتان في قول جرير:

يا حبذا جبلُ الريان مِنْ جبلٍ وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كانا
وحبذا نفحاتٌ مِنْ يمانية تأتيك مِنْ قِبَل الريان أحيانا

ويجوز في الصورتين إدخال (يا) على (حبذا)، فتقول: يا حبذا أهلُ التقى. و(ألا) نحو: ألا حبذا هند، ونحو: ألا يا حبذا أهل التقى. ومن الأمثلة:

ألا حبذا أهلُ الملا غير أنه إذا ذُكرتْ مَيٌّ فلا حبذا هِيَ

٨- المدح أو الذم بصيغة (فَعُل)

هذه الصيغة تدل مع المدح أو الذم على التعجب.

فمثلا الأفعال: (بَرَع، شَرُف، جَهِل، سَرَق) تقول فيها حين تصوغ منها المدح أو الذم: بَرُع الرجلُ محمدٌ، (بمعنى: نعم الرجل البارع محمد، ما أبرعه من رجل!). وشَرُف الفتى

زيدٌ، وجَهُل رجلاً صالح، وسَرُق الرجلُ رجلاً زيد، (بمعنى: بئس الرجل السارق، ما أسرقه). ونحو: كَرُم الرجلُ زيدٌ، كَرُم الرجلُ رجلاً زيد، زيد كَرُم الرجلُ [1]....

إذن فهذا الأسلوب يشتمل على ثلاث دلالات، الأولى: المعنى الأساسي للفعل، والثانية: المدح أو الذم الخاص– وليس العام كما في نعم وبئس، فأنت تمدح أو تذم من خلال معنى الفعل، والثالثة: إفادة التعجب أيضاً. فنحو: جَهُل الرجلُ صالحٌ، أفادت إثبات الجهل لصالح، مزيداً عليه أنك تذمه بجهله، مع التعجب من هذا الجهل. ونحو: كَرُم الرجلُ زيدٌ، أفادت إثبات الكرم لزيد، مزيداً عليه أنك تمدحه بكرمه، مع التعجب من هذا الكرم.

وأشهر صوره:

الصورة الأولى: المجيء بالصفة محل المدح أو الذم– معرفة مرفوعة، نحو: كَرُم الرجلُ زيدٌ، وجَهُل الرجل صالحٌ.

الصورة الثانية: المجيء بها اسم نكرة منصوبا، نحو: كَرُم قائداً خالدٌ، وشَذّ خلقاً الكذبُ. ومنه قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً}(النساء٦٩)، وقوله: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً}(الكهف٣١).

---

[1] الفعل المضعف، نحو:(حبّ، فر، شد،...) عند صياغته في المدح أو الذم. فإنك تضم الحرف الأول، فتقول:(حُبّ، فُرّ، شُدّ)، ويجوز أن يظل الحرف الأول مفتوحا، فتقول:(حَبّ، فَرّ، شَدّ). فتقول: فُر الرجلُ محمدٌ، حُب الفتاة هند، ونحو: شُذ الكذبُ خلقاً، وللمجنون:

نسائلكم هل سال نعمان بعدنا وحُبّ إلينا بطنُ نعمان وادياً

(نعمان: اسم واد) فكأنه قال: حب وادياً بطن نعمان (بمعنى: نعم واد بطن نعمان). ولابن رواحة:

باسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا

فحبذا رباً وحُبّ دينا

أي: وحب الإسلامُ دينا.

ثالثاً: التنزيه

ومن أساليبه:

١- التنزيه باللفظ:

نحو: أنزهك عن فعل كذا، أنزه الله عما لا يليق به...

٢- التنزيه بصيغة (سبحان الله):

ومنه الحديث: (سبحان الله! إن المؤمن لا ينجس)، فالتنزيه أصل لفظه لله سبحانه وتعالى، والصيغة تفيد تنزيه ما يتبادر إلى الذهن، كأن يظن أحد أن المؤمن بجنابته يصبح نجسا.

٣- التنزيه بـ(حاشا) [أو: حاشَ]،

ولاستخدامها صور:

الأولى: (حاشَ لله) [أو: حاشا لله]، وهذا التركيب يدل على التعجب والتنزيه معا، وكأن المتكلم يتعجب من شدة نزاهة الأمر الذي يتحدث عنه، كقوله تعالى: { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } (سورة يوسف ٣١)، وكقوله: { قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ } (سورة يوسف ٥١).

الثانية: (حاشا لِ...أَنْ)، وهذا التركيب يقتصر على التنزيه. وفي هذا الأسلوب تأتي (حاشا)، ثم يأتي الاسم بعدها مجرورا بلام، ثم بعد ذلك يأتي (أنْ) والفعل المضارع، فتقول: يا رب، حاشا لجودك أن يقنط عاصيا، ومن أمثلة ذلك قول ابن الرومي:

ما بالُ دينارِيْك عنّي أعرضا ... وتصدّيا لشكايتي وتعرَّضا
أنقضتَ عزمكَ، ليت شعري، فيهما ... حاشا لعزمكِ فى النَّدى أن يُنقضا
إن كُنتَ فى ثمن الحنوطِ أمَرْتَ لى ... بهما تركتُهُما إلى أن أُقبَضا

وكقول الآخر:

حاشا لحبك أن يكون محرماً ولمثل وصلك أن يكون ممنعا

وكقول الآخر:

حاشا لدين أنت فيه مظفرٌ أنْ يُستباحَ حِماه أو أنْ يخذَلا

وكقول الشريف الرضي:

لا تَبْرِ عُوداً أنْتَ رَيّشتَهُ حاشا لباني المجد أن ينقضا

الثالثة: (حاشاك)، حيث يؤتى بالضمير بعد (حاشا)، وحاشا هنا فعل بمعنى: أنزه، فتقول: حاشاك أن تفعل كذا، أو: حاشاك من أن تفعل، أو حاشاك من كذا، كقول البارودي:

حاشاكِ أن تسمعى قولَ الوشاة بنا فإنَّها رُبَّمَا غَشَّتْ إذَا نَصَحَتْ

وقول البوصيري:

حاشاكَ منْ أن أجوعَ فى بلدٍ وأنتَ بالرزقِ فيهِ لى كافلْ

وقول بهاء الدين زهير:

حبيبى حاشاكَ من هفوة تقالُ ومنْ زلة ○ تغتفرْ

رابعاً: الندبة

هي نداء موجه للمتفجَّع عليه، أو للمتوجَّع منه.

والمراد بالمتفجع عليه من أصابته المنية، حقيقة، أو أصابته حكماً، ونزل منزلة المفقود، أو نزل منزلة المتوفى مجازا.

فالأول كقول أعرابي بعد أن مات عثمان: واعثماناه، واعثماناه، وكقول جرير يتفجع على عمر بن عبد العزيز:

حُمّلْتَ أمرا عظيما فاصطبرتَ له وقمتَ فيه بأمر الله يا عمرا

والثاني، كقول عمر بن الخطاب . وقد قيل له إن الناس أصابهم جدب، فصرخ: واعمراه واعمراه.

والثالث، كما في ندب الأمور المعنوية، كقول الشاعر يندب العجب والأسف:

فوا عجبا كم يدعي الفضل ناقص ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل

فكأنه يندب العجب والأسف، وكأن كلا منهما قد مات في وقت اشتدت الحاجة إليه. (تنطقهما من غير تنوين).

والمراد بالمتوجع منه: الموضع الذي استقر فيه الألم، أو السبب الذي أدنى للألم، فالأول كقول فتى يتأوه: وارأسي، وقيل لآخر: مالك تضع يدك على كبدك؟ فردد:

فوا كبدا مِنْ حُبّ مَنْ لا يحبني ومِنْ عَبَراتٍ ما لهن فناء

والثاني، كقول غني افتقر: وافقراه، وقول آخر أصابته مصيبة: وامصيبتاه.

والغرض من الندبة: الإعلام بعظمة المندوب وإظهار أهميته أو شدته أو العجز عن احتمال ما به.

أداة الندبة:

وكما رأيت الأمثلة فإن الندبة تتكون من حرف الندبة والمندوب.

وحرف الندبة، هو (وا)، وهو لا يدخل إلا على المنادى المندوب.

وقد تكون الندبة بـ(يا)، إذا قامت قرينة على إرادة الندب، كقول جرير السابق في عمر، وكقوله تعالى: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}(الزمر٥٦)، وقوله: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ}(يوسف٨٤)، والغالب مجيء الندبة بـ(وا).

المندوب:

وأما المندوب[1]، فله أربع صور، وهي:

الأولى: المجيء به كلفظ المنادى[2]، نحو: واعمرُ، واعثمانُ، وارأسُ، وا خادمَ الدين، وا رافعاً صوت الحق.

---

[1] كل الأسماء تصلح أن تكون مندوبة، إلا نوعين، وهما:

الأول: النكرات العامة- وهي النكرة غير المقصودة نحو: رجل، فتاة، عالم... فلا يصلح هذه النكرات أن يتفجع عليها-أما إن كان متوجعاً منه فيصلح نحو: وامصيبتاه (في مصيبة غير معينة). والنكرة المقصودة يصلح أن تكون مندوباً نحو: وارجلاً عظيماً (ترثي شخصاً معيناً).

الثاني: بعض المعارف، فلا يصلح أن يندب الضمير (وا أنت..)، ولا اسم الإشارة الخالي من علامة الخطاب (هذا). ولا الأسماء الموصولة المبدوءة بـ(ال)، كـ(الذي) ولا في (أي) سواء كانت موصولة (أيهم مخترع) أو التي تكون منادى (أيها الرجل). وإذا تجرد الموصول من (ال) فقد أجازه البعض، نحو: وامن حفر بئر زمزم؛ لتعين الموصول وشيوعه عند المخاطبين، ونحو: وامن قتله أبو لؤلؤة، بخلاف: وامن قتله اليهود. لو لم يتعين.

إذن فالذي يصلح للندبة من المعارف: العلم والمضاف لمعرفة، والموصول المتجرد من (ال) إذا اشتهرت بين المخاطبين.

[2] فيبنيه على الضم إن كان علماً مفردا أو نكرة مقصودة نحو: واعمرُ، واعثمانُ، وارأسُ، وينصب إن كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف، أو نكرة غير مقصودة، نحو: وا خادمَ الدين، وا رافعاً صوت الحق. ومنه قول شاعر يرثي علياً –كرم الله وجهه:

وا إماماً خاض أرجاء الوغى يصرع الشرك بسيف لا يفل

الثانية: أن يختم المندوب بألف زائدة تتصل بآخره، تسمى: ألف الندبة، نحو: واعمرا، وا حسينا، وا رأسيا، أو: وا رأسا، وفي نحو: رأس ولدي، تقول: وارأسَ ولديا. وا من فتح الأندلسا، وا صلاح الدينا.

الثالثة: أن يؤتى بعد ألف الندبة بهاء سكت، ويؤتى بها في الوقف غالبا، نحو: وا معتصماهْ، ونحو: واعبد المجيداهْ، ونحو: وارأسياهْ، ونحو: وامَنْ حفر بئر زمزماهْ، ونحو: واعمر الفاروقاهْ، ونحو: وا حسين بن علياهْ، ونحو: وا من فتح الأندلساه، وا صلاح الديناه. ويجوز في الوصل في الشعر خاصة، نحو:

فوا أسفاهُ هانتْ أمةٌ كانت على القمةْ

الرابعة: نداء لفظ البؤس، ومرادفاته من ألفاظ التوجع، ثم المجيء بلام بعده، نحو: يا ويلَ للقوم، يا بؤسَ للحرب، وكقول الشاعر:

يا بؤسَ لِلحرب التي وضعتْ أراهط فاستراحوا

وقوله:

لو تموت لراعتني وقلت: ألا يا بؤسَ للموتِ ليت الموت أبقاها

خامساً: التوبيخ والتنديم

الغرض من هذا الأسلوب إما توبيخ المخاطب على تركه عملَ فعلٍ كان الأولى به أن يعمله، وإما تنديمه على تفريطه في أمر ما كان ينبغي أن يفرط فيه. فالمتحدث يفصح عن موقفه إزاء ما عمله المخاطب، أو ما لم يعمله.

وله عدة أساليب.

١- التوبيخ بـ(لولا، لوما، هلا، ألاّ، ألا)

ويلي الأداة فعل ماض لفظا ومعنى، كقوله: {لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}(النور١٣)، و{فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ}(الأحقاف٢٨)،

وكقول أبي فراس الحمداني يوبخ العباسيين الذين قتلوا العلويين:

هلاّ صفحتم عن الأسرى بلا سبب للصافحين ببدر عن أسيركم؟

وقول الآخر:

يا أخا المليون جندياً ألاَ قدتَهم للمسجد الأقصى الحزين؟

وقد يسبق الفعلَ (إذْ مع جملتها)، لتبين زمن الحدث الموبخ بشأنه، نحو: لولا إذ رأيتَ زيداً سلمت عليه. (فأنت توبخ المخاطَب، أنه عندما رأى زيدا لم يسلم عليه). ومنه قوله: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً}(الكهف٣٩)، أي: ولولا قلتَ إذ دخلت جنتك، و{فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}(الأنعام٤٣). ونشير هنا إلى أن التوبيخ يكون على فعل لم يحصل كان الأولى حصوله، ففي الآية لم يتضرعوا، فهو يوبخهم

لأنهم لم يتضرعوا. وكقوله: { وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } (سورة النور ١٦).

٢- التوبيخ باستخدام فعل الأمر، أو المصدر، أو الاستفهام

كأن تقول لمن أخطأ خطأ جسيما، وتريد توبيخه: أتفعل هذا؟ أو تقول له: اغرب عن وجهي، ومثل قول جرير يوبخ الفرزدق:

أعبداً حل في شعبي غريباً ألؤماً لا أبالك واغترابا

فالاستفهام (ألؤماً واغترابا) للتوبيخ.

المبحث الثاني: الجملة الإفصاحية المركبة

الجملة الإفصاحية المركبة، هي الجملة التي تتكون من جملتين، الأولى: جملة إفصاحية معلقة، والجملة الثانية هي الجملة المفصَح عنها. وسأتناول هذا المبحث فيما يلي:

أولا: مفهوم الجملة الإفصاحية

إذا قلت: (محمد قادم) فهذه جملة إخبارية مثبتة، فإذا أراد المتكلم أن يفصح عما في نفسه تجاه هذا الخبر، فإنه يستخدم لفظا إفصاحيا، مثلا:

أيقنت أن محمد قادم، ظننت أن محمدا قادم، توقعت أن محمدا قادم... إلخ

فـ(أيقن، ظن، توقع)، كل هذه أفعال يفصح بها المتكلم عن اعتقاده تجاه مضمون الجملة الإخبارية.

ونحو: (مَنْ يجتهدْ ينجحْ). هذه جملة شرطية، فإذا أراد المتكلم يفصح عما في نفسه تجاه مضمونها، فإنه يقول: علمت أنّه مَنْ يجتهدْ ينجحْ.

ونحو: (كيف فعل محمد؟) تفصح عن هذه الجملة الاستفهامية بنحو: تبين لي كيف فعل محمد... إلخ.

والجمل الإفصاحية لا نصفها بأنها صادقة أو كاذبة، فحين يفصح شخص عن رأيه، تجد الآخر يوافقه أو يخالفه (ولا يدخل في هذا التصديق أو التكذيب). كما أن هذه الجملة لا تحمل دلالة طلبية ولا استفهامية، وإنما هي إفصاحية عما في النفس تجاه مختلف الدلالات.

ثانيا: تركيب الجملة الإفصاحية

الجملة الإفصاحية المركبة تتركب من ثلاثة أجزاء:

- **الجزء الأول: الفعل الإفصاحي (نحو: ظن، اعتقد، تبين...).**
- **الجزء الثاني: الموصل الإفصاحي، هو الذي يربط جملة الإفصاح بالجملة الثانية، نحو: أنّ (ظن زيد أنّ العلم نافع). وسأتحدث عنه بالتفصيل.**
- **الجزء الثالث: الجملة المقصودة بالإفصاح، مثل: (العلم نافع) في المثال السابق. فهذه الجملة أصلها جملة إخبارية مبتدأ وخبر (العلم نافع)، فأفصح عنها المتكلم، إما بظن أو يقين، أو غير ذلك.**

(الفعل الإفصاحي):

للفعل الإفصاحي تركيبان:

التركيب الأول: أن يأتي الفعل الإفصاحي، مع فاعل الإفصاح. نحو: علم زيدٌ العلمَ نافعاً، (علم: فعل إفصاحي، وفاعل الإفصاح: زيد).

التركيب الثاني: أن يأتي الفعل الإفصاحي، وفاعل الإفصاح، والمفعول به (المُفصَح له)، نحو: أعلمت زيداً أن العلم نافع، (أعلمت: تشتمل على فعل الإفصاح: علم، وفاعل الإفصاح: ضمير المتكلم، والمفعول به المفصح له: زيداً).

وقد يكون الإفصاح بلفظ يشبه الفعل، كالمصدر، نحو: اعتقادي أن النصر قادم. أو ألفاظ أخرى مؤولة بالمصدر، نحو (لا جرم)، كأن تقول: لا جرم أن النصر قادم (بمعنى: يقيناً). أو اسم الفاعل، نحو: أنا معتقد أن النصر قادم. ومن أمثلة المصدر قوله تعالى: { فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ } (سورة النور ٦).

(الحرف الموصل):

عرفنا من المثال السابق أن الموصل الإفصاحي هو جسر رابط يصل بين فعل الإفصاح والجملة المفصَح عنها، فهو حرف وظيفته التوصيل، مثل (أنّ)، في الجملة التالية:

الجملة الإخبارية: محمد قادم.

الفعل الإفصاحي: اعتقدت

الجملة الإفصاحية: (اعتقدت)–(أنّ)–(محمدا قادم).

ف(أن) موصل إفصاحي، توصل به الفعل الإفصاحي إلى الجملة الإخبارية، وهو غير موجود في الجملة الإخبارية أصلا.

والموصلات الإفصاحية هي: (أنَ)، (أنْ) [في الجمل الإخبارية المبدوءة باسم، وفي الجمل الشرطية]، و(أنْ) [في الجمل الإخبارية المبدوءة بفعل، وفي الجمل الطلبية]، و(أنما) [في الجمل الإخبارية، اسمية أو فعلية].

وهناك أفعال إفصاحية قد تتوصل إلى الجملة المفصَح عنها، بلا موصل إفصاحي، (ظن وأخواتها)، فتقول في المثال السابق: (ظننت)–(محمدا قادما).

وأحيانا لا تكون هناك حاجة إلى الموصل الإفصاحي، وإنما يؤتى بالجملة مباشرة، نحو: تبين لي من جاء.

ويتبين أن ثمة ثلاثة طرق للإفصاح[1]:

[1] شرحت سابقا في الجملة الإخبارية، مصطلحي: الموصول والمقطوع، وقلت أن الإفصاح الموصول هو أن يصل المتكلم الجملة التي يفصح عنها بالفعل الإفصاحي، من خلال الموصل الإفصاحي. أما الإفصاح المقطوع فهو قطع الجملة المفصح عنها عن فعل الإفصاح، وكأنه يستدعي الجملة فيقحمها في حديثه.

(١) الإفصاح الموصول: (ظننت أن محمدا مجتهد)، فتستخدم موصلا إفصاحيا للجملة. ونحو: أشهد ألا إله إلا الله. وهو الغالب في الإفصاح عن الجمل الإخبارية المثبتة.

(٢) الإفصاح المباشر: ويكون في أفعال اليقين والرجحان (باب: ظن وأخواتها)، وفي هذه الحالة يُتوصل إلى الجملة مباشرة دون موصل إفصاحي، مع تغيير إعرابها، فـ(محمد مجتهد)، تصبح: ظننت محمدا مجتهدا. وهذا في أفعال محدودة، ويختص بالجملة الإخبارية.

(٣) الإفصاح المقطوع: فتنقل الجملة بنصها، فنحو: إن محمدا كريم، تفصح عنها بنحو: حقاً، إن محمدا كريم. ويغلب في الجمل المنفية، تقول: حلف بالله ما قال.

[أما النفي بـ: (لن، ولم، ولا)، فالغالب فيها الإفصاح الموصول، كقوله: {أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ}(البلد٧)، وقوله: {أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ}(البلد٥)، {وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ}(المائدة٧١)].

وبهذا يتبين لنا قاعدة عامة في فتح همزة إن وكسرها، أن الهمزة تفتح في حال الإفصاح الموصول [فهي موصل إفصاحي]، أما (إنّ) مكسورة الهمزة فليست موصلا إفصاحيا، بل حرف تأكيد، وتستخدم في الإفصاح المقطوع فقط، مثلها مثل غيرها من الجمل.

(الجملة المُفصَح عنها):

الجملة المفصح عنها، هي إحدى أنواع الجمل الثلاث: إخبارية، أو شرطية، أو استفهامية. وهي الجزء الثاني من الجملة الإفصاحية المركبة، ولا يدخل الإفصاح على الجملة الطلبية. وهذه أمثلة:

الجملة الأصلية	نوع الجملة	الجملة الإفصاحية المركبة	طريق الإفصاح
العلم نافع	إخبارية	– ظننت أن العلم نافع	– الإفصاح الموصول
		– ظننت العلمَ نافعاً	– الإفصاح المباشر
		– حقاً: العلمُ نافعٌ	– الإفصاح المقطوع
من يجتهد ينجح	شرطية	– أيقنت أنّ من يجتهدْ ينجحْ	– الإفصاح الموصول
من جاء؟	استفهامية	– تبين لي من جاء	– الإفصاح المقطوع

والجملة المفصح عنها لا تعرب، ولست أرى إعرابها فاعلا أو مفعولا للفعل الإفصاحي، فنحو:

كيف فعل محمد؟ (جملة استفهامية)

تفصح عنها: (علمت كيف فعل محمد)، تبين لي: فعل إفصاحي وفاعله الضمير المتصل. وجملة (كيف فعل محمد): جملة مفصَح عنها، ولا تعرب فاعلا لـ(تبين).

وتقول: (أعلمت زيداً كيف فعل محمد)، فأعلمت زيدا: فعل الإفصاح وفاعله ومفعوله. وجملة (كيف فعل محمد): جملة مفصح عنها، ولا تعرب مفعولا.

فالجملة المفصح عنها، تأتي في جواب (ماذا)، ففي المثال الأول: جواب: ماذا علمت؟ (علمت كيف فعل محمد)، وفي المثال الثاني: جواب ماذا أعلمت زيدا؟

وعلى هذا يتخرج إعراب قوله تعالى: { وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ } (سورة إبراهيم ٤٥)، فجملة (كيف فعلنا بهم)، جملة مفصح عنها، لا محل لها من الإعراب. وعلينا ألا نخلط بين الفعل الإفصاحي في الجملة البسيطة والفعل الإفصاحي في الجملة المركبة، فنحو: تبين لي الأمرُ (هذه جملة بسيطة مركبة من فعل وفاعل، الأمر: فاعل، فالذي تبين لي الأمر)، أما في الجملة المركبة، فإني أفصح عن مضمون جملة أخرى تبينت لي.

وعليه يتخرج إعراب قوله تعالى: { ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ} (سورة يوسف ٣٥)، فـ(ليسجننه) جملة مفصَح عنها، لا محل لها من الإعراب، والفعل الإفصاحي: بدا، بمعنى: قرروا، وأصل الجملة: لنسجنن يوسف (جملة إخبارية فعلية دالة على المستقبل)، كما تقول: عزمت أن أسافر غداً، أو: عزمت لأسافرنّ غداً، ونحو: تبين للناس لينتصرنّ الحق.

**

ثالثاً: أفعال الإفصاح

أفعال الإفصاح خمسة أنواع:

النوع الأول: الإفصاح عن المعرفة والرأي، (نحو: تبين، تعلم، عرف، رأى، شاع، اشتهر).

النوع الثاني: الإفصاح عن الاعتقاد، نحو (اعتقد، أجزم، أشهد، أحلف، ...).

النوع الثالث: الإفصاح عن اليقين والظن (وهو إفصاح عن درجة الاعتقاد)، وهي أفعال اليقين والرجحان، نحو: علم، أيقن، وظن، وحسب...

النوع الرابع: الإفصاح عن المشاعر والوجدان، نحو: فرح، حزن، سر، ساء، أسف، ودّ، تحسر...

النوع الخامس: الإفصاح عن النوايا، نحو: عزم، أراد ...

وسآتي بأمثلتها عند حديثي عن الإفصاح في الجمل الإخبارية.

رابعا: الإفصاح عن الجملة الإخبارية

تناولت سابقاً أساليب العربية في الإخبار عن الشيء، بإثبات أو نفي. والإخبار هو القول الذي يُفترَض فيه أنه مطابق للحقيقة، فلا علاقة له بالتعبيرات النفسية، أو الإفصاح عن المشاعر تجاه تلك الأخبار.

فمثلا: محمد رجل، محمد مجتهد، لم يأت محمد، استيقظ محمد، كان محمد نشيطا... إلخ. كل هذه الأخبار يُفترض أنها تعبر عن الواقع. (بغض النظر عن صدقها أو كذبها، وبغض النظر عن كونها مشوبة بالرأي أو عدمه).

وفيما يلي أمثلة للإفصاح عن الجمل الإخبارية، والإفصاح عن الجمل الإخبارية أكثر الجمل شيوعا.

١- أفعال المعرفة والرأي:

نحو: عرف، تبين، تعلّم...

فنحو: (المعادن كثيرة)، هذه جملة إخبارية.

فإذا أفصحت عنها بألفاظ الرأي، تقول: عرفت أن المعادن كثيرة، تبين لي أن المعادن كثيرة، تعلمت أن المعادن كثيرة.. ونحو: عرفت أنك مسافر.

ومن ذلك قوله تعالى: { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } (سورة التوبة ١١٣) فقوله (تبين) فعل إفصاحي، والجملة الإخبارية المفصح عنها: (هم أصحاب الجحيم)، والموصل الإفصاحي (أنّ). ومثله قوله تعالى: { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ } (سورة التوبة ١١٤)، وقوله: { حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } (سورة فصلت ٥٣).

**

ويلحق بهذه الألفاظ ألفاظ إفصاحية غير مباشرة، نحو: شاع، اشتهر، ظهر، فالمتحدث لا ينسب هذه الألفاظ إلى شخص، فلا يقول: اشتهرت، كما يقول علمت، بل تكون الألفاظ دون فاعل، وكأن المتحدث يبين أن هذا الإفصاح ليس إفصاحا خاصا به، بل هو إفصاح عام لعامة الناس، فتقول في الأمثلة السابقة: اشتهر أن المعادن كثيرة، شاع أن المعادن كثيرة، ظهر أن المدينة جميلة (بمعنى: تبين).

٢- أفعال الاعتقاد:

نحو: اعتقد، شهد، أقسم، حلف، لعمر، وغيرها، وتدخل على الجملة بموصل إفصاحي، نحو: اعتقد محمد أن المدينة جميلة، وشهدت ألا إله إلا الله، وأقسم أن الباغي هالك ببغيه. (فالإفصاح في هذه الأمثلة موصول).

ومن أمثلة الإفصاح المقطوع: (أقسم إن الباغي هالك ببغيه)[1]، ونحو :لعمرك إن العلم نافع، قال تعالى: { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } (سورة الحجر ٧٢)، وقوله: { وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ } (سورة النحل ٣٨)، وقوله: { أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ } (سورة المائدة ٥٣)، وقوله: { وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ } (سورة التوبة ٥٦)، وقوله: { يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا } (سورة التوبة ٧٤).

ومن ألفاظه (لا جرم)، بمعنى: يقينا وحقاً، نحو: لا جرمَ إن الله يمهل الظالم (أو: لا جرم أن الله يمهل الظالم) – بحسب وصل الإفصاح أو قطعه. ومنه قوله تعالى: { لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ } (سورة هود ٢٢)، وقوله : { لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } (سورة غافر ٤٣).

---

[1] الفرق بين الجملتين (**أقسم أن الباغي هالك ببغيه**)، و(**أقسم إن الباغي هالك ببغيه**)، أن الجملة الأولى تتركب من لفظ إفصاحي (أقسم)، وموصل إفصاحي (أن) والجملة الإخبارية (الباغي هالك ببغيه). أما الجملة الثانية فتتركب من لفظ إفصاحي (أقسم)، وجملة إخبارية مؤكدة (إن الباغي هالك ببغيه). فالجملة الأولى أفصحت عن معناها، أما الجملة الثانية فنقلتها بنصها. وعليه نفهم أن نص الجملة الأولى: (الباغي هالك ببغيه).

ومن ألفاظه: حقا، نحو: حقاً أن الله رحيم (أو: حقاً إن الله رحيم). ونحو: حقاً أن التعلم نافع.

ومن الأمثلة التي ورد فيها الإفصاح الموصول والمقطوع معا، قوله تعالى: { فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ } (سورة النور ٦ – ٩). ففعل الإفصاح هنا (الشهادة)، وقد جاء مصدرا، وفي الآية السادسة إفصاح مقطوع (إنه)، وفي الآية السابعة إفصاح موصول (والخامسة أن)، وفي الآية السابعة جاء الإفصاح فعلا، وهو إفصاح مقطوع، وفي الآية الأخيرة: إفصاح موصول.

**

٣– أفعال اليقين والظن:

من أفعال اليقين، الدالة على العلم القاطع: رأى، علم، درى، وجد، ألفى. ومن أفعال الرجحان: ظن، خال، حسب، زعم، عدَّ[1].

وترد في هذا الباب كافة الأفعال الإفصاحية الدالة على اليقين والظن والتوهم، نحو: توهم، شكّ، خمّن، افترض، جزم، تيقن، أيقن، تأكد، تثبت، تحقق، توثق، وثق، ... إلخ.

وهذه الأفعال يتوصل بها إلى الجملة الإخبارية بالطرق الثلاثة: الإفصاح الموصول، والمقطوع، والمباشر.

وهذه أمثلتها:

الإفصاح المباشر:

[1] ومن الألفاظ الإفصاحية الدالة على الظن أيضاً: (كأنّ)، في نحو: كأن محمدا وقف. أو كأن محمدا في البيت، (أي: أظنه).

تدخل على الجملة المبدوءة باسم، فتنصبه، وتنصب الاسم الثاني أيضا، ويعرب الأول والثاني مفعولين، نحو: رأيت النصحَ مربحاً (فالنصح: مفعول أول، ومربحا: مفعول ثانٍ)، ونحو: رأيت النصحَ يثمر (ف:يثمر، في محل نصب مفعول ثان). ومن أمثلتها: علمت السفرَ بعيداً، وجدت العلمَ أعظمَ أسباب القوة، وجدت الحقَّ نافعاً. ف(رأى) ليست بصرية، ولكنها قلبية، بمعنى: اعتقد، وكذلك بقية الأفعال. ومن أمثلة أفعال الرجحان: أَحسِبُ الكتابَ كبيراً، ظننت محمدا مجتهداً، أقول السفرَ بعيدا (بمعنى: أظن).. وكقوله: { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } (سورة البقرة ٢٧٣). (الجملة الإخبارية: هم أغنياء من التعفف، وهذه الجملة بالنظر إلى حسبان الجاهل بهم، وليس إلى حقيقة الواقع).

الإفصاح الموصول:

وغالباً ما تأتي هذه الأفعال الإفصاحية مصحوبة بموصل إفصاحي، (أنّ وجملتها)، أو (أنْ وفعلها)، فيسدان مسد المفعولين، نحو: وجدت أن الحق نافع، زعم الظالم أنْ سينجو من العقاب، علمت أن الدِّين عاصمٌ من الزلل، ومنه قوله تعالى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا } (سورة التغابن ٧)، وقوله: { وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ } (سورة المائدة ٧١)، وقوله: { وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } (سورة الأعراف ٣٠)، وقوله: { وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } (سورة الكهف ١٠٤)، وقوله: { عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى } (سورة المزمل ٢٠)، وقوله: { وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا } (سورة الأعراف ١٤٩)[١].

ومن أمثلته أيضاً:

---

[١] وإذا كان الإفصاح للغير، فإن العرب تستخدم لفظين، هما: أرى وأعلم. نحو: أَرى الحكيمُ الناسَ النصحَ مربحاً، أعلم المعلَّمُ تلميذَه الحلَّ سهلاً، الوالدُ يُري ولدَه عاقبةَ التقصير وخيمةً.

فهذه الجمل تشتمل على اللفظ الإفصاحي (أرى، أعلم)، وعلى فاعل الإفصاح والمفصَح له، وعلى الجملة الإخبارية المفصَح عنها: (الحل سهل، عاقبة التقصير وخيمة، النصح مربح).

وغالباً ما يكون الإفصاح للغير غير مباشر، فتقول: أَرى الحكيمُ الناسَ أن النصحَ مربح، أعلم المعلَّمُ تلميذَه أن الحلَّ سهل، الوالدُ يُري ولدَه أن عاقبةَ التقصير وخيمة.

قوله: { وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ } (سورة ص ٢٤)، وقوله: { تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ } (سورة القيامة ٢٥)، وقوله: { وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ } (سورة القيامة ٢٨)، وقوله: { وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ } (سورة الأعراف ١٧١)، وقوله: { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ } (سورة يونس ٢٢)، وقوله: { وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ } (سورة القصص ٣٩)، وقوله: { مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ } (سورة الحشر ٢).

ومن أمثلة أفعال اليقين: { فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (سورة البقرة ٢٥٩)، وقوله: { ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (سورة المائدة ٩٧).، وقوله: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ } [الصف: ٥].

ومن أمثلة الإفصاح عن نفي الفعل، قوله:{ فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } (سورة الأنبياء ٨٧)، وقوله: { وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَدًا } (سورة الجن ٧)، وقوله: { بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا } (سورة الفتح ١٢)، وقوله: { عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ} (سورة المزمل ٢٠)، وقوله: { أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ } (سورة البلد ٧).

الإفصاح المقطوع:

ويغلب مجيء الإفصاح المقطوع في الجمل المنفية، نحو: علمت ما محمد كريم، ومن أمثلة الإفصاح عن النفي: قوله: { وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ } (سورة فصلت ٤٨)، وقوله: { لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } (سورة الأنبياء ٦٥)، وقوله: { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ } (سورة الإسراء ١٠٢).

ومن أمثلة الإفصاح المقطوع عن مثبت، قوله تعالى: { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ } (سورة الأنعام ٣٣).

**

٤- أفعال المشاعر والوجدان:

نحو: فرح، كره، حزن، سرّ، أسف، تحسر، تألم...إلخ[١].

فمثلا: السماء ممطرة. (هذه جملة إخبارية). ويمكنك أن تفصح عنها، فتقول: فرحت أن السماء ممطرة، أو: حزنت أن السماء ممطرة...

ونحو: تحسرت أن الجيش انهزم، وسررت أن القطار وصل، أو: سرني أن القطار وصل، وأسفت أن والد زيد مريض، وتألمت أن صديقي مريض... إلخ.

ويكثر بعد أفعال المشاعر: المجيء بـ(أنْ) يليها الفعل، وتأخير الفاعل، نحو: يسرني أنْ تأكل معي، أو: يسرني أن أكلت معي. ونحو: يسعدني أن تبادر إلى إغاثة الملهوف. أو: يسعدني أن تكون مبادرا إلى نصرة المظلوم.

ونحو: عجبت أنْ تأخر القطار. لقد ساءني أنْ مننت بمعروفك.

وهناك صيغة قياسية في التعجب، وهي (ما أفعله) و(أفعِلْ به)، إذا دخلت على جملة إخبارية، نحو: ما أشد سروري أنْ أكلت معي! ما أسعدني أن تكون مبادرا إلى نصرة المظلوم. (فـ: أنْ موصل إفصاحي)، وقد تدخل الباء على (أنْ) في صيغة (أفعِلْ به)، نحو: أسعِد بأن تكون مبادرا إلى نصرة المظلوم. (أو: أسعدْ إليّ أن تكون مبادرا إلى نصرة المظلوم)، وكقول الإمام علي: أعزز علي أن أراك مجندلا! (يخاطب عمار بن ياسر بعد استشهاده)، ومن أمثلته في الشعر:

أعزز علي بأنْ تكونَ عليلا أو أن يكون لك السقام نزيلا

وقول شاعر لحبيبته:

أهون عليّ إذا امتلأتِ من الكرى أني أبيت بليلة الملسوع

---

[١] المقصود أن تدخل هذه الأفعال على جمل إخبارية، كالأمثلة التي فوق. نحو: كرهت أن الفريق انهزم. أما نحو: كرهت المدينةَ، فليست جملة إفصاحية، بل هي جملة خبرية، تخبر فيها عن كراهيتك المدينة، ولذلك دخلت على مفرد.
ومثل هذا يقال في عامة الأفعال الإفصاحية، نحو: عرفت أن المعادن كثيرة (بخلاف: عرفت المعادنَ) فهذه جملة إخبارية.

٥- أفعال النوايا:

وهي الأفعال التي يفصح بها المتكلم عما سيفعله مستقبلا، ويدل على ذلك أفعال منها: عزم، قرر، بدا لي، نوى، همّ، أراد...

والجمل التي تفصح عنها هذه الأفعال، هي الجمل الإخبارية الفعلية المستقبلية، نحو: سوف أذهب، سأسافر، لأزورن مكة، لأحجن العام المقبل....

تقول في الإفصاح عنها:

(الإفصاح المقطوع): عزمت لأسافرنّ، نويت لأحجن العالم المقبل، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ } (سورة يوسف ٣٥)....

(الإفصاح الموصول): قررت أنْ أذهب، نويت أن أسافر، عزمت أن أحج العام المقبل...

ومن الإفصاح الموصول، بعد (أراد)، قوله: { فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ } (سورة الإسراء ١٠٣)، وقوله: { يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } (سورة الأعراف ١١٠)وقوله: { يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ } (سورة النساء ٢٦)، وقوله: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ } (سورة الأحزاب ٣٣) [الموصل الإفصاحي: اللام].

خامساً: الإفصاح عن بقية الجمل

أمثلة الإفصاح عن الجملة الشرطية:

{ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ } (سورة سبأ ١٤).

وكقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا}(التوبة٦٣). والموصل الإفصاحي (أن) ودخل عليه ضمير الشأن.

**

أمثلة الإفصاح عن الجملة الاستفهامية:

{ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ } (سورة القمر ٢٦)، وقوله: { فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا } (سورة الجن ٢٤)، وقوله: { فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ } (سورة الأنعام ١٣٥)، وقوله: { وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى } (سورة طه ٧١).

ومنه قوله: { إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (سورة الأنعام ١١٧)، فالجملة الاستفهامية: من يضل عن سبيل الله؟ ويدل عليه العطف في قوله تعالى: { وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ } (سورة القصص ٣٧).

سادساً: إثبات الجمل الإفصاحية ونفيها

الجمل الإفصاحية تبدأ عادة بأفعال، وهذه الأفعال الإفصاحية تتعلق بزمن وقع فقط، والزمن الذي وقع إما زمن مضى وانقضى، أو زمن لا زال واقعا (فهو قد وقع ولا زال مستمرا)، ولا يتعلق بزمن المستقبل. فأنت تفصح عما في نفسك من شيء قد وقع أو هو واقع.

ففي الماضي تقول: ظننت أن محمدا عندك، لقد ظننت أن محمدا عندك، كنت أظن أن محمدا عندك. وقال تعالى: { وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ } (سورة الأَعراف ١٧١)

وفي الحاضر: أنا أظن أن محمدا عندك، إني لأظن أن محمدا عندك، وكذلك أفعال الشروع، لدلالتها على الشروع في الحال: بدأت أعتقد أن فلانا كاذب. قال تعالى: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ } (سورة الأَعراف ٣٠).

كما تدخل عليها أشباه الأفعال: صرت أظن أن محمدا عندك، بت أعتقد أن محمدا عندك، ظل يظن أن محمدا عندك، لا زلت أظن أن محمدا عندك.

وتدخل عليها أفعال المقاربة؛ لأنها نافية في المعنى، فتقول: كدت أظن أن محمدا عندك (فأنت لم تظن).

**

أما المستقبل، فإن عامة أفعال الإفصاح نفسها لا يصح أن تدل على المستقبل؛ فلا تقول: سأظن أن محمدا عندك، فأنت إنما تفصح عما في نفسك. ولكن يصح أن تفصح عن جملة إخبارية مستقبلية، فتقول: (ظننت أنْ سوف يأتي محمد)، ففعل الإفصاح متعلق بما في نفسك، فالظن قد حصل، وتعلق الظن بأمر مستقبلي (فهو توقع).

وهذا باستثناء ألفاظ اليقين والمعرفة، فإنها تأتي في المستقبل، نحو: غدا سنعلم أن الصبر محمود العاقبة. ستعرف غداً أن الحق منتصر. وقوله: { وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى } (سورة طه ٧١)

وفي ما تقدم أمثلة عديدة على الإثبات.

**

أما في النفي فإنك تنفي الماضي والحاضر والمستقبل، بأدوات النفي الداخلة على الجملة الفعلية. نحو:

نفي الماضي: ما ظننت أن محمدا عندك، لم أظن أن محمدا يكذب.

نفي الحاضر: ما أظن أنك صادق، لا أعتقد أن المدينة جميلة، لست أظن أن المسالة صعبة.

نفي المستقبل: لن أظن أن محمدا كاذب.

**

وهكذا في عامة أفعال الإفصاح: ما أسفت أنك مريض، ما سررت أنك قادم... لم يتبين لي أن المعادن كثيرة، لم أعرف أن محمدا كريم... إلخ.

**

سابعاً: طلب الإفصاح والاستفهام عنه

ما سبق بيانه هو أن يثبت المفصِحُ إفصاحه، أو ينفيه، أو يثبت إفصاح غيره أو ينفيه.

وأحيانا قد يطلب المتكلم من غيره أن يعبر عن إفصاحه. (سواء إفصاح الإثبات، أو إفصاح النفي)، ويستخدم لذلك ما يلي من الطرق:

١- الصيغة الطلبية:

وذلك باستخدام أفعال الأمر أو النهي، نحو: تيقن أن النصر قادم، ثق أن الفرج قريب.. ومنه قوله تعالى: { فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ } (سورة محمد ١٩)، وقوله: { وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (سورة البقرة ٢٦٠)، وكقوله: { فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } (سورة المائدة ٩٢)، وقوله: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } (سورة الأنفال ٢٨)، وقوله: { وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ } (سورة إبراهيم ٥٢)، وقوله: { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } (سورة الحديد ٢٠) [تلاحظ أن الموصل الإفصاحي في هذه الأمثلة: أنما، دخلت على جملة اسمية].

وفي النهي تقول: لا تعتقد أن الأرض مسطحة، لا تظن أن المدينة مستسلمة. لا تحسب أني غافل. أو: لا تظن المدينة مستسلمةً، لا تحسبني غافلاً... ومنه قوله تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا } (سورة آل عمران ١٦٩) [حسب دخلت على الجملة مباشرة]، وقوله: { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ } (سورة إبراهيم ٤٢)، وقوله: { لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ } (سورة النور ٥٧).

ومن الأمثلة أيضا: { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ } (سورة آل عمران ١٧٨)، وقوله: { فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ } (سورة المائدة ٤٩)، فالموصل الإفصاحي (أنما)، وتليه أفعل مضارعة.

٢- الصيغة الاستفهامية:

وذلك بدخول همزة الاستفهام على نفي الإفصاح أو إثباته.

فمثلا: الجو صحو (هذه جملة إخبارية).

فإن أفصحت عنها إثباتا قلت: أعتقد أن الجو صحو.

وإن أفصحت عنها نفياً قلت: لا أعتقد أن الجو صحو.

فإذا استفهمت عن الإفصاح المثبت تقول: أتعتقد أن الجو صحو؟

وإذا استفهمت عن الإفصاح المنفي تقول: ألا تعتقد أن الجو صحو؟

والإفصاح عن النفي هو الغالب في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } (سورة الأنبياء ٣٠)، ففعل الإفصاح في الآية: الرؤية، وثمة استفهام عن إفصاح الكافرين تجاه هذه الحقيقة: (كانت السماوات والأرض رتقا ففتقهما الله) فهذه جملة إخبارية، والآية تتستفهم الكافرين عن موقفهم تجاه هذه الحقيقة: أولم يعلموا هذه الحقيقة؟!

ومثل ذلك قوله: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } (سورة المجادلة ٧)، وقوله: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً } (سورة الحج ٦٣)، وقوله: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ } (سورة الأنعام ٦)، وقوله: { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } (سورة الإسراء ٩٩).

وقوله: { أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ } (سورة المطففين ٤)، فعل الإفصاح هنا (يظن)، والجملة الإخبارية المفصَح عنها (هم مبعوثون)، والموصل الإفصاحي (أنّ)، وفي الآية استفهام عن إفصاح (أولئك) تجاه هذه الحقيقة.

وقوله:{ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (سورة البقرة ١٠٦)، فعل الإفصاح هنا: (علم)، والموصل الإفصاحي (أنّ)، والجملة الإخبارية: (الله على كل شيء قدير)، وفي الآية

استفهام عن إفصاح المخاطب تجاه هذه الحقيقة. ومثله قوله: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } (سورة الحج ٧٠).

فالاستفهام في هذه الآيات يقصد به طلب الإفصاح، أي: انظروا وتأملوا واعتقدوا ذلك واعلموه.

ومن أمثلة الاستفهام عن الإفصاح المثبت في القرآن الكريم: { أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ } (سورة العنْكبوت ٢)، وقوله: { أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى } (سورة الأنعام ١٩)، وقوله: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا } (سورة المؤمنون ١١٥)، وقوله: { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ } (سورة الكهف ١٠٢).

**

ومن أمثلة الإفصاح عن الجملة الاستفهامية:

قوله: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ } (سورة الفجر ٦)، وقوله: { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا } (سورة نوح ١٥)، وقوله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا } (سورة الفرقان ٤٥)، (كلها: إفصاح مقطوع).

وقوله: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ } [يس: ٣١]، فجمع بين الإفصاح المقطوع عن الجملة الاستفهامية المراد بها التكثير (كم أهلكنا قبلهممن القرون)، والإفصاح الموصول للجملة الإخبارية المنفية (أنهم إليهم لا يرجعون).

الفصل السادس: التوكيد

التوكيد هو التقوية، وفي مقاييس اللغة أن (وكد) تدل على الشد والإحكام. فالمتكلم حين يؤكد كلامه، فإنه يقوي مضمونه، ويوثقه، أيا كان المضمون: إخبارا أم استفهاما أم طلبا...، وأيا كان نوع المؤَكَّد: جملة أم لفظة. والقاعدة العامة أن التوكيد لا يؤسس لمعنى جديد، وإنما يؤكد المعنى السابق، ولذلك فلا نعد الوصف مثلا أو الحال توكيدا؛ إذ هو يؤسس معنى جديدا.

وسأتناول هذا الفصل في ثلاثة مباحث: توكيد الجمل، وتوكيد الألفاظ، والتوكيد بنقض الإثبات أو النفي. وأضيف إليها مبحثا رابعا لبيان دواعي التوكيد.

المبحث الأول: توكيد الجمل

توكيد الجمل يكون بدخول المؤكد على الجملة كلها، وليس على إحدى مفرداتها، ومؤكدات الجمل هي: إنّ وإنما، واللام، وقد، والقسم، وأدوات التنبيه الداخلة على الجمل.

وعامة هذه المؤكدات لا تغير شيئا في إعراب الجمل التي تدخل عليها، باستثناء (إنّ)، حيث تدخل على الجملة المبدوءة باسم فتنصبه.

فمثلاً، الجملة: محمد مجتهد.

أؤكدها بمؤكد واحد، فأقول: إن محمداً مجتهدٌ.

وقد أؤكدها بمؤكدين: إن محمداً لَمجتهدٌ.

وقد أؤكدها بثلاثة مؤكدات: والله إن محمداً لمجتهدٌ.

وقد أؤكدها بأربعة مؤكدات: أما والله إن محمداً لمجتهدٌ.

أولاً: إن، إنما

(إنّ) هي أم المؤكدات، وتؤكد الجملة الإخبارية المثبتة، ولا تستخدم إلا حيث يكون هناك شك لمضمون الكلام، أو إنكار له، أو جرى الخطاب مجرى الشك والإنكار.

هنا ثلاث أدوات: إنّ، إنْ [مخففة]، إنما[1].

و(إنّ)، تدخل على جملة مبدوءة باسم، فينتصب الاسم بعدها. و(إنْ)، و(إنما) يدخلان على جمل مبدوءة باسم أو فعل.

(إنّ):

تدخل على جملة مبدوءة باسم، نحو: إن محمداً مجتهدٌ (الجملة قبل التوكيد: محمدٌ مجتهدٌ)، فمحمد هو المبتدأ ولكنه وقع منصوبا بعد (إن). ومن أمثلتها: ومن أمثلته قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَّأُوْلِي الأَبْصَارِ}(آل عمران١٣)، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُم}(النور١١)، وقوله: { إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ } (سورة الأَنعام ١٣٤).

وفي حال توكيد الاسم باللام، فإنه يتأخر، كقوله: كقوله: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}(الليل١٢).

وقد تؤكد (إنّ) بعض الجمل الشرطية، نحو: إنّ من يجتهدْ ينجحْ، ومنه قول العرب: إنَّ منْ يرضَ عن الشر يلقَ سوءَ الجزاء.

**

[1] بالنسبة إلى: (أنّ، أنْ، أنما)، فهذه الأدوات الثلاث، ليست من المؤكدات في شيء، وإنما هي أدوات موصلة، وقد سبق أن بينت وظيفتها في الجملة الإخبارية والجملة الإفصاحية، والخطأ الذي أوقع بعضهم بالقول إنما مؤكدة هو مشابهتها الصورية للمؤكدات: (إنّ، إنْ، إنما)، والأصل النظر في الوظيفة، لا الصورة.

(إنْ) [مخففة]

تؤكد الجملة شبه الفعلية، غالباً، فيليها أحد الأفعال الشبيهة بالفعل: كان، كاد، ظن، وجد،... إلخ [ويسميها النحاة الأفعال الناسخة]، وتدخل اللام المؤكدة على الخبر.

نحو: إنْ كان محمد لكريماً، [فالجملة الأصلية: كان محمد كريما]، ونحو: إنْ وجدنا السيارةَ لَسريعةً، [فالجملة الأصلية: وجدنا السيارة سريعة].

من الأمثلة، مجيؤها مع (كان)، قوله: { وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا } (سورة الإسراء ١٠٨)، [فالجملة الأصلية: كان وعد ربنا مفعولا]، وقوله: { تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (سورة الشعراء ٩٧)، وقوله: { وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ } (سورة إبراهيم ٤٦).

ومن مجيئها مع (كاد): { إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا } (سورة الفرقان ٤٢)، [فالجملة الأصلية: كاد يضلنا عن آلهتنا] وقوله: { قَالَ تَاللهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ } (سورة الصافات ٥٦).

ومع (ظن): { وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ } (سورة الشعراء ١٨٦)، وهو فعل مضارع. [فالجملة الأصلية: نظنك من الكاذبين].

ومع (وجد): { وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ } (سورة الأَعراف ١٠٢).

(إنما):

تدخل على الجملة الاسمية والفعلية،

فمن دخولها على الجملة المبدوءة باسم: قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ}(المائدة ٥٥)، وقوله: { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } (سورة آل عمران ١٧٥)، وقوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ}(البقرة١١)، وتلاحظ

من خلال هذه الأمثلة أن في التوكيد بهما دفعا لتوهم سابق، فالمعنى في هذه الآية: نحن لسنا مفسدين، وإنما نحن مصلحون.

ومن دخولها على الجملة الفعلية، سواء فعلها ماضيا كان أم مضارعا، قوله {وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}(البقرة١١٧)، وقوله: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}(البقرة١٦٩)، وقوله: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ}(البقرة١٧٣)، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً}(النساء١٠).

ثانياً: اللام

من أهم المؤكدات في اللغة العربية (اللام المفتوحة)، وتؤكد في ثلاثة مواضع: لام الابتداء، لقد، لئن.

وقاعدة التوكيد باللام، أنها غالباً يأتي معها مؤكد آخر في الجملة التي تؤكدها، كما يتبين مما نوضحه.

الأسلوب الأول: اللام

تؤكد مضمون الجملة المثبتة (الاسمية والفعلية)، وتزيل الشك عن معناها المثبت. (ولا تدخل في النفي).

ولها ثلاث صور:

الصورة الأولى: (لام الابتداء)

الدخول على المبتدأ، كقوله: {لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ}(الحشر١٣)، وقوله: {إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ}(يوسف٨)، وقوله: {لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ}(التوبة١٠٨)، ونحو: ليد كاسبة خير من عاطلة.

الصورة الثانية:

المجيء مع (إنّ)، ويكون اللفظ الذي تدخل عليه مرتبته التأخير، سواء الخبر، أم الاسم.

- الاسم فتؤخره عن الخبر، كقوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَارِ}(آل عمران١٣)، وقوله: { إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى } (سورة الليل ١٢ – ١٣).
- والخبر،

- سواء اسما كان، أم حرف جر ومجروره، أم ظرفا.. كقوله:{إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }هود٤١)، وقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}(القلم٤)، وقوله: {أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ}(المائدة٥٣).
- أو كان الخبر فعلاً، نحو: إن السماء لَتمطرُ. فيتمخض الفعل لدلالة الحال، أي: تمطر الآن. وكقوله: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ}(الأعراف٦٦).

الصورة الثالثة: لام الفعل المضارع

تدخل اللام على الفعل المضارع (غير المسبوق بـ: إنَّ)، فتخلصه للاستقبال، ولها موضعان:

الموضع الأول:

الدخول على الفعل المضارع، وفي هذه الحالة يؤكد الفعل بنون التوكيد في آخره، نحو: لأنصرنَّ المظلومَ، قال تعالى: { كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي } (سورة المجادلة ٢١)، وقوله: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}(محمد٣٠)، وقوله: {ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ}(النمل٣٧).

الموضع الثاني:

الدخول على الفعل المضارع، المصحوب بـ(سوف)، نحو: لسوف أريك أمرا عجيباً، قال تعالى: { وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } (سورة الضحى ٥)، وقوله: { فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (سورة الشعراء ٤٩).

الأسلوب الثاني: لقد

فتدخل اللام على الفعل الماضي المثبت، المؤكد بـ(قد)، فتصبح: لقد، نحو: لقد رأيت الأسد.

قال تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } (سورة المائدة ١٧ – ٧٢)، وقال: { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ } (سورة الأعراف ٥٩)، وقال: { وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } (سورة الكهف ٤٨)[1].

الأسلوب الثالث: لئن

تدخل اللام على الجملة الشرطية، التي شرطها (إنْ)، فتكتب: (لئن). وفي هذه الحالة لا بد أن يكون جواب الشرط المثبت مؤكدا بمؤكد آخر. أما الجواب المنفي فلا يحتاج مؤكدا آخر.

وهذه حالات جواب الشرط بعد (لئن) في القرآن الكريم:

- **جملة الجواب منفية،**
  - **اسمية، كقوله: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } (سورة البقرة ١٢٠)، وقوله: { لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ } (سورة المائدة ٢٨).**
  - **فعلية، فعلها ماض، كقوله: { وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} (سورة البقرة ١٤٥)، وقوله: { وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا**

[1] اللام حيث ذكرت مع (قد) مؤكدة له، وحين تسبق بواو، فإن النحاة يقدرون قسما محذوفاً، وهذا غريب، فالواو الداخلة على (لقد) مثل غيرها من الواوات، إما تكون عاطفة للجملة على ما قبلها، وإما تكون مستأنفة، ولا أدري ما الداعي لتقدير القسم، إلا ليطرد مع صورة أخرى، هي أيضا مما تكلف النحاة فيه القول، وهي صورة (لئن)، وسأوضحها فيما يلي.

مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ } (سورة فاطر ٤١). وفعلها مضارع، كقوله: { لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } (سورة الإسراء ٨٨).

- جملة الجواب مثبتة، اسمية مؤكدة بـ

  - (إن) واللام، و(إذاً الجوابية)، كقوله: { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ } (سورة البقرة ١٤٥)،

  - (إن)، واللام، كقوله: { وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} (سورة هود ٩)، {وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } (سورة إبراهيم ٧).

  - اللام الثانية {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ } (سورة آل عمران ١٥٧ – ١٥٨)، وقوله: { وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } (سورة النحل ١٢٦).

- جملة الجواب مثبتة، فعلية، مؤكدة:

  - فعلها مضارع مؤكد باللام والنون، كقوله: { لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } (سورة الأنعام ٦٣)، وقوله: { كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ } (سورة العلق ١٥).

  - ماض مؤكد باللام، كقوله: { وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ } (سورة الروم ٥١).

ثالثاً: قد

وتؤكد الفعل الماضي المثبت، نحو: قد سافر محمد، وحين تدخل عليه تخلص معناه للمضي، كما تخلص اللام معنى المضارع للحال (غالباً).

قال تعالى: { قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (سورة البقرة ١١٨)، وقال: { تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ } (سورة البقرة ١٣٤ – ١٤١)، وقال: { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (سورة البقرة ٢٥٦)، وقوله: { وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ } (سورة النساء ١٦٤).

وإذا دخلت (قد) على المضارع، فإنها تفيد التقليل، والشك، لا التوكيد، نحو: قد يأتي محمد (ربما يأتي وربما لا يأتي)، ونحو: قد أسافر.

إلا في القرآن الكريم، فإنها تدخل مع الفعل المضارع المسند إلى الله سبحانه وتعالى، فتفيد اليقين، وتحول معناه إلى المضي أيضاً، كقوله تعالى: { قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ } (سورة الأنعام ٣٣)، أي: قد علمنا ذلك الأمر، وقوله: { قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (سورة النور ٦٣)، أي: قد علم الله ذلك علما يقينا. وقوله: { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } (سورة البقرة ١٤٤). وقوله: { أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا } (سورة النور ٦٤).

رابعاً: القسم

١- تركيب القسم ودلالته:

يدخل القسم على غيره من الجمل، لذلك فجملة القسم تتركب من جزءين، الجزء الأول: المركب القسمي، والجزء الثاني: الجملة المقْسَم عليها.

نحو: والله لتفعلن (والله: مركب القسم، لتفعلن: الجملة المقسم عليها، وهي جملة طلبية: لتفعلن = افعلْ).

المركب القسمي: هو لفظ القسم وما دخل عليه، نحو: أقسم، ونحو: والله (فاشتمل على حرف القسم والمقسم به)، ونحو: أقسم بالله (فاشتمل على لفظ القسم وحرف القسم والمقسم به).

والجملة المقسَم عليها، قد تكون جملة إخبارية، أو طلبية، أو استفهامية، أو إفصاحية.

والقسم هو الحلف على أمر ما، لتوكيد الأمر وتقويته.

فإذا كان الأمر المقسَم عليه جملة إخبارية فإن المقسِم يؤكده ويزيل الشكوك التي تعتريه، نحو: والله لقد سافر زيد، والله ما أنا بالكاذب... إلخ. وهناك كثير من المقامات التي يستخدم القسم معها، سأذكر بعضا منها لاحقاً.

وإذا كان الأمر المقسَم عليه جملة طلبية، فإن المقسِم يقوي الطلب، ويؤكد أهميته، وضرورة تنفيذ المخاطب له، نحو: والله لتسافرنّ غداَ. أو يثير شعور المخاطب ويدفعه إلى الفعل، نحو: بالله ارحم هذا اليتيم.

وإذا كان الأمر المقسَم عليه جملة استفهامية، فإن المقسِم يحفز انتباه المخاطب، ويثير شعوره، نحو: بالله هل نصرت الحق يوما؟! وكقول الشاعر:

بالله ربك يا غزال الوادي ماذا يروقك من عذاب فؤادي؟!

٢- المركب القسمي:

ذكرت أن القسم يتركب من: مركب قسمي، وجملة مقسَم عليها. وللمركب القسمي في اللغة العربية عدة صور، يوضحها الجدول التالي:

اللفظ	حرف القسم	المقسم به	أمثلة
لفظ جرى مجرى القسم			- {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}(الأعراف١٦٧)
(سألتك)	الباء	اللهِ	- سألتك بالله إلا نصرت المظلوم
(نشدتك)		اللهَ	- أنشدك الله لمَا تركتني من إلحافك
لفظ القسم			- {أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللّهُ بِرَحْمَةٍ}(الأعراف٤٩).
لفظ القسم وشبهه	الباء	المقسم به مجرور	- أقسم بالله لأفعلن، - {وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللّهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً}(النحل٣٨) - ونحو: يميناً بالله لأفعلن.
لا أقسم	الباء	المقسم به مجرور	- {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}(الواقعة٧٥) [ف(لا) مؤكدة للقسم، وليست نافية]
	حرف القسم (و، ب، ت، ل)	المقسم به مجرور	- والله العظيم لأفعلن الخير معك - {تَاللّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ}(النحل٥٦). - بالله لتذهبن من هنا. - وعزتك وجلالك لأنتصرن لديني - {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الحجر٧٢) - والذي نفسي بيده لأنصرن الحق. - لِله! لا يؤخر الأجل [واللام تفيد التعجب مع القسم]
	وايم	الله	- وايم الله إن كان لخليقا للإمارة - وايم الذي نفس محمد بيده

ومن الألفاظ التي تجري مجرى القسم:

(تأذن)، كقوله: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}(الأعراف١٦٧)، الجملة المقسم عليها إخبارية: ليبعثن. (تمت) في قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}(هود١١٩). (كتب) في نحو: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}(المجادلة٢١). (آلى): آليت لأقولنّ الحقَّ ولو ضحيت بنفسي لأجله. (أخذ) كقوله {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ}(آل عمران١٨٧)، فأخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف. (وعد) كقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً}(النور٥٥).

وأما نحو (لئن، ولقد) فالتوكيد فيها باللام المؤكدة، كما سيأتي، ولا داعي لتكلف تأويله.

**

أما طلب القسم من الشخص فيكون إما بلفظ القسم وما في معناه، نحو: اِقسمْ بالله، أو: أتقسم بالله، أو: احلف، أو: أعطني العهد والميثاق....إلخ.

وهناك صيغة اصطلاحية، وهي لفظ: آلله، ومنه في الحديث عندما جاء الأعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحلفه قائلا: آلله أمرك بهذا.

**

ويكثر المجيء بالمركب القسمي فقط، في الجواب، كأن يسألك سائل: هل قرأت الكتاب كله، فتجيب: نعم، والله. ومنه قوله: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ}(الأحقاف٣٤)، وقد تعاد الجملة المقسم عليها، كما في قوله: { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ } (سورة يونس ٥٣).

**

الجملة المقسَم عليها:

ذكرت أن القسم يدخل على عامة الجمل العربية (والنحاة يسمون هذه الجملة: جواب القسم، وفي حديثهم عنها كثير من التكلف، يغني القول عنه إنها جملة مقسَم عليها)، وهذا جدول يبين أمثلة القسم على أنواع الجمل، ويحللها وفق أصولها:

مثال الجملة بعد القسم	نوع الجملة المقسم عليها	الجملة الأصلية
– والله ليوسف أحب إلى أبينا منا – والله إن محمد شجاع – والله محمد شجاع	إخبارية اسمية مثبتة (مؤكدة بـ: إن، أو اللام) أو (غير مؤكدة، بقلة)	– ليوسف أحب إلى أبينا منا – إن محمد شجاع – محمد شجاع
– تالله ليحاسبنك اللهُ	إخبارية فعلية مثبتة (فعلها مضارع مؤكد باللام والنون)	– ليحاسبنك اللهُ
– والله لقد علمتَ صدقي – والله قد علمتَ صدقي	إخبارية فعلية مثبتة (فعلها ماض مبدوء بـ: قد)	– لقد علمت صدقي – قد علمت صدقي
– والله ليس كمثل الله شيء – والله ما أنا بالكاذب	إخبارية منفية اسمية	– ليس كمثل الله شيء – ما أنا بالكاذب
– والله ما يقوم زيد – والله لا يقوم زيد – والله إنْ يقوم زيد – والله لن يقومَ زيد – والله ما قام زيد	إخبارية منفية فعلية	– ما يقوم زيد – لا يقوم زيد – إنْ يقوم زيد – لن يقومَ زيد – ما قام زيد
– والله لتسافرنّ غداً – بالله! ارحم المسكين	طلبية: أمر (مبدوءة بمضارع مؤكد) [مع: والله].	– لتسافرنّ غداً – ارحم المسكين
– والله لنعم الرجل زيد – والله نعم الرجل زيد	إفصاحية (مؤكدة باللام أو غير مؤكدة)	– لنعم الرجل زيد – نعم الرجل زيد
– بالله هل نصرت الحق يوما	استفهامية	– هل نصرت الحق يوما
– والله لولا الله ما اهتدينا – والله لو شاء الله لهدى الناس كلهم	الشرطية الامتناعية، غير مؤكدة	– لولا الله ما اهتدينا – لو شاء الله لهدى الناس كلهم
– والله مَنْ يذاكرْ ينجحْ	الشرطية الإمكانية، غير مؤكدة	– من يذاكر ينجحْ
– والله لئن أتيت لأكرمنك	شرطية إمكانية (مع: إن)، مؤكدة	– لئن أتيت لأكرمنك

وهذا جدول إيضاحي مختصر، يبين ما يدخل عليه القسم من الجمل:

الجملة	مؤكدة/غير
إخبارية مثبتة	مؤكدة غالباً
إخبارية منفية	غير مؤكدة
شرطية	مؤكدة وغير مؤكدة
إفصاحية	مؤكدة وغير مؤكدة
طلبية	مؤكدة وغير مؤكدة
استفهامية	غير مؤكدة

***

٣- مقامات القسم في القرآن الكريم

القسم كما ذكرت، يزيل الشكوك، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة، وفيه إقامة للحجة، وتثبيت للبرهان، ولهذا لا يستخدم إلا في المقام الذي يحتاج إليه.

والناظر في أقسام القرآن الكريم يجد أنه استخدمه في عدة مقامات، منها:

- أن يكون المقسم عليه من الأمور الغائبة التي قد يشك فيها الناس ولكنها حقيقية، كقوله [وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً{١} فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً{٢} فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً{٣} فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً{٤} إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ{٥}](الذاريات١-٥)، وقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ}(سبأ٣)، وقوله: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ}(التغابن٧).
- وكذلك في مقام التهديد والوعيد، كقوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(الحجر٩٢-٩٣)، وقوله: {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}(المعارج٤٠-٤١)، وقوله: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ

أَلِيمٌ}(يس١٨). وكذلك في المقام الذي يصاحبه التهديد لفاعله، كقوله[وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ{١} وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ{٢} وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ{٣} قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ{٤}](البروج١-٤)، وقوله: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}(النساء٦٥).

- وفي مقام الامتنان، كقوله: [وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ{١} وَطُورِ سِينِينَ{٢} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ{٣} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ{٤}](التين١-٤).
- وفي مقام التقرير بالأمر، كقوله: [فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ{٧٥} وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ{٧٦} إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ{٧٧} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ{٧٨} لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ{٧٩} تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٨٠}](الواقعة٧٥-٨٠).
- وفي مقام تثبيت المخاطب وإشعاره بالطمأنينة ، كقوله: [يس{١} وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ{٢} إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ{٣} عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{٤}](يس١-٤). وكذلك في مقام الوعد حتى يطمئن السامع إلى العاقبة، كقوله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً}(النور٥٥).
- وفي مقام الحالة التي يتعجب منها، كقوله:[وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى{١} وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى{٢} وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى{٣} إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى{٤}](الليل١-٤)، وقوله:[فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ{١٦} وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ{١٧} وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ{١٨} لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ{١٩}](الانشقاق١٦-١٩).
- وفي مقام التعظيم حتى تمتلئ نفس السامع بهذه العظمة والرهبة، كقوله: [وَالصَّافَّاتِ صَفّاً{١} فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً{٢} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً{٣} إِنَّ إِلَهَكُمْ

لَوَاحِدٌ{٤} رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ{٥}](الصافات١-٥).

- في مقام الإنكار، كقوله: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ}(الروم٥٥).
- وفي مقام التحدي والتعجيز، كقوله:{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}(الإسراء٨٨). ومنه التحدي الذي يمتزج بالتهكم، كقوله: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ}(الحشر١٢).
- وفي مقام الفخر الذي يظن المقسم فيه أن مكانته كبيرة، كقوله: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً}(مريم٧٧).
- وفي مقام التعاهد على الأمر وتوثيقه، كقوله: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ}(النمل٤٩).

خامساً: أدوات التنبيه الداخلة على الجمل

تدخل بعض أدوات التنبيه على الجملة، فتؤكدها، وتنبه المخاطب إلى مضمونها، ومن ذلك: (ألا، أما، يا).

الأسلوب الأول: الاستفتاح بأداتي التنبيه، وهما (ألا، أما).

وتدلان على تحقق ما بعدهما، ولدلالتهما على التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدهما إلا مصدرة بقسم، أو بمؤكد آخر من المؤكدات، كقوله: {أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ}(البقرة٢١٤). وقوله: {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ}(الأعراف١٣١)، وقوله: {أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(المجادلة٢٢)، ومن أمثلة تصدر الجملة بعدها بقسم قول الشاعر:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

ومن أمثلة مجيء جمل غير الإخبارية بعدها: قوله عليه السلام: (ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد)، وكقوله: (ألا فليؤد كل مؤتمن أمانته)، وقوله: (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب).

الأسلوب الثاني: التنبيه بـ (يا)

فتؤكد جملة التمني، كما في قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ}(يس٢٦)، وتؤكد الجملة الإخبارية المبدوءة بأداة، ك(رب)، كما في قول الشاعر:

فيا ربما بات الفتى وهو آمن وأصبح قد سدت عليه المطالع

وقد تدخل على المدح، أو الدعاء، كقول الشاعر:

قل لمن حصل مالا واقتنى أقرض الله، فيا نَعمَ المدين

وقوله:

فإن فعلوا هذا فيا مرحبا بهم وإلا فيا سحق المعاند من سحق

وقوله:

فيا حبذا قبل الشقاء نعيمه ويا حبذا بعد النعيم شقاؤه

وقوله:

يا – لعنةُ الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

المبحث الثاني: توكيد الألفاظ

توكيد الألفاظ، يقصد به أن يدخل المؤكِّد على لفظ في الجملة، وهذه المؤكدات على اختلافها ترجع إلى التكرار، إما تكراراً لفظيا للفظ المؤكَّد، وإما تكراراً دلالياً (من حيث الدلالة المعجمية)، وإما تكراراً صرفياً [أي: تكرار الصيغة بصيغة صرفية أخرى].

أولاً: التكرار اللفظي (التوكيد اللفظي)

وهو توكيد اللفظ السابق بإعادة لفظه، سواء حرفاً كان أم اسماً أم فعلاً أم جملة، ويعرب: (توكيد لفظي). وبيانه كما يلي:

(١) توكيد اللفظ المفرد:

توكيد المفردات بإعادتها، نحو: محمد محمد رسول الله، ينتصرُ ينتصرُ الحق. لا لا أرضى بالضيم، ومن الأمثلة قول الشاعر:

هي الشمس تشرق كل صباح تأملْ تأملْ ترى النور لاح

وقوله:

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي

وقوله:

ألا حبذا حبذا صديق تحملت منه الأذى

(٢) توكيد الجار والمجرور، أو الضمير

وإذا كان اللفظ السابق (جارا ومجرورا) فإن توكيده اللفظي بإعادته كله (الجار ومجروره)، نحو: لك لك منزلة الأخ، وبك بعد الله بك أستعين، ومن الأمثلة قوله تعالى:

{وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ}(الروم٤٩)، وقوله: {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا}(هود١٠٨)، وقوله: {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا}(الحشر١٧).

وكذلك الضمير يكرر مع ما اتصل به، كما في قوله تعالى {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ} (المؤمنون٣٥).

وفي حال تكرار الضمير المتصل وحده (أي: دون ما اتصل به)، فإنك تكرره بضمير منفصل، نحو: هل زرتَ أنت والدَك؟ ونحو: لقد قرأتُ أنا كتابَك. وفي القرآن الكريم: قوله تعالى: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ}(البقرة٣٥)، وقوله: {تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا}(هود٤٩)، وقوله: {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(المؤمنون٢٨)، وقوله: {فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ}(الأنبياء٦٤)، وقوله: {وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}(القصص٣٩).

(٣) توكيد الجملة:

وإذا كررت الجملة، ففيها ثلاث صور:

الأولى: تكرار الجملة بإعادتها كما هي، نحو: (الخير محمود العاقبة، الخير محمود العاقبة)، وقوله:

أيا	من	لست	ألقاه	ولا	في	البعد	أنساهُ
لك	الله	على	ذاكا	لك	اللهُ	لك	اللهُ

الثانية: تكرارها بعطفها عطفاً صوريا، فتقول: الخير محمود العاقبة، ثم الخير محمود العاقبة. والعطف الصوري يكون فيه حرف العطف مهملا، فقط هو في صورة العطف وشكله. والعاطف غالباً (ثم)، وقد يكون الفاء، كقوله: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ}(التكاثر٣-٤)، وقوله: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ}(الانفطار١٧-١٨)، وقوله:{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}(القيامة٣٤)، وقوله:

ويا ليتني ثم يا ليتني شهدت وإن كنت لم أشهد

ولكن يجب ترك العطف لو أوقع في لبس، نحو: عاقب الحاكم اللصوص. عاقب الحاكم اللصوص. فلو قلت (عاقب... ثم عاقب...) لوقع الوهم في تكرار العقاب.

الثالثة: تكرار الجملة، بإعادة الفعل والمجيء بضمير دال على بقية الجملة، نحو: زر والدك – زره – كل يوم [فقلت: زره، والضمير يعود إلى الوالد]، ومنه قوله تعالى: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً}(الطارق١٧).

ثانياً: التكرار الدلالي

للتكرار الدلالي ثلاثة أساليب، هي:

١- الأسلوب الأول: التوكيد المعنوي

وهو توكيد اللفظ بلفظ تابع يزيل عنه ما لا يراد من احتمالات معنوية، ويقرر المعنى، ويؤكده، بأحد الألفاظ الواردة في ذلك. وهذا اللفظ المؤَكَّد يعد متبوعاً، واللفظ المؤَكِّد تابع، والتابع (التوكيد) يتبع متبوعه في الإعراب رفعاً ونصباً وجراً وجزماً في الفعل، ويتبعه في التذكير أو التأنيث، وفي الإفراد أو التثنية أو الجمع.

وهناك ألفاظ معينة وردت عن العرب للتوكيد، وتختلف هذه الألفاظ باختلاف الهدف من التوكيد، ويمكن تصنيف هذه الألفاظ إلى ثلاثة أنواع، وهي:

(الأول): إزالة الاحتمال عن الذات

وألفاظه: نفس وعين، نحو: زرت الأميرَ نفسَه، وصافحت الأميرات أعينَهنّ.

فإذا قلت: زرت الأميرَ، فقد يحصل شك: هل زرت الأمير نفسه أم نائبه أم بيته أم....الخ؟ وهل الكلام حقيقة أم مجاز أم فيه مبالغة؟... ففي الذات عدة احتمالات، فلو قلت: زرت الأمير نفسه، صرفت الشكوك وأزلت الاحتمالات الأخرى، وقصرت المعنى الحقيقي على الذات وحدها.

ويجوز المجيء بالباء الزائدة لتقوية التوكيد، نحو: جاء الأمير نفسه- بنفسه، أو: عينه- بعينه.

(الثاني): إزالة الاحتمال والمجاز عن التثنية

إزالة الاحتمال والمجاز عن التثنية، وإثبات أنها المقصودة حقيقة، وألفاظه: (كلا) للمثنى المذكر، و(كلتا) للمثنى المؤنث، نحو: جاء الأميران كلاهما، ونحو: جاءت الأميرتان كلتاهما. فهنا نفي لتوهم أن الذي جاء أحدهما.

ومن المستقبح بلاغة أن تقول: تخاصم الرئيسان كلاهما، حيث لا مجال لاحتمال التخاصم من أحدهما دون الآخر. وكذلك عامة الأفعال الدالة على التشارك.

(الثالث): إفادة التعميم

إفادة التعميم الحقيقي المناسب لمدلوله المقصود، وإزالة الاحتمال عن الشمول الكامل، وألفاظه: (كل، جميع، عامة، أجمع)، نحو: جاء الطلابُ كلُّهم، (أو جميعُهم، أو عامتُهم).

فحو: جاء الطلاب، فقد يظن أن أكثرهم جاء، وأن المجيء لا يشملهم جميعاً، فلو قلت: جاء الطلاب كلهم، (أو جميعهم، أو عامتهم) لزال هذا الاحتمال وأفاد أن الجميع جاء.

و(كل) وأخواتها، لا تؤكد إلا لفظا مجموعا له أفراد، نحو: الطلاب، أو لفظا مفردا له أجزاء، نحو: الشهر، فتقول: صمت الشهر كله.

ومن أمثلته في القرآن: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ}(آل عمران١١٩)، وقوله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه}(الأنفال٣٩)، وقوله: {كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا}(القمر٤٢)، وقوله: {وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ}(الأحزاب٥١).

وكذلك من الألفاظ المؤكدة: (أجمع)، وفروعها (أجمع، جَمْعاء، أجمعون، جُمَع)، فتأتي أحيانا بعد التوكيد بـ(كل)، نحو: جاء الجيش كله أجمعُ، واشتريت السيارة كلها جمعاء، وجاء القوم كلهم أجمعون، وزرت بناتي كلهن جمع. وكقوله تعالى: {فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}(ص٧٣). وتأتي كثيرا بدون (كل)، نحو: جاء الجيش أجمع، وكقوله: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}(ص٨٢)، وقوله: {وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ}(يوسف٩٣).

**

قد تكون كلمة (كل) للتوكيد من غير أن تفيد الشمول والعموم الحقيقي، كقوله تعالى {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى}(طه٥٦)، فالله لم يطلعه على جميع آياته. وذلك أن (كل) قد يراد منها الكل المجموعي كالآية، وقد يراد منها الكل الجميعي الذي يشمل الأفراد فرداً فرداً. ففي هذه الآية، يبين الله أنه أرى كل الآيات التي تدفعه إلى الإيمان والتصديق، سواء آيات الإقناع، أم آيات التخويف.

**

٢- الأسلوب الثاني: التوكيد بلفظ العدد

ومن إفادة التعميم: التوكيد بلفظ العدد، نحو: مررت بالإخوان ثلاثتِهم، وزرت أرحامي ثمانيتِهن. فتتبعه لما قبله توكيداً معنويا بمعنى (جميعهم)، ونحو: جاء القوم خمسةَ عشرَهم، بالبناء على فتح الجزأين في محل رفع توكيد (تابع للفاعل).

**

٣- الأسلوب الثالث: التوكيد بتقييد الفعل بمتعلق يقتضيه

نحو: رأيته بعيني، فقولك رأيته، يقتضي كون الرؤية بالعين، ولكن قلت: بعيني؛ توكيدا للكلام ودفعا لأي توهم، ومنه قول الصحابي في الحديث: (سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله).

ومنه قوله تعالى: {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ}(آل عمران١٦٧).

قوله: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ}(النور١٥)، وقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم

بِأَفْوَاهِهِمْ}(التوبة٣٠)، فجاء تقييد القول بالأفواه، مع أن القول لا يكون إلا بالأفواه، وذلك لبيان أن هذا القول إنما خرج من الأفواه، ولم يثبت عن يقين أو عن علم قاطع، وهذا ما أكده قوله: (ما ليس لكم به علم)(ما ليس في قلوبكم).

ومن الأمثلة قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم}(الأنعام٣٨)؛ لأنه لا طائر إلا يطير بجناحيه، وكقوله تعالى {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ}(الأحزاب٤)، فالقلب ليس إلا في الجوف، كما إن القول ليس إلا بالأفواه.

ثالثاً: التكرار الصرفي

التوكيد الصرفي، يكون بتكرار الصيغة الصرفية بصيغة مطابقة للمؤكد من حيث عددها، وجنسها، ولكنها تختلف عنها من حيث نوع الكلمة، كتوكيد الاسم الظاهر بضمير، أو توكيد الفعل بمصدر... إلخ. ومن أساليب التوكيد الصرفي في اللغة العربية:

١- الأسلوب الأول: التوكيد بالمصدر

توكيد الفعل (أو شبيهه) بمصدره. فهو تكرار للفظ، ولكنه تكرار بصيغة صرفية مختلفة، نحو: كلمتك تكليما (كما لو قلت: كلمتك كلمتك).

والتوكيد بالمصدر يفيد تقوية المؤكَّد وإبرازه، وإزالة الشك منه. وبيان أن معناه حقيقي لا مجازي، ولهذا كان مثل قوله: {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}(النساء١٦٤)، دالا على كلام الله لنجيه موسى حقيقة لا مجازا.

ثم إن البلاغة تقتضي المجيء بالمصدر في التوكيد فيما فيه شك أو غرابة، أو ما يحتاج إلى توكيد، نحو: طارت السمكة طيرانا، أما نحو: قعدت قعودا، فأي داعٍ بلاغي لتوكيد القعود، فهذا وإن صح نحويا، لكنه ركيك بلاغيا.

ويعرب المصدر المؤكِّد: مفعولا مطلقا، ويكون منصوباً.

**

وقد يفيد توكيد المصدر الدلالة على الواحدة، نحو: ضربته ضربة. (ضربة) مصدر مؤكد دال على المرة الواحدة، فإذا وصفت المصدر فإنه توكيد ثان للمصدر، نحو: ضربته ضربةً واحدةً[1]. ومنه قوله تعالى: { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً } (سورة الحاقة ١٣ – ١٤).

[1] وهذا الحكم خاص بالدلالة على المرة الواحدة من العدد؛ إذ لا يفيد المصدر معنى جديدا، فلو قلت: ضربت زيداً، لفهم منه أنك ضربته مرة واحدة. أما لو دل على أكثر من واحد، فإن هذا يؤسس معنى جديدا، ولا يكون مصدرا، نحو: ضربته

أنواع المؤكَّد:

والمؤكَّد قد يكون فعلا، كقوله: {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}(النساء١٦٤)، وقد يكون مصدرا، كقوله: {قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً}(الإسراء٦٣)، وقد يكون وصفا، كقوله: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً}(الذاريات١)، وقوله: {فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً}(المرسلات٢).

وقد يكون المؤكَّد مضمون جملة، نحو: له علي ألف اعترافا، ونحو: زيد ابني حقا، ونحو: لا أفعل هذا الأمر ألبتة، أو: لا أفعل هذا الأمر إطلاقا.

**

والمصدر المؤكِّد، قد يكون مصدر الفعل، نحو: كلمته تكليما، أو اسم مصدره، نحو: كلمته كلاما، وكقوله: {وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً}(نوح١٧)، أو بمصدر فعل آخر، كقوله: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً}(المزمل٨)،.

وقد يكون مرادفا لمصدر الفعل، نحو: فرحت جذلاً (فالجذل مرادف للفرح)، وجعل منه قوله: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً}(البقرة٥٥)، أو نوع من أنواع المصدر، نحو: رجعت القهقرى (فالقهقرى: نوع من أنواع الرجوع)، وكقول المتنبي:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ضربتين فـ(ضربتين)، ينبغي أن تعرب مفعولا به؛ لأنها أتت في جواب: كم، بخلاف: ضربته ضربة واحدة، فـ(ضربة) مصدر منصوب مؤكد للفعل، وليس في جواب: كم. وكذلك لو قلت: جلدته جلدات، فجلدات يكون مفعولا به، لا مفعولا مطلقا؛ إذ هي تؤسس لمعنى جديد، وتبين أنك جلدته عددا من الجلدات، فلو حددتها، وقلت: جلدته عشر جلدات (فهنا حددت العدد، وهو في جواب: كم).

٢- الأسلوب الثاني: توكيد الضمير بالإشارة

حيث يؤكد الضمير الذي يكون مبتدأ، باسم إشارة مطابق له، فهنا اختلفت الصيغ الصرفي: ضمير واسم إشارة، نحو: ها أنا ذا بين يديك (وتكتب: ها أنذا)، ولو لم تؤكدها لقلت: أنا بين يديك، فأكدت الضمير المفرد المذكر با(اسم الإشارة)، الدال على المفرد المذكر، ويقترن هذا الأسلوب بـ(ها) التنبيه، التي تسبق الضمير.

وتقول: ها أنتِ ذي مجتهدة، ها أنتم أولاء مجتهدون...

كقوله: {هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ}(آل عمران١١٩)، وقوله تعالى: {هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ}(محمد٣٨).

وقد لا يلحق الضمير لفظ الإشارة، فيكتفى بـ(هاء التنبيه)، نحو: ها أنا حاضر، ومنه قول كثير:

فها أنا للعشاق يا (عز) قائد وبي تضرب الأمثال في الشرق والغرب

وقول المجنون:

وعروة مات موتا مستريحا وها أنا ميت في كل يوم

٣- الأسلوب الثالث: توكيد المعرفة بضميرها

حيث يؤكَّد الاسم الظاهر، بضمير مطابق له. وهو ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالته وتوضح أفراده، ومعناها معناه.

ويختلف هذا الأسلوب عن عامة أساليب التوكيد، فهنا يسبق المؤَكِّدُ المؤَكَّدَ، وبقية أساليب التوكيد يأتي المؤَكِّدُ بعد المؤَكَّد.

ويسمى النحاة هذا الضمير: ضمير الشأن أو القصة أو الحدث. وكلها أسماء لمسمى واحد. ويسمى ضمير الشأن لرمزه للشأن، أي الحال التي يراد الكلام عنها، ويسمى ضمير القصة وضمير الحدث لرمزه إلى الأمر المهم الذي يجيء بعده.

كقوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}(الإخلاص١)، فـ(هو) ضمير يشير إلى الاسم الظاهر الذي بعده: الله. وقوله: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}(الحشر٢٢)، وقوله تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج٤٦)[1].

[1] يقول النحاة: إن الضمير يكون مبتدأ، غالبا، أو في مقام المبتدأ، ولا بد أن تفسره جملة وتكون خبراً له، ومرجع الضمير يكون مضمون الجملة التي بعده. وأرى أن يقال في إعرابه: ضمير الشأن، منبه لما بعده، مؤكد له، لا محل له من الإعراب. وتعرب الجملة التي بعده، كما لو لم يكن هناك مؤكد قبلها.

المبحث الثالث: التوكيد بنقض الإثبات أو النفي

تؤكد العرب المثبت أو المنفي بنقضهما، فتثبت بطريق النفي، وتنفي بطريق الإثبات. وهذا النوع من التوكيد يدخل الجمل الإخبارية.

وتستخدم لذلك إحدى الحروف الناقضة، فهي تنقض ما قبلها، إن كان نفيا تنقضه فتثبته، وإن كان إثباتا تنقضه فتنفيه، ومن هذه النواقض: إلا، غير، سوى، لكن...

أولا: الإثبات بطريق النفي:

ومن أساليب الإثبات عند العرب: الإثبات بطريق النفي، وذلك بنفي الكلام أولاً ثم إثباته بإحدى النواقض، فيفيد الحصر والقصر.

فإذا قلت: ما جاء أحد. فهذا كلام منفي. فإذا قلت بعده (إلا محمد)، فقد نقضت النفي بـ(إلا).

وأشهر نواقض النفي في اللغة العربية: إلا، غير، سوى، لما.

١- الناقض الأول: (إلا)

ويأتي بعد النفي أو شبيه النفي (كالاستفهام المراد به النفي)، نحو: ما جاء إلا محمد، هل جاء إلا محمد؟ فمعنى: ما جاء إلا محمد. أي: جاء محمد وحده ولم يجئ أحد غيره.

كما يأتي بعد النهي، نحو: لا تزر إلا خالدا.

ومن أمثلته بعد الاستفهام المراد به النفي، قوله: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } (سورة الرحمن ٦٠)، وقوله: { وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ } (سورة آل عمران ١٣٥).

وتعامل الجملة في الإعراب، كما لو لم توجد (إلا)، ولا أداة النفي أو الاستفهام السابقة، فنحو: (جاء محمد)، محمد مرفوع؛ لأنه فاعل. وكذلك لو قلت (ما جاء إلا محمدٌ).

و(إلا) قد يليها اسم، أو فعل، أو غير ذلك بحسب السياق.

ومن الأمثلة قوله تعالى: { يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ } (سورة البقرة ٩)، وقوله: { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ } (سورة البينة ٤)، وقوله: { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى } (سورة البقرة ١١١)، وقوله: { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } (سورة الرحمن ٦٠)، وقوله: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا } (سورة الجاثية ٢٥). ومنه قول أبي العلاء:

وما كان حبلُ العيش إلا مُعلَّقاً بعُرْوة أيامِ الصّبا، فتقضّبا

وقول أبي تمام:

لم يَبْقَ في صَدْرِ رَاحِي حَاجَةٍ أَمَلٌ إلا وقَدْ ذَابَ سُقْماً ذَلكَ الأملُ

**

٢- الناقض الثاني: استخدام (غير، سوى)

وما بعدهما يكون اسما مجرورا بالإضافة، وأما (غير) و(سوى)، فيعربان حسب موقعهما الإعرابي، [يعاملان معاملة اللفظ الاسم الذي يقع بعد: إلا، في الأسلوب السابق]، نحو: ما جاء غيرُ محمدٍ، [ما جاء إلا محمدٌ]، فمحمد مرفوعة بعد (إلا)، فتكون (غير) مرفوعة: ما جاء غيرُ محمد.

وفي النهي، نحو: لا تصاحب سوى عليٍ.

ومن مجيئها بعد النفي قوله تعالى: { وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } (سورة هود ١٠١)، وقوله: { فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ} (سورة هود ٦٣)، وقوله: { فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (سورة الذاريات ٣٦).

٣- الناقض الثالث: (لمّا)، بعد (إنْ) النافية

وتستخدم بعد (إنْ) النافية فقط. فالتركيب يكون من (إنْ) ثم المبتدأ، ثم (لَمّا)، ثم الخبر، نحو: إنْ كل كافر لَمّا حطبُ جهنم، فهي بمعنى: ما كل كافر إلا حطب لجهنم، ومنه قوله تعالى: { إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ } (سورة الطارق ٤)، وقوله: { وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (سورة الزخرف ٣٥)، وقوله: { وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ } (سورة يس ٣٢).

وقد تستخدم (إلا) بدلا من (لَمّا)، كما في قوله: { إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ } (سورة ص ١٤)، وقوله: { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا } (سورة مريم ٩٣).

٤- أسلوب: (هكذا وإلا فلا)

ومن أساليب العرب استخدام لفظ (وإلاّ)؛ لإفادة الحصر والقصر في الاستثناء، كأن يتحدث متكلم فيجيد، فتقول: هكذا وإلا فلا داعي للكلام، فكأنك تقول: لا يكون الكلام إلا هكذا، ومن ليست لديه هذه البضاعة فلا يتكلم. ومن الأمثلة في الشعر:

إليكَ وإلاَّ ما تُحَث الرَّكائبُ وعَنكَ وإلاَّ فالمُحدِّث كاذبُ

والمعنى: لا تُحَث الركائب إلاَّ إليك، ولا يَصْدُق المُحَدِّثُ إلاَّ عنك، ومنه قول ابن هانئ الأندلسي:

ولا ترضَ إلاّ بعقرِ الثناءِ ونَحْرِ القَوافي وإلاّ فلا

وقول الشريف الرضي:

فذاك مكاني إن أقمت بمنزل وَإلاّ فَفي أيدي الطِّلابِ زِمَامي

وقول غيره:

فمنْ كانَ مثلي فليقلْ مثلَ قولنا وإلا فإنَّ الصمتَ بالعبدِ أجملُ

ثانيا: النفي بطريق الإثبات

يستخدم لذلك في العربية: كاد وغيرها من أفعال المقاربة، وقد تناولتها في الباب الأول، بالتفصيل، فأكتفي بما أوردته هناك.

ويستخدم لذلك أدوات الاستثناء (في الاستثناء التام الموجب)، نحو: جاء القوم إلا خالدا. فحين قلت (جاء القوم) فقد أثبت مجيء القوم، ويفهم منه العموم، وإن لم يكن نصا في ذلك، فحين تقول (إلا خالدا)، فقد نقضت الإثبات بأداة ناقضة، وهي (إلا)، وهذا النقض يفهم منه أمران:

الأول: أن خالدا لم يأت.

الثاني: أن جميع القوم عدا خالدا قد أتوا، وإلا لا فائدة من تخصيص (خالد) بالذكر.

**

وسأتناول هذه الأدوات في باب الاستثناء.

ثالثاً: البحث البلاغي في الباب

يبحث علماء البلاغة هذا الباب، ويسمونه: التوكيد عن طريق الإيهام.

وهو توكيد الشيء بما يشبه نقيضه، ويسميه بعضهم: تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ لأن الغالب فيه المدح. وهو يأتي على صورتين:

١- الصورة الأولى: صورة النفي:

حيث يستثنى من صفة منفية عن الشيء صفة مضادة، ولذلك أوجه:

الوجه الأول:

كأن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشيء صفة مدح، كقول النابغة مادحا:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فأتى بنفي العيب، حيث قال: لا يوجد فيهم عيب – (غير).. فأوهم أنه سيذكر صفة عيب؛ لأنه عادة يخالف ما بعد الاستثناء ما قبله في الحكم، فلما أتى بصفة مدح، فقد أكد المدح، وكأنه يمدح من حيث أراد أن يذم، حتى كأنه ذهب يبحث عن قدح فيه وعيب فلم يجد إلا ما يمدح به. فكأنه يقول: إن أمكنكم أن تعيبوا فيهم شيئا فهذا العيب.

ومن جهة أخرى، فيه تقديم البرهان للدعوى، فهو يدعي أنه لا عيب فيهم ويقدم دليلا، حيث يقول: إن عيبهم هو الشجاعة، ومن المحال أن تعد الشجاعة عيبا، إذن فلا عيب فيهم.

ومن الشواهد على ذلك أيضا:

– لا عيب فيهم سوى أن النزيل يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

– لا عيب فيهم غير شح نسائهم ومن المكارم أن يكن شحاحا

– ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه

ومنه في الفخر لحاتم:

وما تتشكي جارتي غير أنني إذا غاب عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خبري ويرجع أهلها إليها ولم تقصر علي ستورها

ولآخر:

تعد ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنب لي إلا العلا والفضائل

وكقوله تعالى: {وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا}[الأعراف١٢٦]، وقوله: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[البروج٨]. وقال تعالى ({لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً . إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً}[الواقعة٢٥-٢٦]. ونحو:

ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

الوجه الثاني:

أو يستثنى من صفة مدح منفية عن الشيء صفة ذم،

كأن تقول لحقود: ما فيك من المعالي إلا الحقد. (تتهكم به)، ونحو: فلان لا خير فيه إلا أنه ليسيء إلى من أحسن إليه، وكقول الشاعر:

- ولا خير في قومي سوى أن حدهم كليل على الأعدا، وفي الجار يقطع
- ولا خير في قومي سوى أن رأسهم لكل كلاب الأرض يحنى ويخضع

الوجه الثالث:

وقد جاء في غير المدح والذم، كقوله تعالى: {وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ}[النساء٢٢]، أي: إن أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوهن، غير أنه لا يمكنهم ذلك.

– وقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}[الأعراف٤٠]، فقد علق دخولهم الجنة على أمر مستحيل، وتأمل هذه البلاغة، فقد فتح لهم نافذة أمل ثم دفعها بقوة في أوجههم، ليعودوا بأيد فارغة، ويعضوا على أسنانهم حسرة وندامة.

**

وصورة النفي تكون بأي أسلوب من أساليب الاستثناء، فتستخدم فيها (إلا)، أو (غير)، كما في الأمثلة السابقة. وقد تستخدم (حتى) الغائية، كما في قول جبار بن سلمى في عامر بن الطفيل: (كان لا يضل حتى يضل النجم، ولا يعطش حتى يعطش الجمل، ولا يبخل حتى يبخل البحر، ولا يجبن حتى يجبن الأسد).

**

٢– الصورة الثانية: صورة الإثبات:

حيث يثبت صفة للشيء، ثم يستثني صفة مشابهة، ومن الأمثلة على ذلك:

– في المدح، قول الشاعر:

فتى كملت أخلاقه غيرَ أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

– وفي الفخر، قوله عليه السلام: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش".

– وفي الذم، قول الشاعر:

يا رسولا أعداؤه أرذل الناس جميعا لكنهم في الجحيم

– وفي غير ذلك، كقوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ}[الحج٤٠]، فقد أثبت أنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق، ثم أكد هذا المعنى بأن تهمتهم أنهم آمنوا بالله.

٣- بلاغة التوكيد عن طريق الإيهام:

تلاحظ كيف يصل إليك المعنى، حيث تقوم بعملية مد وجزر سريعة في ذهنك، وتجمع بين المتناقضين لترى أن ليس ثم تناقض، وكأنها هزة كهربية لا تلبث أن تبصر الحقيقة قد تجلت.

- ووجه التوكيد في الباب أنك إذا اعتبرت الاستثناء متصلا فإنه من باب التعليق بالمحال، وفي هذا دعوى الشيء بالبينة والبرهان – كما سبق أن شرحناه عند البيت، وهذا الوجه يكون في النوع الأول (صور النفي).

- وإن اعتبرت الاستثناء منقطعا، فإن ذكر أداة الاستثناء توهم مخالفة ما بعدها لما قبلها، فإذا أتى مجانسا له، كان توكيدا على توكيد؛ لأنه صفة جاءتك في اللحظة التي كنت تريد نقيضها. وهذا الوجه يكون في النوعين (صور النفي والإثبات).

المبحث الرابع: دواعي التوكيد

هذا بحث بلاغي، وهو خلاصة لما يذكر في هذا الباب.

قد يساق الكلام غفلا عن التوكيد، وقد يأتي مؤكَّدا، وذلك باختلاف دواعي التوكيد، ويقول البلاغيون إن الدواعي ترجع إما إلى المخاطب، وإما إلى المتكلم، وإما إلى الخبر.

١- الداعي الأول: النظر إلى حال المخاطب:

أ / التوكيد للمتردد أو المنكر:

المخاطب الذي تسوق له الكلام قد يكون خالي الذهن من الخبر الذي جئت به، وهنا تسوق له الخبر مجردا من التوكيد، [ويسميه البلاغيون: ضرب الخبر الابتدائي]. وقد يكون شاكا أو مترددا، فتؤكد له الكلام بمؤكد واحد، [ويسميه البلاغيون: ضرب الخبر الطلبي]. وقد يكون منكرا للخبر، فتؤكد له بأكثر من مؤكد [ويسميه البلاغيون: الضرب الإنكاري].

فمثلا: تقول: (عبد الله قائم) تخبر عن قيامه. وتقول: (إن عبد الله قائم) لمن تردد أقائم هو أم لا، وكذا لو سأل: أقام عبد الله؟ فإن السائل متردد بين أمرين، وهما القيام وعدم القيام. وتقول (إن عبد الله لقائم) لمن أنكر ذلك.

ومن الأمثلة: قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ {١٣} إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ{١٤} قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ{١٥} قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ}[يس١٣-١٦].

وقوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[الحجر٩]، يدفع إنكار المنكرين ويبدد ارتياب الشاكين.

وتأمل في سورة النجم: قال تعالى {وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى {٤٢} وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى{٤٣} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا{٤٤} وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى{٤٥} مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى{٤٦} وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى{٤٧} وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى{٤٨} وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى{٤٩} وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى}[النجم٤٢-٥٠].

ب/ لكن قد يخرج الخبر عن مقتضى ظاهره، على عدة صور:

١- التوكيد للمتردد:

وذلك بتنزيل خالي الذهن منزلة المتردد السائل حين يكون في سياق الكلام ما يشير إليه ويقع غالبا في الجمل التي تتضمن نصحا أو نهيا أو أمرا أو حدث غريبا.

كقوله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ . وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ}[هود٣٦-٣٧]. فنوح ليس مترددا في مضمون ما أفادته (إنهم مغرقون)، ولكن لما نهاه الله أن لا يبتئس، وأمره بصنع الفلك، فقد أثار في نفس نوح تساؤلا عما سيحل بالقوم، فكأنه قال: ماذا سيحل بالقوم، فأجاب: إنهم مغرقون. وكأنه قال (لا تخاطبني فيهم فإنهم مغرقون).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا}[التوبة٤٠]، وقوله: {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ}[التوبة٨٤]، وقوله: {وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً}[الإسراء٣٢]، وقوله: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ}[يوسف٥٣]، فهذا أمر غريب، فقوله (ما أبرىء نفسي) نشأ عن سؤال: لماذا لا تبرىء نفسك وأنت التقي النقي. ومن ذلك قول الشاعر:

فغنها وهي لك الفداء إن غناء الإبل الحداء

فلما قال (غنها) تساءل: ما غناؤها ؟ الحداء أم غيره ؟ فأجاب: إن غناء....، وكقوله:

بكرا صاحبيَّ قبل الهجير إن ذاك النجاح في التبكير

٢- عدم التوكيد للمنكر

وذلك بتنزيل المنكر منزلة غير المنكر؛ لعدم الاعتداد بإنكاره. فقوله تعالى . مثلا: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}[البقرة١٦٣]، فهذا خطاب موجه للناس جميعا، وفيهم المشرك، فكان مقتضى الخطاب توكيده، لكنه جاء بلا توكيد؛ لعدم الاعتداد بإنكار المشركين؛ فآيات الله ملء السماء والأرض.

وقال تعالى {كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِيَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ}[الرعد٣٠]، وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}[التوبة٣٣]. و

كقول الفرزدق متحدثا عن زين العابدين عندما تجاهله هشام بن عبد الملك:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

٣- التوكيد لغير المنكر:

وذلك بتنزيل غير المنكر منزلة المنكر، إذا بدا عليه شيء من علامات الإنكار، كقوله تعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ}[النمل٨٠]، يخاطب رسوله، فهو لحرصه على هدايتهم مجهدا نفسه في إبلاغهم نزل منزلة من يظن أنه يستطيع إسماع الصم وهداية العمي. وكقوله: {وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}[الأعراف١٥٣]، وقوله: {ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

الْخَالِقِينَ {١٤} ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ{١٥} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ}[المؤمنون١٤-١٦].

وكذلك قول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

فالمخاطب لا ينكر أن السفينة لا تجري على اليبس، ولكن لما كان يرجو النجاة ولم يسلك سبلها كان بمثابة من يدعي أن السفينة تجري على اليبس.

***

٢- الداعي الثاني: النظر إلى حال المتكلم

قد يعول المتكلم على حال نفسه، حيث ينظر مدى انفعاله بما يذكر، ويغلب عند الحديث على الذات، كقول الفرزدق:

خالي الذي غصَب الملوكَ نفوسهم وإليه كان حِباء جفنة ينقل

إنا لنضرب رأس كل كتيبة وأبوك خلف أتانه يتقمل

وقول الآخر:

إنا لمن معشر أفنى أوائلَهم قيل الكماة: ألا أين المحامونا

وقوله:

وإني وإن متعت بابنيَ بعده لذاكره ما حنت النيب في نجد

ويكثر هذا في الفخر وفي الحديث الوجداني، كالأمثلة السابقة، كما يكثر في الدعاء، ومن ذلك قوله تعالى على لسان خليله إبراهيم عليه السلام: {رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ}[إبراهيم٣٧]، وقوله: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ}[آل عمران٩].

كما يكثر في الدلالة على امتلاء النفس بالمعنى الذي يتحدث عنه المتكلم، تأمل قوله تعالى: {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ}[المنافقون١]، يريد المنافقون أن يوهموا أنهم امتلأت نفوسهم بالرسالة. وتأمل قوله تعالى: {وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}[البقرة١٤]، فإلقاء الخبر للمؤمنين جاء بلا توكيد (آمنا)، أما إلقاؤه إلى شياطينهم فقد جاء مؤكدا (إنا معكم)، فهو يدل على امتلاء نفوسهم بهذا القول.

***

٣- الداعي الثالث: مراعاة الخبر نفسه

ولذلك صور، منها:

(١) الرغبة في تحقيق الوعد والوعيد

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}[الحج٣٨]، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}[الأنبياء١٠١]، وقوله: {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}[الزمر٨]، وقوله: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}[الأنبياء٩٨].

***

(٢) رغبة المتكلم في تقوية مضمون الكلام وتقريره في نفس المخاطب

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ}[النمل٧٩]، وقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلاً}[الإنسان٢٣]، وقوله: {إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي}[طه١٤]، وقوله: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الشعراء١٩١-١٩٢].

***

(٣) غرابة الخبر

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[القصص٣٠].

***

(٤) للإشارة إلى مجيء الخبر على غير ما كان يرجو المتكلم، وكأن نفس المتكلم تنكره فيؤكد لها،

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى على لسان أم مريم: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران٣٦]، وقوله على لسان نبيه نوح عليه السلام: {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ}[الشعراء١١٧].

إلى غير ذلك.

الفصل السابع: معاني البيان

البيان هو إيضاح الكلام، وله اتجاهان، إما إيضاح الكلام بما يوافقه، وإما إيضاحه بما يخالفه. ولذلك سأتناوله في مبحثين: موافقة الكلام (وأسميه البيان الوفاقي)، ومخالفة الكلام (وأسميه البيان الخلافي).

المبحث الأول: المبهم في اللغة

أقسام الاسم من حيث الإفراد والتركيب:

ينقسم الاسم من حيث عدد كلماته ودلالتها على معنى واحد إلى قسمين: الاسم المفرد، والاسم المركب.

فالاسم المفرد: أن تدل على معنى الاسم كلمةٌ واحدةٌ. نحو: زيد، شجاعة، كتاب، استغفار.... إلخ.

والاسم المركب: أن يدل على معنى الاسم أكثر من كلمة، نحو: (أحد عشر)، فالكلمتان معاً تدلان على المعنى.

والاسم المركب من حيث الدلالة والوظيفة مثل الاسم المفرد. فمثلاً، تقول: (جاء زيدٌ)، وتقول: (جاء أحدَ عشرَ) فـ(زيد)، و(أحد عشر) كل لفظ منهما جاء فاعلا، وكل منهما يدل على معنى واحد.

وعلامة الاسم المركب أنه يحل محل الاسم المفرد.

الاسم الواضح والاسم المبهم:

ينقسم الاسم من حيث وضوح دلالته قسمين: واضح الدلالة ومبهم الدلالة.

واضح الدلالة، ما يدل اللفظ على دلالته دلالة واضحة، كالأعلام: زيد، فاطمة، تركيا، الرياض، رمضان... والمعرفة بـ(ال)، نحو: الرجل، السيارة. ويلحق بواضح الدلالة: الضمير: (أنا، أنت، هو...)، فهي ألفاظ دلالتها واضحة، وقد وضعت ابتداء للدلالة على معين.

مبهم الدلالة: ما لا يدل لفظه على معنى واضح، بل يكون معناه مبهما، وهذه الألفاظ المبهمة تحتاج إلى ما يزيل إبهامها.

ومن هذه الألفاظ المبهمة:

الاسم الموصول، نحو: الذي. فلو قيل: جاء الذي. فهذه جملة ناقصة؛ لأن دلالة (الذي) مبهمة، ولا بد من صلة تزيل إبهامها، فتقول: جاء الذي أحبه.

اسم الإشارة، نحو: هذا، ويزول إبهام الإشارة بتعيين المشار إليه، نحو: هذا الكتاب.

لفظ (أيها، أيتها) في النداء، فلو قيل: (يا أيها) لما وضحت الدلالة، ولا بد من إزالة إبهامها، نحو: يا أيها الرجل.

الألفاظ النكرة، فهي ألفاظ مبهمة تدل على شائع، نحو: رجل، ويحتاج النكرة في إزالة إبهامها إلى تعريفها بـ(ال)، أو بالإضافة، أو بالوصف.

ومنه الأسماء التي لا تدل على معين، نحو: الجهات والأوقات والموازين والمكاييل والمقاييس والأعداد ونحوها، وتحتاج عند إرادة تعيين مقصودها إلى وصف أو إضافة أو تمييز أو غير ذلك.

طرق إزالة الإبهام:

تتبع العربية طرقا عديدة لإزالة إبهام الألفاظ، ومنها:

التعريف، نحو: رجل – الرجل.

التركيب: إما التركيب الإضافي، أو الوصفي، أو العددي. أما التركيب المزجي فلا يزيل إبهاما، وإنما هو علم مركب من كلمتين.

التمييز.

الصلة، وذلك في صلة الموصول، نحو: جاء الذي أحبه.

الإشارة إلى المبهم، كما في أسماء الإشارة.

أشهر أنواع الاسم المركب:

(١) المركب الإضافي: أن تضاف الكلمة الأولى إلى الكلمة الثانية، ويكون المضاف إليه مجرورا، نحو: عبد اللهِ، امرؤ القيسِ. وفي غير الأعلام: كتاب زيدٍ، قلم محمدٍ، سيارة فهدٍ. ومنه أسماء لازمة الإضافة، كبعض الظروف: فوق، تحت، فتقول: فوق الطاولة، تحت السيارة...

(٢) المركب الوصفي: أن تصف الكلمة الثانية الكلمةَ الأولى، نحو: جاء (الطالبُ المجتهدُ)، فالفاعل هو: الطالب الذي وُصف أنه مجتهد. ومنه قوله تعالى: {قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } (سورة الأَعراف ١٣٨)، فالخبر وصفته (قوم تجهلون) بمثابة كلمة واحدة، وهو مركب وصفي، وموسى لا يخبرهم أنهم قوم، بل قوم يجهلون. ونحو: يا أيها الرجل. فلفظ (أيها الرجل) مركب وصفي.

(٣) المركب المزجي: كلمتان مزجتا فأصبحتا كلمة واحدة نطقا وكتابة، نحو: بعلبك، حضرموت، بورسعيد (الأصل: بعل بك، حضر موت، بور سعيد).

(٤) المركب العددي: كلمتان تدلان على عدد مركب، نحو: أحد عشر، اثنا عشر، ثلاثة عشر... إلخ.

وفيما يلي أتناول بعض طرق تمييز الاسم المبهم.

المبحث الثاني: موافقة الكلام

البيان الوفاقي، هو إيضاح الكلام إما بإزالة إبهامه، وإما بمزيد من الإيضاح. وللبيان الوفاقي في اللغة العربية مجموعة من الأساليب، منها: الوصف، والبدل، وبيان الهيئة بالحال أو المصدر، وبيان الإبهام (التمييز).

أولاً: الوصف

ويسمى: النعت، وهو لفظ يؤتى به لوصف اسم سابق، فيزيده توضيحا (إذا كان الموصوف معرفة)، أو يقلل من إبهامه (إذا كان الموصوف نكرة)، أو يؤتى به للمدح أو الذم، أو الترحم والإشفاق...إلخ.

ومن أمثلته: جاء محمد الكريمُ. ألقيت كلمة مؤثرةً. قابلت أناسا كراماً...

والنعت يتبع موصوفه في الحكم الإعرابي، وفي نوعه (مذكر أو مؤنث)، وفي عدده (مفرد أو مثنى أو جمعا)، وفي تعريفه أو تنكيره.

وقد تكون الصفة مفردا، نحو: جاءني رجل كريم، وقد تكون مركبا (إضافيا) نحو: جاء رجل فوق سيارة، أو جارا ومجرورا، نحو :جاء رجل في سيارة، وقد تكون جملة (وينعت بها النكرة لا المعرفة)، ومن الأمثلة:

ونحن أناسٌ نحبّ الحديث ونَكرهُ ما يوجب المأثَما

وقول المتنبي:

وكلّ امرئٍ يُولِ الجميل مُحَبَّب وكل مكان ينبت العز طيّب

ونحو: جاء الرجل الذي أحبه، فـ(الذي أحيه) صفة للرجل.

ومن الأمثلة على النعت: قابلت خطيباً فصيحاً لسانُه، وعذباً بيانُه، ويصح أن تقول: فصيحَ اللسان، وعذب البيان.

ثانياً: توضيح المقصود بالبدل

البدل لفظ يؤتى به ليوضح المقصود من اسم قبله. نحو: الخليفة عمرُ كان مثالا للعدل. فـ(الخليفة) اسم فيه شيء من الإبهام، ولفظ (عمر) أزال هذا الإبهام وأوضح المقصود من لفظ (الخليفة)، ورفع الاحتمال الوارد. والبدل يتبع المبدل منه في حكمه الإعرابي.

والصفة المفرد كما رأيت، الأصل أن تكون لفظا مشتقا (اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو صفة مشبهة... إلخ)، أما البدل فلا يكون مشتقاً؛ لأنه يوضح اسما معرفة، فهو لا يصف، وإنما يجعله بدلا منه. ولذلك فالأصل أن يكون جامدا.

والبدل قد يؤتى به لبيان المبدل منه بيانا مطابقا له، نحو: الخليفة عمر مثال العدل، فعمر هو الخليفة، والخليفة هو عمر، ويمكن أن يحل أحد اللفظين محل الآخر، وكقوله: { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } (سورة الفاتحة ٦ – ٧).

وقد يكون البدل جزءا من المبدل منه، نحو: أكلت التفاحةَ ثلثَها، واعتنيت بالطفلِ أسنانِه. وقد يكون البدل شيئا متعلقا بالمبدل، نحو: أعجبتني الوردةُ لونُها (فالوردة لها متعلقات كثيرة، كاللون والرائحة والجمال... إلخ، والبدل يحدد المقصود بالمتعلق)، ونحو: بهرني عمرُ عدلُه.

والبدل يكون في الإثبات، كما تقدم، أو في الاستفهام، نحو: ما تقرأ؟ أجيدا أم رديئاً؟ ونحو: كم الكتبُ؟ أمائةٌ أم مئتان؟ ونحو: من جاء؟ محمدٌ أم عليٌ؟

وقد يكون البدل فعلا عن فعل، كقوله: { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (سورة الفرقان ٦٨ – ٦٩)، فالفعل: "يضاعف" بدل من الفعل: "يلق" لأن مضاعفة العذاب هي البيان الذي يزيد معنى الفعل: "يلق" وضوحا. وكقوله: { وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ } (سورة الشعراء ١٣٢ – ١٣٣).

ثالثاً: بيان الهيئة بالحال

دلالة الحال ومعناها:

الحال: اسم منصوب، يأتي لبيان الهيئة، في جواب: كيف حدث؟ نحو: أقبل محمد ضاحكاً، فـ(ضاحكا) إجابة عن سؤال: كيف أقبل محمد؟ ومحمد هو صاحب الحال الذي بينا هيئته، ونحو: شاهدت الحلقة كاملة (فكاملة: حال من الحلقة، والحلقة: صاحب الحال)، ونحو: سلمت على هندٍ مبتسمةً (فمبتسمة حال من هند، فهند صاحب الحال)، ونحو: هبط الطيارون هادئين، ونحو: جاء محمد وزيد وعلي راكبين سيارة. (راكبين: حال منصوب). فالحال يوافق صاحبه في التذكير والتأنيث وفي العدد، وهو دائما، منصوب نكرة[1].

والحال إما تكون مشتقا (اسم فاعل أو اسم مفعول..)، وهو الغالب فيها، فالأصل في الحال أن تكون وصفا، كالأمثلة السابقة؛ لأنها تصف الهيئة، وإما تكون مصدراً دالاً على الوصف، وقد تكون اسم ذات مؤولة بالوصف.

فتأتي الحال مصدرا، إذا تضمن معنى الوصفية، نحو: اذهب جرياً لإحضار البريد، تكلم الخطيب ارتجالاً، وحضر الوالد بغتة (أي: مفاجئا)، اعلم يقينا أن الكذب شر (أي: متيقنا). ومنه أيضاً: كلمت زيدا مواجهةً (أي: مواجها له)، ونحو: أتى زيد بعد علي مباشرة (أي: مباشرا له)[2].

وقد تأتي لفظا جامدا (اسم ذات) إذا كان مؤولا بالوصف، نحو: جرى محمد قطاراً، فـ(قطارا) حال، وهو اسم ذات، ولكنه اشتهر بالسرعة، فكأنك تقول: جرى محمد مسرعا كالقطار. فكأنك اشتققت من اللفظ وصفا دالا عليه؛ وذلك لاشتهاره به. ونحو: قاتل الرجلُ أسداً، أي: شجاعا كالأسد. ومن الحال المؤولة بالوصف أيضاً: كلمته عيني في عينه (فـ: عيني في عينه، حال،

---

[1] وحتى الحال التي تأتي معرفة، فإنها مؤولة بالنكرة، نحو: جاء محمد وحده (أي: منفردا)، ونحو: ادخلوا الأول فالأولَ، (أي: مترتبين)... فهذه الألفاظ نكرة معنى، وإن كانت معرفة لفظا.

[2] ومن أمثلة مجيء الحال مصدراً: قوله تعالى: { ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا } (سورة البقرة ٢٦٠)، وقوله: { ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا } (سورة نوح ٨)، وقوله: { وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا } (سورة الأعراف ٥٦)، فالكلمات: سعيًا، سرًا، جهارًا، خوفًا، أحوال، وهي مصادر دالة على الوصف.

وهو مؤول بالوصف، والتقدير: كلمته مواجها له)، ونحو: سلمته يدا بيد (أي: مناولة، أو: مناولا له)، ونحو: ادخلوا الغرفة واحدا فواحدا (أي: مترتبين)، ونحو: جاء علي وحده (أي: منفردا)....

**

وقد تأتي الحال لبيان تفضيل هيئة على هيئة، إما في الشيء نفسه، أو فيه وفي غيره، نحو: محمد متعلماً خير منه معلماً (فالمعنى: محمد في حال تعلمه أفضل من حاله عندما صار معلما)، ونحو: الشتاء برداً أطيب منه دفئاً، ونحو: الحقل مزروعاً تفاحاً أنفع منه مزروعاً موزاً... وفي غيره نحو: المصباح الكهربائي منفرداً أقوى من ألف شمعة مجتمعةً. (منفردا، ومجتمعة: حال).

**

والحال تبين هيئة الشيء، سواء: كيف كان، أو كيف سيكون، نحو: جاء محمد ضاحكا (فهي تبين كيف جاء محمد)، وتقول: غدا سيلقي محمد كلمة مرتجلاً (فهي تبين كيف سيكون).

**

نفي الحال:

الحال تبين الهيئة، سواء في الإثبات أو النفي، فتقول: جاء محمد راكبا (فهذا في الإثبات)، وتقول: ما جاء محمد ماشيا (فأنت نفيت عنه هيئة المشي). فهنا تنفي الهيئة، ولا تنفي الحدث، فالمعنى أن محمدا جاء، ولكنه لم يجئ راكباً، بل جاء ماشياً مثلا. ولذلك يأتي الإثبات بعد النفي، فتقول: ما جاء محمد راكباً بل ماشياً، وكقوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } (سورة الدخان ٣٨ – ٣٩). فهذه الحال لا يتم المعنى إلا بها؛ لأن النفي منصب عليها[1].

---

[1] ولذلك لا يتم معنى الجملة إلا بها، وقد يكون في الإثبات أيضاً إذا كان متضمنا معنى النفي، كقوله تعالى: { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى } (سورة النساء ١٤٢)، (كسالى) حال، أتى في جواب: كيف قاموا؟ فالمعنى هنا منفي، والتقدير: ما قاموا إلى الصلاة إلا كسالى.

ونحو: يقفز الطيار؛ لا خائفاً ولا متردداً، ونحو: امش؛ لا مسرعا ولا بطيئا.

وفي النهي، نحو: لا تأكل إلا قاعداً. أو: لا تأكل قائماً. فالنهي منصب على الهيئة، وليس على الحدث.

**

الحال مفرد أو مؤول بالمفرد:

وقد تكون الحال لفظا مفردا، كما سبق، وقد تكون جملة أو شبهها (وتؤول بالمفرد)، نحو: أقبل محمد يضحك، أو: أقبل محمد فوق سيارة، أو: أقبل محمد يركب سيارة. فـ(يضحك، يركب، فوق سيارة)، كلها تبين هيئة إقبال محمد.

وفي حال مجيئها جملة، قد تأتي بواو رابطة، تسمى واو الحال، نحو: استيقظت وما طلعت الشمس (أي: استيقظت مبكرا)، وقوله: { يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ } (سورة الصف ٥)، (وتأويلها: لم تؤذونني عالمين أني رسول الله إليكم)، فجملة (وقد تعلمون) حال، والواو رابطة، وهي مؤولة بالمفرد الوصف: عالمين. أي: لم تؤذونني في حال علمكم أني رسول الله إليكم.

وعند إضافة الحال، نحو: وقف المصلي خاشعَ القلب، فيجوز أن تأتي بها مضافة إلى فاعلها معنى، ويجوز أن تأتي بها سببية، فتقول: وقف المصلي خاشعاً قلبُه. ونحو: رأي الطفل دامعَ العين، أو: دامعةً عينُه، استأجرت بيتا واسعَ الغرفِ، أو: واسعةً غرفُه[1].

---

[1] يقسم النحاة الحال إلى مؤسسة ومؤكدة، فالمؤسسة هي التي تفيد معنى جديدا، والمؤكدة تؤكد المعنى ولا تؤسسه، ويمثلون على المؤكدة بنحو: محمد أبوك رحيماً (فيقولون أن الرحمة من مقتضيات الأبوة، فالحال مؤكدة)، وكقوله تعالى: { وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا } (سورة النساء ٧٩)، فرسولا حال، وهو مفهوم من لفظ (أرسلناك). وأرى ألا داعي لهذا التقسيم، فالحال تبين الهيئة دائماً، ولا تكون مؤكدة، فالمثال الأول (محمد أبوك رحيما)، الرحمة لا تقتضيها الأبوة فقط، فالأخوة أيضا تقتضي الرحمة، ثم إن الأبوة لا تقتضي الرحمة وحدها، بل تقتضي الحب والحنان والنصح... إلخ، فمجيء (رحيما) أسس لمعنى جديد ولم يؤكد معنى سابقاً. وكذلك في الآية: وأرسلناك للناس... فيمكن أن يقول: أرسلناك نبيا، رسولا، هاديا، مبشرا، معلما، كما قال: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } (سورة الإسراء ١٠٥)... فهناك بدائل عديدة مختلفة المعنى.

**

الاستفهام عن الحال بالهمزة:

قد يستفهم عن الحال بالهمزة، وهنا تلي الهمزة مباشرة، نحو: أمبتسما أقبل محمد؟ فهنا تستفهم عن حال إقباله. ونحو: أنائمًا وقد أشرقت الشمس؟ أعاطلًا والعمل يطلبك؟ أسفيهًا وهو كريم النشأة؟ فالاستفهام هنا يراد به التوبيخ والتقريع...

ولا يبعد عندي أن يكون لفظ (رسولا) مفعولا ثانيا، فأرسل يتعدى لمفعولين، تقول: أرسل الأمير الجنود محاربين. فـ(محاربين) جواب لسؤال: ماذا؟ أي: ماذا أرسلهم: فالجواب: محاربين، وأرسل الله محمدا رسولا، فهو في جواب: ماذا أرسله؟ وليس: كيف.

رابعاً: بيان الهيئة بالمصدر

تحدثت سابقا عن بيان الهيئة بالحال، حيث تأتي بالحال فتصف هيئة الفاعل أو المفعول.

ومن بيان الهيئة، ما يسميه النحاة: المفعول المطلق المبين للنوع، وهو في الحقيقة مصدر (يحمل معنى الوصفية) يؤتى به لبيان هيئة الحدث. فهو مثل الحال، نحو: مشى محمد مشيةَ القطار. فالنحاة يقولون: مشيةَ: مفعول مطلق وهي مصدر تبين النوع، أي نوع المشي. وفي الحقيقة أنها وصف يبين هيئة المشي، فمعنى الجملة: مشى محمد مسرعا كالقطار. فالمصدر هنا لبيان الحال. ونحو: مشى محمد مشية الأسد (أي: مختلا كالأسد). ونحو: اصفح صفحا جميلا (أي: اصفح محسناً)... إلخ.

ومن الأمثلة أيضاً: رسم الخبير رسما بديعا (= رسم الخبير مبدعا).

ونحو: تعاملت معه تعاملين: الشدة والرفقَ، فتقدير الحال: تعاملت معه شديدا حينا، ورفيقاً أخرى.

ونحو: أنت تعرف لوالديك فضلهما يقينا (أي: تعرف ذلك متيقنا).

ونحو: المطر سحا سحا (أي: المطر ينزل متواصلا).

**

ومن الأمثلة قوله: {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً}(الأحزاب١١)، وقوله: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ}(الفتح٦)، وقوله: {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ}(التكاثر٧)، وقوله: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} (الأحزاب١٠). [وفي هذه الآية دليل على جواز جمع وتثنية المصدر المبين للنوع، والمراد بالمبين للنوع عند تعدده اختلاف الأنواع في كل حالة، لا بيان عدد المرات، فدلالة المصدر على العدد هي من اختصاص المبين للعدد].

ويفيد المصدر بيان النوع، حين:

- يوصف المصدر، كقوله: {قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُوراً}(الإسراء٦٣)،
- أو يضاف، نحو: سرت سير العظماء،
- أو يقترن بـ(ال) العهدية أو الجنسية الدالة على الكمال، نحو: دافعت عن علي الدفاعَ [(أي: الدفاع الكامل) فـ(ال) جاءت بدلا من الوصف].
- ومنه الإشارة إلى المصدر، ثم ذكر المصدر منصوبا مقترنا بـ(ال)، نحو: أكرمت عليا ذلك الإكرام، وغضبت من زيد ذلك الغضبَ. والتقدير: الإكرام المعروف عني، والغضب المعهود مني.
- ويلحق به– في نظري – نحو: مررت بزيد فإذا له صوتٌ صوتَ حمار، واستمعت إلى هند فإذا لها بكاءٌ بكاءَ الثكلى.
- أو يضاف إلى المصدر ما يبين معناه، نحو: (كل، بعض)، نحو: قرأت بعضَ القراءة، فهنا بينت نوع القراءة التي قرأتها، بأنها لم تكن كاملة، بخلاف نحو: قرأت كل القراءة، ومنه قوله تعالى: {فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ}(النساء١٢٩)، وقوله: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً}(الإسراء٢٩).

خامساً: إزالة الإبهام بالتمييز

التمييز: اسم نكرة، يؤتى به لبيان إبهام اسم أو جملة، نحو: اشتريت رطلا قمحاً. فقولك (رطلا) فيه إبهام، إذ لا تدري رطل ماذا؟ أقمح أم سكر أم شعير أم.... فجئت بـ(قمحاً) فميزت بها ذلك الاسم المبهم وأزلت إبهامه.

وكقوله تعالى: { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } (سورة مريم ٤)، فـ(اشتعل الرأس) جملة مبهمة. اشتعل الرأس علما أم صلعاً أم شيباً أم... فقال (شيبا) ليزيل الإبهام المقصود في الجملة.

١- تمييز الاسم:

يأتي التمييز ليزيل إبهاما في اسم مذكور، والأسماء المبهمة في اللغة، عديدة، منها: العدد، والمقدار، وما يشبه المقدار...

- **العدد نحو: رأيت عشرين رجلاً. فـ(عشرين) لفظ عدد مبهم، عشرين ماذا؟ رجلا أم امرأة أم كتابا أم بيتا... قال تعالى: { إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا} (سورة يوسف ٤). فالعدد (أحد عشر) اسم مبهم: مميز، والتمييز (كوكباً)[1].**

---

[1] وتمييز العدد فيه تفصيل على النحو التالي:

[١] إذا كان العدد من (ثلاثة – عشرة)، فالتمييز يكون جمع تكسير مجروراً بالإضافة، نحو: عندي ثلاثة كتبٍ، ومررت بسبعة رجالٍ. (ويعرب مضافاً إليه). والعدد نفسه من حيث التذكير والتأنيث يخالف معدوده، فيخلو من التاء مع المؤنث (سبع نسوةٍ)، ويكون بالتاء مع المذكر (سبعة رجال). [كقوله: {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} (سورة الحاقة ٧)]. ويجوز أن يكون التمييز معرفة مجرورا بـ(من)، نحو: خمسة من الرجال، وكقوله: {أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ} (سورة البقرة ٢٦٠). [وكذلك لفظ: بضع وبضعة: بضعة رجال، وبضع نسوة].

[٢] وإذا كان دالاً على المائة والمئات أو الألف والألوف، وجب أن يكون التمييز مفردا مجرورا بالإضافة، نحو: الكتاب مئة صفحةٍ، معي ألف دينارٍ.

[٣] وما عدا ذلك فيجب نصب التمييز وإفراده، نحو: عشرون درهما، أربعة وستون يوماً، أحد عشر رجلاً.

وبالنسبة للفظ العدد فهو كالتالي:

- **المقدار، قد يكون المقدار** [1]:

- **مساحة: حرثت فداناً برسيما. ونحو: قيراط، متر، ذراع، ف (فدان) دال على المساحة، ونحو: هذا شبر أرضاً.**
- **كيلا: وهبت كيلة قمحاً. ساومت البائع في قدح فولاً.**
- **وزنا: عندي رطل نحاساً، ونحو: عندي رطل زيتاً وسمناً.**

– (١١، ١٢): يذكر مع المذكر ويؤنث مع المؤنث، ويبنى على فتح الجزءين. نحو: جاء أحدَ عشرَ رجلاً، اثنا عشرَ رجلاً. إحدى عشرةَ امرأةً، اثنتا عشرةَ امرأةً.

– (١٣–١٩): يعامل العدد الأول معاملة (٣–٩)، والعدد الثاني معاملة (١١، ١٢)، ويبنى على فتح الجزءين. فتقول: جاء ثلاثةَ عشرَ رجلاً، ثلاثَ عشرةَ امرأةً.

– ألفاظ العقود (٢٠، ٣٠، .. ٩٠)، لا تتغير، وتعرب إعراب جمع المذكر السالم، نحو: جاء عشرون رجلا، ورأيت عشرين رجلا. جاءت تسعون امرأةً، ومررت بتسعين امرأةً.

–العدد المعطوف (٢١ – ٩٩)، لفظ العقود ثابت، ويعامل العدد الأول معاملة (٣–٩)، وتكون معربة، نحو: جاء ثلاثةٌ وعشرون رجلاً، وجاءت خمس وسبعون امرأةً. أما (٢١) وأشباهها، فتقول: واحد وإحدى: جاء واحد وثلاثون رجلاً، جاءت إحدى وأربعون امرأة. وأما (٢٢) وأشباهها، فتقول: اثنان واثنتان: جاء اثنان وخمسون رجلاً، واثنتان وثمانون امرأةً.

[٤] أما (واحد، اثنان)، فلا يذكر معهما تمييز، فلا تقول: جاء واحد رجل، ولا: جاء اثنان رجلان..، بل يقع التمييز معدودا، فتقول: جاء رجل، جاء رجلان. فلا فائدة من ذكر العدد. ومن الأساليب الركيكة: جاء اثنان من الرجال، (والفصيح: جاء رجلان).

ملحوظة: في نحو قوله تعالى: :{فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً}(النور٤)، يقول النحاة أن التقدير: فاجلدوهم جلدات ثمانين، ويعربون (ثمانين) نائب مفعول مطلق، وهذا تكلف في الإعراب، وإخراج للنظم عن جماله، والأولى القول: ثمانين مفعول به ثاني، ففعل (جلد) يتعدى إلى مفعولين، و(جلدة) تمييز، وهكذا الأفعال التي يكون مفعولها جواب (كم)، فكما نقول: رأيت عشرين رجلا، نعرب عشرين: مفعولا به، ونقول: استغفرت سبعين مرة، نعرب: سبعين مفعولا به، وكلها في جواب: كم. ولا داعي لإدراج بيان العدد ضمن أنواع المفعول المطلق. وهناك مزيد من التفصيل لهذه المسألة في التوكيد بالمصدر.

[1] وتمييز المقدار (المساحة والكيل والوزن) فيجوز نصبه على التمييز، وجره بالإضافة، أو بالحرف (من) تقول: حرثت فداناً برسيماً، أو فدانَ برسيمٍ، أو: فداناً مِنْ برسيم.

إلا إذا كان المقدار قد أضيف لغيره فتنصب التمييز أو تجره بـ(مِن)، نحو: عندي قدر راحةٍ دقيقاً أو: من دقيق. ومنه قوله تعالى: { فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا } (سورة آل عمران ٩١).

- ما يشبه المقدار، كقوله تعالى { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } (سورة الزلزلة ٧ – ٨) ، وقوله: { وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } (سورة الكهف ١٠٩).
- ما كان جزءا من كل، فالمبهم هو الجزء، والكل يؤتى به تمييزاً، ليزيل الإبهام، نحو: هذا خاتمٌ حديداً، فالخاتم هو جزء من الحديد، فجيء بالكل ليكون تمييزا. ونحو: هذا باب خشبياً، ولبست جبة خزا.

٢– تمييز الجملة:

يأتي التمييز بعد الجملة ليزيل إبهاما في النسبة بين أجزاء الجملة، سواء في الجمل الخبرية أو الجمل الإنشائية.

مثل الجملة الاسمية، نحو: محمد كالأسد شجاعةً، ومثل البحر كرماً وجوداً. ففي التشبيه إبهام، إذ تتساءل: ما وجه الشبه؟

والجملة الفعلية، كقوله: { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } (سورة مريم ٤)، وقوله: { وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا } (سورة القمر ١٢)، ونحو: امتلأ الإناء ماءً، وطابت صنعاءُ هواءً، ونحو: أنت لا تُضاهى علماً.

وبعد التعجب، نحو: أكرم بأبي بكر صديقاً، فالتمييز يبين وجه التعجب، ونحو: لله دره فارساً، وحسبك بمحمد صديقاً، ونحو: يا صاحبي، ما أنت صاحباً. (ما أنت: بمعنى أي شيء أنت، فالاستفهام هنا للتعظيم، وصاحبا: تمييز يبين وجه التعجب في: ما أنت).

وبعد (كفى)، كقوله: { وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا } (سورة النساء ٤٥).

وبعد أفعل التفضيل، نحو: زيد أكثر الناس مالاً وعلماً.

وبعد المدح والذم، نحو: نعم محمد رجلاً.

فالتمييز في كل هذه الجمل يبين إبهاما، ويكون منصوباً[1].

إعراب التمييز:

يخص النحاة لفظ (التمييز) بالاسم الذي يقع منصوبا، أما من حيث الدلالة فإن التمييز قد يكون باسم منصوب، نحو: (مررت بعشرين رجلاً)، وقد يكون باسم مجرور بالإضافة، نحو: (عندي ثلاثة كتبٍ)، وقد يكون باسم مجور بحرف الجر (من)، نحو (هذا باب من خشب).

وتجتمع هذه الأوجه الثلاثة في تمييز المقدار فيجوز نصبه على التمييز، وجره بالإضافة، أو بالحرف (من) تقول: حرثت فداناً برسيماً، أو فدانَ برسيمٍ، أو: فداناً مِنْ برسيم.

وقد يكون تمييز الإبهام بالوصف بالمصدر الصناعي (فيتبع الموصوف)، نحو: هذا بابٌ خشبيٌ (كما يمكنك أن تميزه بأحد أوجه التمييز الثلاثة، فتقول: هذا بابٌ خشباً، هذا بابُ خشبٍ، هذا بابٌ من خشبٍ).

[1] تمييز الجملة يجب نصبه إلا في حالة فيجوز نصبه أو جره بـ (من)، وهي: التعجب السماعي نحو: لله دره فارساً، أو من فارس، حسبك به رجلاً أو من رجل. وفي حالة يجب جره بالإضافة، وذلك في تمييز أفعل التفضيل إذا لم يكن فاعلاً في المعنى ولم يضف، نحو: علي أفضل جندي، بخلاف (زيد أكثر مالاً) فـ: مالاً فاعل في المعنى، إذ تقول: زيد كثر ماله.

سادساً: رفع الإبهام عن الخبر

نحو: محمدٌ الشجاعُ.

هذه الجملة مبهمة، فلفظ (الشجاع)، قد يتوهم أنه صفة لـ(محمد)، لا خبر عنه. ولذلك يستخدم في العربية ضمير يطابق ما قبله مطابقة تامة، يسمى: ضمير الفصل، ووظيفته: الفصل بين المبتدأ وخبره؛ حتى لا يتوهم أن الخبر صفة، فتقول: محمد هو الشجاع. وبهذا يتعين أن يكون (الشجاع) خبرا لا وصفاً. وتقول: الزيدان هما الشجاعان، وتقول: هند هي الجميلة. والأطفال هم الأبرياء...

والأولى في إعرابه، أن يقال: ضمير فصل للتوكيد، ولا يعرب مبتدأ، أو غيره.

ومن أمثلته، قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}(الواقعة٩٥)، وقوله: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(آل عمران٦٢)، وقوله: { وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (سورة آل عمران ٦٢)، وقوله: { إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (سورة الصافات ٦٠).

وقد يستخدم الضمير للتوكيد، وليس لإزالة الإبهام، حين لا يكون ثمة إبهام، كقوله: {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ}(فاطر١٠)، وقوله: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ}(التوبة١٠٤)، وقوله: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}(الحشر٢٠).

سابعاً: الإضافة

قد تكون العلاقة بين الشيئين علاقة تضايف ونسبة، فتكون هناك ملابسة ما بين المتضايفين، نحو: باب البيت، (فالباب جزء من البيت)، وكتاب زيد، (فالكتاب ملك زيد). وفائدة الإضافة إزالة إبهام المضاف.

ويقول النحاة أن للإضافة ثلاثة معانٍ: الجزئية، والظرفية، والملكية.

الجزئية، وعلامتها تقدير حرف الجر (مِن)، فيكون المضاف جزءا من المضاف إليه، نحو: باب البيت، (أي: باب جزء من البيت)، ونحو: ثوب الحرير، وخاتم الذهب، ولدي كيس كتب...

الظرفية، وعلامتها تقدير حرف الجر (في)، ويكون المضاف إليه ظرفا زمانيا، نحو: كفاح الصباح (أي: كفاح في الصباح)، وكقوله تعالى: { بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } (سورة سبأ ٣٣)، (أي: مكر في الليل والنهار)، أو ظرفا مكانيا، نحو: عابد الحرمين (أي: عابد في الحرمين).

الملكية، وعلامتها تقدير حرف الجر (اللام)، نحو: سيارة زيد، (أي: السيارة لزيد)، وسواء حقيقية كانت الملكية أم مجازية، نحو: فلان فخر البلاد (أي: فخر للبلاد).

ويضاف إلى هذه المعاني: الاختصاص، أي اختصاص أحد الشيئين بالآخر، نحو: يوم السبتِ، وعلم الهندسةِ... إلخ.

المبحث الثالث: مخالفة الكلام

المقصود بمخالفة الكلام أن أول الجملة يخالف آخرها، إما باستثناء، أو استدراك، أو إضراب، فتأخذ أول الجملة حكما مختلفا عن آخرها.

أولاً: الأسلوب الأول: الاستثناء

وهو أحد أساليب مخالفة الكلام، حيث تأتي بحكم ثم تخرج منه بعض أجزائه بإحدى أدوات الاستثناء، فمثلا (جاء القوم) حكمت على القوم بالمجيء، فإذا قلت: جاء القوم إلا محمدا. فقد أخرجت جزءا من الحكم، وبهذا تخالف طرفا الكلام. والاستثناء له مجموعة من الأدوات في العربية، وهي:

١- الاستثناء بـ(إلا):

وللاستثناء بها صور:

الصورة الأولى: الاستثناء التام المثبت، حيث يؤتى بالمُستَثنَى منه معرفة[١]، ثم الأداة، ثم المُستَثنَى منصوبا[٢]، في جملة مثبتة، فهو استثناء تام، حيث اشتمل على المستثنى والمستثنى منه،

---

[١] المستثنى منه لا يأتي إلا معرفة، حتى يكون الكلام مفيدا، وقد تأتي نكرة مختصة، كقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا } [العنكبوت: ١٤]، ونحو: قام رجال كانوا عندك إلا واحدا منهم، فالنكرة (ألف)، اقتربت من المعرفة حين خصصت بإضافة إلى (سنة)، و(رجال) اقتربت من المعرفة حين خصصت بوصف.

[٢] يستوي في هذا الحكم إذا كان الاستثناء متصلا، (وهو ما كان المستثنى بعضا من المستثنى منه) كالمثال السابق، ونحو: قرأت الكتاب إلا ورقتين، فالورق هي بعض الكتاب، أو كان الاستثناء منقطعا (وهو ما لم يكن المستثنى بعض المستثنى فيه)، نحو: جاء القوم إلا سيارتَهم، فالسيارة ليست بعض القوم، ونحو: أعددت ملابس الرحلة إلا الحقائبَ.

وكذلك يستوى فيه أن تفرد (إلا)، أو تكرر، فتقول: ظهرت النجوم إلا الشمسَ والقمرَ، أو تقول: ظهرت النجوم إلا الشمسَ إلا القمرَ. وكذلك لك أن تقول: أحب ركوب السفن إلا الشراعية الصغيرة، ويصح أن تأتي بـ (إلا) بين الصفة وموصوفها مقترنا بواو العطف، فتقول: (أحب ركوب السفن إلا الشراعيةَ وإلا الصغيرةَ.

وهو مثبت؛ لأنه في جملة مثبتة، نحو: جاء القوم إلا خالدا، فهذه الجملة تشتمل على المستثنى منه (القوم) وعلى المستثنى (خالدا).

ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ} [البقرة: ٨٣]، وقوله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٣٤]. ومنه قول الشاعر:

قـــد يهـــون العمـــر إلا ســـاعة وتهـــــون الأرض إلا موضـــــعا

الصورة الثانية[١]: الاستثناء التام غير المثبت، حيث يؤتى بالمُستَثنَى منه معرفة، ثم الأداة، ثم المُستَثنَى منصوباً [ويجوز أن يتبع المستثنى منه على البدلية][٢]، في جملة نفي أو استفهام يراد به النفي[٣]، فهو استثناء تام، حيث اشتمل على المستثنى والمستثنى منه، وهو غير مثبت؛ لأنه في جملة منفية أو استفهامية، نحو: ما جاء القوم إلا خالدا، هل جاء القوم إلا خالدا؟ ويجوز أن تقول: ما جاء القوم إلا خالدٌ، هل جاء القوم إلا خالدٌ؟ برفع (خالد) على أنه بدل من المستثنى منه.

ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} [النساء: ٦٦]، وقوله: {مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ } [النساء: ١٥٧].

الثالثة: (إلا أنْ)، ويليها فعل مضارع منصوب، ويكون في سياق نفي أو نهي أو استفهام، كقوله تعالى: {وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ } [النساء:

---

[١] أما الصورة الثالثة، والتي تعرف بالاستثناء المفرغ، فقد تحدثنا عنها في أساليب التوكيد بالحصر والقصر.

[٢] للنحاة تفصيل في هذه القضية، حيث يقولون إن الاستثناء المتصل الأولى فيه الإتْباع على البدلية، والاستثناء المنقطع الأولى فيه النصب على الاستثناء، ولكن الوارد عن العرب يجيز الأمرين معا، ولا حاجة بنا إلى التفصيل، فمما ورد في القرآن الكريم من الاستثناء المتصل على الإتباع قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ} [النساء: ٦٦]، ومما ورد على النصب قوله: {وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ} [هود: ٨١]، وأما المنقطع فلم يقرأ في العشر إلا بالنصب، وقد قرئ في الشواذ بالإتباع، كقوله: {وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} [الليل: ١٩ – ٢٠].

[٣] وكذلك لو سبقت بنهي، نحو: لا تضرب الأولاد إلا العاقّ.

١٩]، وقوله: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ } [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ } [الحج: ٤٠].

***

٢- (غير وسِوَى) [ويقال فيها: سُوى]

وذلك حين تستخدم هاتان الأداتان بمعنى (إلا)، نحو: ابتسم الفائزون غيرَ سعيدٍ، ونهضت دول العالم سوى دولةٍ. هذا وما بعد (غير وسوى) اسم مجرور على الإضافة. وللاستثناء بهما صور:

الأولى: الاستثناء التام المثبت، حيث يؤتى بالمُستَثنَى منه معرفة، ثم الأداة منصوبة، ثم المُستَثنَى مجرورا، في جملة مثبتة، فهو استثناء تام، حيث اشتمل على المستثنى والمستثنى منه، وهو مثبت؛ لأنه في جملة مثبتة، نحو: ابتسم الفائزون غيرَ سعيدٍ، ومنه قول الشاعر:

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غيرَ شماتةِ الحساد

الثانية: الاستثناء التام غير المثبت، حيث يؤتى بالمُستَثنَى منه معرفة، ثم الأداة منصوبة، ويجوز أن تتبع على البدلية، ثم المُستَثنَى مجرورا، في جملة نفي أو استفهام يراد به النفي، فهو استثناء تام، حيث اشتمل على المستثنى والمستثنى منه، وهو غير مثبت؛ لأنه في جملة منفية أو استفهامية، نحو: ما جاء القوم غيرَ سعيد، ما رأيت القوم غيرَ سعيد، ما نظرت للنجوم غيرَ نجم، ومنه قوله تعالى: {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} [النساء: ٩٥].

الثالثة: (غير أنْ)[1]، ثم يأتي فعل مضارع، ويكون في سياق نفي، فيكون بمعنى (إلا أن)، ويفيد الاستثناء، كقوله:

لـم يبـق لـي غيـرُ أن أمـوت كمـا قـد مـات قبلـي منـي إلـى آدم

وقوله:

يـا رَجـاءَ العُيُـونِ فـي كـلّ أرْضٍ لـم يكُـنْ غيـرَ أنْ أرَاكَ رَجَـائي

وقول عمر بن أبي ربيعة:

إنَّ حُبِّى آلَ لَيْلَى قَاتِلِى ظَهَـرَ الحُـبُّ بِجِسْـمى وَبَطَـنْ
ليسَ حبٌّ فوقَ ما أحببته، غيرَ أنْ أقتلَ نفسى، أو أجنْ

***

٣- الاستثناء بـ (ليسَ)، (لا يكون)

وهما بمعنى (إلا)، ويليهما اسم منصوب، نحو: زرعت الحقول ليس حقلا، نحو: زرعت الحقول لا يكون حقلا.

***

٤- الاستثناء بـ(عدا – خلا – حاشا)

وللاستثناء بهذه الأدوات صور:

---

[1] أما إذا سبق بـ(مِنْ)، فيكون بمعنى: من دون أنْ، ويليه فعل مضارع، كقول الشريف المرتضي:

ويُنَقَّلُ الإنسانُ عن حالاتِهِ ولداته من غير أنْ يتنقّلا

وقول الآخر:

وكثيراً ما كان يفعل ما يُحسن مِن غير أنْ يقدّم وعدا

الأولى: أن يلي هذه الأدوات اسم مجرور، ويجوز أن تنصبه[1]، نحو: أحب الصحفيين عدا الكذابِ، وأقرأ الصحف خلا التافهةَ، وأقتني الكتب حاشا المبتذلِ. ومنه قول حسان:

لا يحسبنّ المرجفونَ بأنهمْ لَنْ يُطْلَبُوا بِدِمَاء أهْلِ الدّارِ
حاشا بني عمرو بنِ عوفٍ إنهمْ كُتِبَتْ مَضَاجِعُهُمْ معَ الأبْرَارِ

الثانية: أن تسبقها (ما)، وأن يأتي بعد الأداة اسم منصوب، نحو: أحب الصحفيين ما عدا الكذابَ، وأقرأ الصحف ما خلا التافهةَ، وأقتني الكتب ما حاشا المبتذلَ، والأغلب أن تقترن (عدا)، و(خلا) بـ(ما)، ومنه قوله:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى فكلُّ معينٍ ما عدا اللهَ خاذل

وقوله:

عشقتْ نفسهُ السّماحَ فعدّتْ ما عدا قوتَ يومها مِنْ عِداها

وقول بهاء الدين زهير:

إنّ قَلبي لوْ تجَنّى وَهْوَ قَلبي مَا صَحِبْتُهْ
كلُّ شيءٍ مِنْ حَبيبي ما خَلا الغدرَ احتَمَلتُهْ

الثالثة: ومن استخدام (خلا) و(عدا) أن يأتي بعدهما (أنّ) ومعمولها، كقول الشريف الرضي:

وَمَا ذاكَ مِنْ وَجْدٍ خَلا أنّ هِمّة عنائي بها في الواجدين طويل

وقول النابغة الشيباني:

وأَعْلمُ أَنْ لا شَيْءَ يَبْقى مُؤَمَّلاً خلا أَنَّ وجهَ اللهِ ليس يَبورُ

---

[1] يعد النحاة هذه الحروف في حال انتصاب الاسم بعدها ـ أفعالا ماضية، وفي حال الجر يعدونها حروف جر، ولا حاجة بنا إلى هذا التقدير، فيكفي أن نعرف طرق استخدام العرب لهذا الأسلوب.

***

٥- الاستثناء بـ (حتى)

وفي هذا الأسلوب تأتي (حتى) بعد نفي أو نهي، ثم يأتي بعدها الفعل المضارع منصوبا، وتكون (حتى)، بمعنى (إلا أنْ)، ومع الاستثناء فإن (حتى) تفيد التيئيس أيضا، كأن تقول: لا تشهد بالباطل حتى تخرجَ روحك من جسدك، فالمراد هنا النهي على أي حال، ومنه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } [الأعراف: ٤٠]، فالمراد التيئيس من دخولهم الجنة، ولعل منه قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً } [البقرة: ٥٥]، وقوله: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } (سورة النساء ٦٥)، ومثله قول الشاعر:

ولا ألين لغير الحق أتبعه حتى يلين لضرس الماضع الحجر

***

٦- الاستثناء بـ (أو)

ومن الأساليب أيضا، أن تأتي (أوْ)، ثم يأتي بعدها الفعل المضارع منصوبا، وتكون (أو)، بمعنى (إلا أنْ)، نحو: يُقتل النمرُ بالرصاص أو تخطئَه الرصاصة، فالمعنى: يقتل النمر بالرصاص إلا أن تخطئه الرصاصة، ونحو: لأشهدن بالحق أو يصابَ لساني بآفة، ونحو: لأناضلن في سبيل الحق أو يعجزَني المرض.

***

٧- الاستثناء بـ (اللهم إلاّ)

ومن أساليب العرب في الاستثناء المجيء بلفظ (اللهم إلاّ) في الاستثناء، وذلك حين يكون الاستثناء نادرا، وغالبا ما يكون التركيب (اللهم إلا أنْ) ثم يأتي فعل مضارع، كقول أحد

حكماء العرب: (من عرف بالفقر صار معدنا للتهمة، ومجمعا للبلايا، اللهم إلا أن يرزق المرء قلبا نقيا قنعا، يرى الثواب المدخر من الضجر الشديد، فحينئذ لا يبالي بالعالم بأسرهم، والدنيا وما فيها).

وقد لا يلتزم بذلك، ومن أمثلته: قول خالد بن الوليد رضي الله عنه: (ما ليلةٌ أقرَّ لعيني من ليلةٍ يُهدى إليَّ فيها عروسٌ، اللهم إلا ليلةً أغدو فيها لقتال العدو).

***

ثانياً: الأسلوب الثاني: الاستدراك

وهو أحد أنواع مخالفة الكلام، والاستدراك هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته، أو إثبات ما يتوهم نفيه، فلو قلت: (هذا غني) لخطر في البال أنه محسن بسبب غناه، فتنفي هذا التوهم إن لم يكن محسنا، فتقول: (هذا غني، لكنه غير محسن) وتقول: محمد غير مجتهد، لكنه ذكي. ولهذا يقتضي الاستدراك أن يكون ما بعد أداته مخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي[1]، فنحو: محمد لا يصاحب الأشرارَ لكنِ الأخيارَ، فما قبل (لكن) ينفي صحبة الأشرار، وما بعدها يثبت صحبة الأخيار.

والاستدراك له مجموعة من الأدوات في العربية، وهي:

١- الاستدراك بـ(لَكِن):

وهي أم الباب في الاستدراك، ولها صور:

الأولى: (لَكِنَّ)، وتليها جملة اسمية، يكون الاسم فيها منصوبا، والخبر مرفوعا، نحو: أتيت لكنّ محمدا غائبٌ، وغالبا ما تسبق بالواو، ومنه قوله تعالى: {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا } [البقرة: ١٠٢]، وقوله: { لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } [الزخرف: ٧٨]، وقوله: {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١]. ومنه قول أبي فراس:

وَقَدْ كَانَ لي عن وُدّهِ كُلُّ مَذهَبٍ، ولكنَّ مثلي بالإخاءِ ضنينُ

وقول الثعالبي:

---

[1] يقتضي هذا أن تسبق (لكن) بكلام له صلة معنوية بما بعدها، كما في الأمثلة أعلاه، وقد يكون الكلام مقدرا كما في قول ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرع تقذف الزبدا

فكأنه يقول: غيري يتمنى الرجوع ظافرا، لكنني...

بي فاقةٌ غطَّيتُها بتجملٍ وتحمُّلٍ وتَخَمُّلٍ وتَستُّرِ
فالحالُ ظاهرُها مروءة موسرٍ لكنَّ باطِنَها خَصَاصَةُ معسرِ

الثانية: (لَكِنْ)، بسكون النون، وفي هذه الحالة قد تليها جملة اسمية، اسمها وخبرها مرفوعان، نحو: محمد في مصر، لكنْ روحُه في اليمن[1].

والغالب أن تليها جملة فعلية مثبتة أو منفية.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [مريم: ٣٨]، وقوله: {مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [النحل: ١٠٦]، وقوله: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [البقرة: ٥٧]، وقوله: {فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى } [القيامة: ٣١ – ٣٢]، وقوله: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ } [الواقعة: ٨٥]، وقوله: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات: ١٤]، وقوله: {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ } [محمد: ٤]، وقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا } [الأحزاب: ٥٣][2].

---

[1] ويجوز أن تقول: محمد في مصر، لكنْ في اليمن روحُه، فتؤخر الاسم وتقدم عليه ما تعلق به، ونحو: محمد فقير لكنْ للمال يدُه متلفة.

[2] أشير هنا إلى أن النحاة يجعلون لـ(لكنْ) المخففة حالتين، الأولى: أن تكون عاطفة إذا لم تسبق بالواو، وسبقت بنفي أو نهي، نحو: لا تقطف الزهر لكن الثمرَ، ونحو: ما قطفت الزهر لكن قطفت الثمر. والثانية: أن تكون ابتدائية إذا سبقت بالواو، وتليها جملة ابتدائية اسمية أو فعلية، ولهذا يقدرون في نحو قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } [الأحزاب: ٤٠]، أي: ولكن كان رسول الله.

ولقد لاحظت من خلال تتبع آيات القرآن الكريم، أنه يلي (ولكن) اسم منصوب حين تسبق بكون منفي، فيكون التركيب: ما كان ...ولكن، كقوله تعالى: { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ}[القصص: ٤٦]، وقوله: {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } [يوسف:

الثالثة: (لكنّما)، ويليها فعل غالبا، أو جملة اسمية اسمها وخبرها مرفوعان، ومنه قول ابن هانئ:

وما خفي الرُّشدُ لكنّما أضَلّ الحُلومَ اتّباعُ الهوى

وقول الآخر:

ماتوا بغيظهم وليت نفوسهم فيها المنّية أنشبت أظفارها
ما مدَّ في أعمارهم لكرامة لكنما كرهَ الإله جوارها

وقال الإمام علي:

لو كان باللُّبّ يَزْدادُ اللَّبِيْبُ غِنًى لَكانَ كُلُّ لَبيبٍ مِثْلَ قارُونِ
لكنما الرزقُ بالميزان من حكم يعطي اللبيب ويعطي كل مأفون

وقال ابن الرومي:

هُمُ المبدِعون بديعَ العلا إذا كان غَيْرَهُمُ المتَّبعْ
وما الدين إلاَّ مع التابعين لكنَّما المجدُ للمبتدِعْ

***

٢- الاستدراك بـ(عَلَى):

وهي بمعنى (لكن)، وتأتي لتزيل وهما متوقعا من حكم سابق، نحو: (هفا الصديق فاحتملت هفوته، على أن احتمالها مر أليم)، فالمتكلم بين أنه احتمل الهفوة، وقد يوحى كلامه بأن احتمالها سهل، فأزال هذا الاحتمال بما ذكر مستدركا أن احتمالها مر أليم. ودائما يليها (أنّ)، فتقول: على أن ...، هذا و(على) حرف استدراك وابتداء، وما بعدها جملة مستأنفة.

ومن الأمثلة:

١١١]، وقوله: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [يونس: ٣٧].

بكلٍّ تداوينا فلم يشف ما بنا على أنّ قرب الدار خير من البعد
على أنّ قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذي ود

وكقول شاعر يخاطب الله جل جلاله:

فهلا رضيت فأصلحت أمر عُبَيد دعاك بجوف الحلكْ
وألقى إليك مقاليده وكل سبيل – لترضى سلكْ
على أنه من بني آدم وهل في بني آدم من ملكْ

وقول أبي تمام:

يا ساحرَ اللفظِ على أنَّ منْ أغراكَ باللفظِ هوَ الساحرُ!

وقول النابغة الجعدي:

فَتىً كانَ فِيهِ ما يَسُر صَدِيقَهُ عَلى أنَّ فيهِ ما يَسُوءُ الأَعادِيا
فَتىً كمَلتْ خَيْراتُهُ غَيْرَ أنَّهُ جَوَادٌ فَما يِبْقى منَ الْمالِ باقِيَا

***

٣– الاستدراك بـ(إلاّ):

وتأتي بعدها جملة مستؤنفة، كقوله تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ} [الغاشية: ٢١ – ٢٤]، أي: لست مسيطرا عليهم، لكن من تولى وكفر منهم فيعذبه الله، وكقوله: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ } [سبأ: ٣٧]، وقوله: {يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠) إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النمل: ١٠ – ١١]. وغالبا ما تكون الجملة مبدوءة بـ (أنّ)، ومنه قول أبي تمام:

ما كفَّ من حربِ الزمانِ ورميهِ بالصَّبْرِ إلاَّ أَنَّه لم يُنْصَرِ
جودٌ كجودِ السيلِ إلا أنَّ ذا كَدِرٌ وأَنَّ نَداكَ غَيْرُ مُكَدَّرِ

وقال المتنبي:

هذا عتابك إلا أنه مقةٌ قد ضُمّن الدر إلا أنه كلم

وقول الآخر:

هُوَ الْعَدْلُ إلاَّ أَنَّهُ إِذْ يَرُومُهُ عدوٌ بظلمٍ كانَ أدهى وأظلما

وقول الآخر:

هو البدرُ إلا أنني كلَّ ليلةٍ أرى البدرَ مَنْقوصاً وليس بناقصِ

***

٤- الاستدراك بـ(غيرَ أنّ)،

ويليه اسم وخبر، كقول الخفاجي:

هذَا عتابكَ غيرَ أنَّ وراءهُ قَلباً أَرَقَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْ يَهْجُرَا

وقول ابن هانئ:

لا ملومٌ أنت في بعض الأسى غيرَ أنّ الحرَّ أولى بالجلد

وقول الآخر:

ولك الله من حبيبٍ ملولٍ غير أنَّ الهوى به لن يملاّ

وقول أبي تمام . ولاحظ استخدام (أنْ) مخففة:

باشَرَ المَاءَ فَهْوَ في رِقَّةِ الصَّنعة كالمَاءِ غَيرَ أَنْ ليسَ يَجري

***

٥- الاستدراك بـ(بَيْدَ أنّ):

و(بَيْدَ)، تستخدم للاستدراك لا للاستثناء، نحو: فلان غني بَيْدَ أنه جشع، وأخوه فقير بَيْدَ أنه عزيز النفس، فـ(بَيْدَ) هنا بمعنى: لكن، ويأتي بعدها عادة المصدر المؤول من (أنَّ) ومعموليها، ومنه قول شوقي:

فرأَيت أَياماً عَجِلْنَ وليْتَهـــا لَـــمْ تَعْجَـــل
كانـــت مُوَطَّـــأَةَ المِهـــادِ لنـــا، عِـــذاب المنهَـــل
ذَهَبـــتْ كحُلـــمٍ، بَيْـــدَ أنّ الحلـــمَ لـــم يتـــأوَّل

ومنه قول ابن شهاب الأندلسي:

آفة التقليد مهلكة تخنق الأسرى بمحبسهم
بَيْدَ أنّ الأكثرين وقد عرفوا تلويث ملبسهم
سكتوا جبناً وبعضهمُ حسداً من عند أنفسهم

٦- الاستدراك بـ(فأما):

ومن أساليب العرب في الاستدراك استخدام (فأما)، وتليها جملة اسمية يلزم في خبرها الفاء، تدل على الاستدراك، كقول الأحوص:

ألا ليتَ شعري هلْ إلى أمِّ جحدرٍ سَبيلٌ، فَأَمَّا الصَّبْرُ عَنْهَا فَلاَ صَبْرَا

أي: هل أستطيع الوصول إليها، لكن أن أصبر عنها فلا أستطيع، وكقول دعبل:

مَا أَطيبَ العَيْشَ! فأَمَّا عَلَى أَلاَّ أَرَى وَجْهَكَ يَوْماً، فَلاَ
لو أَنَّ يوماً مِنكَ أَو سَاعة تباعُ بالدنيا ، إذنْ ما غلا!

وقول الآخر:

سَأُثْني بِما أَوْلاَهُ أَبناءُ صالِحٍ بِجَهْدِي فَأَمَّا أَنْ أُكافِيهُمْ فَلا

وقول جبران خليل جبران:

ونجتاز هذا الفضاء رحيبا فأما بنا فهو لم يرحب

وقول ابن الرومي:

تضيء نجوم الليل في الليل وحده وليس لها ضوء إذا الصبح نَوَّرا
فأمّا إذا ما الحسنُ كان مكمّلاً كحسنكِ لم يحتج إلى أن يُزوّرا

وقول المعري:

واعذرْ سواك، فأمّا النّفس إن جرَمتْ فانقَم عليها، ولا تقبل لها عُذُرا

وقد تأتي بعدها جملة منفية مقترنة بالواو، فيكون معنى (فأما) أقرب إلى أن يكون: طالما، كقول الشريف الرضي:

لقد كنت أوصى بالبكاء من الجوى لَوَ أنّ غَرَاماً بالدّمُوعِ غَسِيلُ
فَأمّا، وَلا وَجْدٌ يَزُولُ بعَبرَةٍ فصبر الفتى عند البلاء جميل

أي: فطالما لا يزول الوجد بعبرة، فإن صبر الفتى عند البلاء جميل. وقول ابن الرومي:

عذرتك لو كان المطال وقد سقَى جنابي ربيعٌ من سمائك باكر
فأمَّا ولم يُبللْ جنابي بقطرة فما لك مني في مطالك عاذر

***

ثالثاً: الأسلوب الثالث: الإضراب

ومعنى الإضراب هو الانتقال. وذلك كأن تكون بصدد أمر ثم تنتقل منه إلى أمر آخر معرضا عن الأمر الأول، والإضراب ثلاثة أنواع: إضراب إبطالي، وإضراب انتقالي، وإضراب الخطأ، وله أدوات: (بل)، و(أم)، و(أو). وسأبينه فيما يلي:

١- الإضراب بـ(بل):

وهي أشهر حروف الإضراب، وللإضراب بها صور:

الأولى: (الإضراب الإبطالي)

حيث تأتي بها لتنفي أمرا سبق ذكره، فتأتي بها لنفي ما سبق وإثبات ما بعدها، وتأتي بعد (بل) جملة اسمية أو فعلية، ومن الأمثلة قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ } [المؤمنون: ٧٠]، فهو ينفي دعواهم أن بالرسول جنة، ثم يثبت الحقيقة: بل جاءهم بالحق. وكقوله تعالى: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ } [الأنبياء: ٢٦].

ومنه الإبطال البلاغي، ويستخدمه الشعراء كثيرا، ويغلب مجيء (لا)، قبل (بل)؛ لتوكيد الإضراب، كقول بشار:

غَرَّاءُ كَالْقَمَرِ الْمَشْهُورِ حِينَ بَدَتْ ... لاَ بَلْ بَدَا مِثْلَهَا حِينَ اسْتَوَى الْقَمَرُ

وقول صفي الدين الحلي:

أتاني كتابٌ منكَ أحسبُ أنّهُ ... هوَ السحرُ لا بل دون موقعه السحرُ

وقول شاعر يمدح:

فقال لي صحبي: أبدرُ السّما ... فقلتُ: لا بل هو بدرُ السماح

وقول آخر:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم اللَّهُ يَعلَمُ أَنّي لَم أَقُلْ فَنَدا
إني لأفتحُ عيني حين أفتحها على كثيرٍ ولكن لا أرى أحداً

الثانية: (الإضراب الانتقالي)،

حيث تذكر أمرا، ثم تنقل عنه إلى غيره، دون نفي للسابق، بل تثبت الأمرين معا، وفي هذه الحالة تأتي جملة بعد (بل)، نحو: ليس من المروءة أن يتخلى الشريف عن أصدقائه ساعة الشدة، بل يعينهم بماله ويدافع عنهم بنفسه. ومنه قوله تعالى: {وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} [المؤمنون: ٦٢ – ٦٣].

الثالثة: (إضراب الخطأ)،

ويقصد به أن تنقل حكما سبق ذكره لشيء آخر، فكأنك أثبت الحكم لشيء آخر خطأ، و(بل) هنا عاطفة، ولهذا يليها كلمة مفردة، تعطف على ما سبق، نحو: أعددت الرسالةَ بل القصيدةَ، فقد أثبت الإعداد للرسالة، ثم تذكرت أنك أخطأت فلم تعد الرسالة، بل أعددت القصيدة، فكأنك لم تذكر الرسالة، ونحو: لبست المعطفَ بل الثيابَ، جاء محمدٌ بل زيدٌ، عاون المحتاجَ بل الضعيفَ.

***

٢– الإضراب بـ(أو):

وللإضراب بها صورتان:

الأولى: الإضراب الانتقالي، كما سبق بيانه، ومنه قوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات: ١٤٧]، فهو مرسل إلى مائة ألف وزيادة أيضاً، وكقوله: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ } [النحل: ٧٧]، وقوله: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } [البقرة: ٧٤]، ومنه قول الشاعر:

بدتْ مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها، أو أنتِ في العين أملح

الثانية: (أوْ لا)

أن تأتي (لا) بعد (أو)، ثم تأتي جملة مبدوءة بالفاء السببية، ويكون (أوْ لا) بمعنى: فإن لم يكن الأمر كذلك ف...، فالمتكلم يذكر حكما، ثم يضرب عنه بذكر الحال إذا فات ذلك الحكم، كقوله:

لا حُكمَ إلا مِنْ تُقًى وتَوَاضُعِ أَوْ لا؛ فإنَّ الحُكْم َليسَ بنافعِ

أي: إذا لم يكن الحكم بتقى وتواضع فإن الحكم ليس بنافع. وقوله:

يا ليت أن الصد مصدود أو لا فليت النوم مردود

وقول إيليا أبو ماضي:

إن كنت تدري ما الغرام فداوني أو لا فخلّ العذل والتفنيدا

الثالثة: إضراب الخطأ،

نحو: (أقيم في البيت أو أخرج؛ فإن ورائي عملا لا مناص من إنجازه الآن في الخارج)، فهنا إضراب الخطأ، حيث قال أنه سيقيم ثم أضرب عن هذا الحكم، وأثبت نقيضه، ونحو: أخرج بل أقيم، فهو يثبت إقامته وينفي خروجه، فكأنه تهيأ للخروج وقال: أنا أخرج، ثم عدل عن ذلك وقال: بل أقيم فكأنه قال: أنا أخرج، لا، بل أقيم.

***

٣- الإضراب بـ(أم)[1]:

وللإضراب بها صور:

[1] نشير إلى أن الإضراب بـ(بل) يختلف عن الإضراب بـ(أم) فالذي بعد (بل) يقين غالبا، أما الذي بعد (أم) فظن.

الأولى: الإضراب الإبطالي،

وقد سبق بيانه، نحو: هذا بدر أنار الدجى، أم هو وجه حبيب تجلى فآنسني.

الثانية: الإضراب الانتقالي،

وفيه يتم تقرير الأمرين ما قبل (أم) وما بعدها، كقوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئًا} [الأحقاف: ٧ – ٨]، فـ(أم) بمعنى (بل) الدالة على الإضراب المحض، وما قبل (أم) معنى مستقل، وما بعدها معنى مستقل، فهو ينقل قولهم بأن القرآن سحر، بل يقولون إنه مفترى، فكلا المعنيين مقرران. ونحو: (فاز من حاسب نفسه، وتدارك عيبه، أم حسب المرء أن المجد سهل الإدراك قريب المنال)، وفي هذا المثال تلحظ التوبيخ من خلال الإضراب.

ومنه قوله: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الطور: ٣٢]، فالاستفهام إنكاري، ثم قررهم بأنهم طاغون، أي: بل طغيانهم الذي يأمرهم بهذا. وقوله: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]، والمعنى: بل الذي يصرفهم عن القرآن هو انغلاق قلوبهم.

ويدخل في حكم الإضراب الانتقالي: أن تأتي (أم) الإضرابية بعد جملة استفهامية، وتفيد غالبا الاستفهام عما قبل (أم) وما بعدها،كقوله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ} [الرعد: ١٦]، فالاستفهام في الآية تقريري، و(أم) هنا رابط، وكأن التقدير: هل يستوي الأعمى والبصير؟ هل تستوي الظلمات والنور؟ وقوله: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف: ١٩٥]، فالاستفهام هنا إنكاري، و(أم) رابط، والتقدير: ألهم أرجل يمشون بها؟ ألهم أيد يبطشون بها؟... ، ومنه قول أبي العتاهية:

فيَا عَجَبَا كيفَ يَعصِي الإلهُ أمْ كيفَ يجحدهُ الجاحِدُ

وقول عروة بن حزام:

وكيفَ يلذُّ النّومُ أمْ كيفَ طعمهُ صِفَا النَّومَ لي إنْ كنتما تصفانِ

الثالثة: إضراب الخطأ،

نحو: هذا كوكب المريخ، أم سهيل، ونحو: ما هذه التي أراها؟ إنها لسيارات، بل حافلات.

٤- بدل الخطأ أو النسيان:

ومن الإضراب ما يسميه النحاة بدل الخطأ أو النسيان، والخطأ يتعلق باللفظ، والنسيان يتعلق بالتذكر، نحو: سأزور زيدا خالدا، فالزيارة هي لخالد، ولكنك غلطت فقلت: سأزور زيدا، ثم صححت اللفظ، أو نسيت ثم ذكرت.

***

رابعاً: الأسلوب الرابع: دفع الوهم

من أساليب مخالفة الكلام عند العرب ما أسميه دفع الوهم، حيث يزيل المتكلم وهما كائنا عند المخاطب، أو وهما متوقعا، فكأن المتكلم ينفي حكما سابقا، ثم يثبت نقيضه، والعرب تستخدم لذلك (إنما)، وقد تحدثنا عنها في باب التوكيد، وأشير هنا إلى بعض الأمثلة:

قال تعالى: { قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا } [مريم: ١٨ – ١٩]، فهي لما قالت له أعوذ منك، كان مفهوم كلامها أنه إنسان سوء، فدفع هذا الوهم بقوله: (إنما أنا رسول ربك)، أي: لست إنسان سوء، إنما أنا رسول ربك.

وقال تعالى: { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ } [الغاشية: ٢١ – ٢٢]، فبين أنه مذكر، وليس بمسيطر. وكقوله: { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الملك: ٢٥ – ٢٦]، وكقوله: { وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} [طه: ٩٠]، أي: يا قوم لا تظنوا أن العجل خير لكم، بل إنما فتنتم به.

خامساً: الأسلوب الخامس: المخالفة بين النفي والإثبات

ولهذا الأسلوب صورتان، الأولى: أن تنفي بعد إثبات، والصورة الثانية: أن تثبت بعد نفي

١- الصورة الأولى: النفي بعد الإثبات:

يستخدم لهذه الصورة أسلوب: النفي بـ(لا)، نحو: جاء عمرو لا زيد، فمخالفة الكلام هنا، أنك أثبت المجيء لعمرو، ونفيته عن زيد. ونحو: ينجو الشجاع لا الجبان، ونحو: الحسن ما استحسنته النفسُ لا البصرُ. ومنه قول الشاعر:

قــلْ لِبــانٍ بقــولٍ رُكــنَ مملكــةٍ على الكتائبِ يُبنَى المُلكُ، لا الكُتُبِ

ونحو: تكلم بالخير لا بالشر، وقل الحقَّ لا الباطل.

وفي حال التكرار تأتي بالواو مع (لا)، نحو: أكلت تفاحا، لا موزاً ولا عنباً.

٢- الصورة الثانية: الإثبات بعد النفي أو النهي:

يستخدم لهذه الصورة أسلوب: الإثبات بـ(بل)، نحو: ما جاء محمد بل زيدٌ، فنفيت المجيء عن محمد وأثبته لزيد. ونحو: لا تستضعف المسكين بل أكرمه. ونحو: ما زرعت القمح بل القطن.

وهي تأتي بعد نفي أو نهي، حيث تأتي بحكم منفي أو تنهي عن حكم، ثم تأتي بـ (بل) لتثبت وتقرر ضده بعد (بل)، نحو: ما زرعت القمحَ بل القطنَ، ما جاء محمدٌ بل زيدٌ، ونحو: لا تصاحب الأحمقَ بل العاقلَ، لا تترك الرياضةَ بل الكسلَ.

وللإثبات بها صورة أخرى، حيث يمكنك أن تجيء بـ(لا) قبل (بل) تقوية وتوكيدا، فتقول: ما زرعت القمح، لا بل القطنَ، لا تترك الرياضةَ، لا. بل الكسلَ.

هذا، و(بل) هنا عاطفة يأتي بعدها مفرد، تعطفه على المفرد السابق فيأخذ حكمه.

الفصل الثامن: معاني العلاقات

يتناول هذا الفصل العلاقات بين الأشياء، وتعبير اللغة العربية عن هذه العلاقات، وهو خمسة أقسام:

القسم الأول: الجمع بين الأشياء المختلفة: وذلك بأساليب عدة، منها: العطف، والمصاحبة.

القسم الثاني: الجمع بين الشيء وأجزائه.

القسم الثالث: التفريق بين الأشياء، وذلك بأساليب عدة، منها: التقسيم ولاتفصيل، والتخيير، والشك.

القسم الرابع: التسوية والتشبيه بين الأشياء.

القسم الخامس: التعليل، حيث تجمع بين الحدث وعلته.

القسم السادس: الإضافة، وهي علاقة التضايف بين الأشياء.

المبحث الأول: الجمع بين الأشياء المختلفة

في اللغة العربية مجموعة من الأساليب للجمع بين الأشياء، وهي تنقسم قسمين: الجمع المطلق دون مراعاة الترتيب، والجمع مع الترتيب.

أولاً: مطلق الجمع

١- الجمع بصيغة التثنية والجمع:

إذا تماثلت الألفاظ التي يراد جمعها معنى وصيغة، واتحدت حكما، فإنها تضم إلى بعضها بالصيغة، فإذا كان المجموع شيئين فإنهما يثنيان، وإذا كان أكثر من شيئين فإنها تجمع، نحو: جاء الرجلان (بدلا من أن تقول: جاء الرجل والرجل)، ولكنك تقول: جاء الرجل والمرأة، لاختلاف الصيغة. وفي الجمع: جاء الرجال (بدلا من أن تقول: جاء الرجل والرجل والرجل).

٢- الدلالة بالواو في الجمع المثبت:

تأتي الواو لمطلق الاشتراك في الجمع، نحو: جاء محمد وعلي. فمحمد وعلي اشتركا في الحدث: المجيء، ولكن دون مراعاة ترتيب زمني بينهما، فلا شيء يفيد أن أحدهما جاء قبل الآخر، فقد يكون جاء محمد قبل علي، وقد يكون العكس، وقد يكونان جاءا معاً. وقد يكون مجيئهما متعاقبا وقد يكون بينهما مهلة كبيرة.

والخلاصة أن الواو لا تفيد إلا مطلق الاشتراك، وأي إفادة للترتيب أو التعاقب فإنما هي من السياق، قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ } (سورة الحديد ٢٦)، فنوح وإبراهيم اشتركا في الحدث (إرسال الله لهما)، وهذا ما تفيده الواو. أما إفادة الترتيب والتراخي (المدة الطويلة بينهما)، فهي معلومة من قصصهما.

وتستخدم الواو للعطف مع الألفاظ التي تقتضي المشاركة، نحو: تصافح محمد وعلي، وتقاتل الأسد والنمر.. ونحو: المنزل بين المسجد والحديقة.

وتعد الواو عاطفة، وما بعدها معطوف على ما قبلها، ويشاركه في الحكم الإعرابي.

والواو تعطف المفردات: اشتريت كتاباً وقلماً. وكقوله: { فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ } (سورة البقرة ١٩). وتعطف الجمل، اسمية، كقوله: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا } (سورة فصلت ٤٦)، وفعلية، نحو: استيقظ محمد وغسل وجهه، وكقوله: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } (سورة البقرة ٢٢)، فعطف جملة (وأنزل) على جملة (جعل). وفي حال عطف الجملة الاستفهامية المبدوءة بهمزة، فإن الهمزة تسبقها، نحو: ألم تأت، أولم أحسن إليك، أي: (وألمْ)، ومنه قوله: { أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤) أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } (سورة الأعراف ١٨٤ – ١٨٥)

وللواو دلالات أخرى، كما سيأتي في بقية الباب.

ومن الأساليب الخاطئة الشائعة اليوم العطف بين الألفاظ دون حرف الواو، وهذا من التأثر باللغات الأجنبية، نحو: التقيت عمي، عمتي، خالي، وخالتي.

**

٣– الدلالة بـ(أو):

كقوله: { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ } (سورة النساء ١٢٤)، فجمع بين الذكر والأنثى في الحكم، وعادة يصلح لأن توضع الواو موضع (أو)، فتقول: انطق بالحق أو الخير. (أي: بالحق والخير)، كقوله: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ } (سورة النساء ١١٤). فهنا لا يقصد: شيء من هذه الأشياء، بل الأشياء كلها. ومنه قوله: { فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى } (سورة طه ١٠)، أي: آتيكم بقبس وأجد هدى. وكقوله: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } (سورة طه ١١٣)، أي: يتقون ويحدث لهم ذكرا. وكقوله: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا } (سورة النازعات ٤٦).

**

٤- الجمع المنفي:

وله أسلوبان:

الأسلوب الأول: استخدام (ولا)

في حال الجمع بين الشيئين نفيا، فإن العرب تستخدم الواو مع (لا)، ما جاء زيد ولا عمرو، وقوله: { يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ } (سورة البقرة ٢٥٤)، وقوله: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ } (سورة الأحزاب ٣٦)، وقوله: { فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ } (سورة الطور ٢٩)، وقوله: { وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ } (سورة الواقعة ٣٢ – ٣٣).

وفي حال الوصف تأتي بـ(لا)، أولا ثم تكررها، نحو: سكنت في بيت لا قديم ولا جديد، ونحو: أكلت عنبا لا حلوا ولا حامضا.

الأسلوب الثاني: استخدام (أو)

تقول: لا أحب منافقا أو كاذبا، (كما تقول: ولا كاذبا)، وفي النهي كقوله تعالى: { وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا } (سورة الإِنْسان ٢٤).

**

٥- الجمع بصوغ (فاعل) من العدد:

ومن أساليب العربية في الجمع: صياغة (فاعل) مضافا إلى العدد، ويكون وصفا للمعدود.

فمثلا: ثلاثة أشخاص (محمد وعلي وزيد) صعدوا إلى قمة جبلية، فإذا أردت أن تذكرهم تقول: محمد وعلى وزيد صعدوا إل قمة الجبل.

ويمكنك استخدام الأسلوب العددي، فتقول: محمد ثالثُ ثلاثةٍ صعدوا إلى القمة الجبلية.

(فذكرت لفظ محمد ولم تذكر الآخرين، ولكنك تلحظ وجودهم، دون إرادة للترتيب بينها، بل المقصود: محمد واحد من ثلاثة صعدوا إلى الجبل، بغض النظر مَنْ منهم صعد الأول أو الثاني، فكل منهم تقول عنه: ثالث ثلاثة).

فاستخدام (ثالث) دل على أنه بعض من المعدود الأصلي.

وفي المثال الشهير: (الكلمة: اسم وفعل وحرف)، يمكنك أن تقول: الاسم ثالث ثلاثة تمثل أقسام الكلمة.

وتقول: علي رابعُ أربعةٍ من الخلفاء الراشدين.

**

ومن الأمثلة قوله تعالى: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ } (سورة التوبة ٤٠)، فالاثنان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه أبو بكر.

وقوله: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ } (سورة المائدة ٧٣)، وهم النصارى الذين قالوا: الآلهة ثلاثة: الآب والابن وروح القدس (ويقصدون بالآب: الله).

**

وتؤنث الصيغة للدلالة على المؤنث، نحو: فاطمة ثالثةُ ثلاثٍ حضرن هذا اليوم إلى المدرسة. ونحو: مصر رابعةُ أربعِ دولٍ زرتها.

ثانياً: الجمع بالترتيب

١- الدلالة بالفاء على الترتيب والتعقيب:

تعطف الفاء بين المفردات فتفيد ترتيبها الزمني (أو المعنوي)، كما تفيد تعاقب المتعاطفين في الحدث، نحو: جاء محمد فعلي، فيفيد أن محمدا جاء أولاً، وجاء علي بعده دون تراخ زمني. ونحو: قرأت سيرة أبي بكر فعمر بن الخطاب (فالترتيب هو للقراءة، وليس للوقوع). ونحو: سأزور عليا فزيداً. ونحو: مصادر الفقه: القرآن فالسنة فالإجماع، (فالترتيب هنا للأهمية).

وتعطف الفاء مفردات، كما مثلت، أو جملا، نحو: طاف الحاج حول الكعبة فسعى بين الصفا والمروة فحلق رأسه.

٢- الدلالة بـ (ثم) على الترتيب والتراخي:

أما (ثم) فتدل على الترتيب بين الأشياء، ولكن دون تعقيب، أي أن بينها تراخٍ زمني أو معنوي، نحو: جاء محمد ثم علي، (فعلي جاء بعد محمد، ولكنه لم يأت عقبه مباشرة، بل تأخر عنه).

وتعطف المفردات، والجمل، كقوله: { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } (سورة البقرة ٢٨)، وقوله: { فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا } (سورة البقرة ٢٦٠).

٣- الترتيب بالعدد الترتيبي:

يصاغ في اللغة العربية وزن (فاعل) من الأعداد للدلالة على الترتيب، ويأتي العدد الترتيبي وصفا، نحو: هذا الثاني، وهي الثالثة، الفصل الرابع، الخصلة السابعة، الكتاب العاشر.

ويستخدم للدلالة على (١) لفظ: الأول (للمذكر)، و(الأولى) للمؤنث: هو الأول، وهي الأولى.

أما المرتبة الأخيرة فقد توصف بالعدد، وقد يستخدم لها لفظ (الأخير، الأخيرة)، نحو: الفصل الأخير، الدولة الأخيرة.

وتقول: هذه الحاديةَ عشْرة، وهذا الحادي عشَرَ. هذه الثانيةَ عشْرةَ وهذا الثاني عشَرَ، هذه الرابعةَ عشْرةَ وهذا الرابعَ عشَرَ. (بالبناء على فتح الجزءين).

وتقول: هذه الحاديةُ والعشرون وهذا الحادي والعشرون. (أو: الواحدة والعشرون، والواحد والعشرون). ونحو: هذا الأربعون وهذه الأربعون... إلخ. (بالإعراب).

**

والعدد الترتيبي لا يكون إلا حيث ثمة أشياء عدة، والمتكلم يرتب بينها، بألفاظ العدد.

**

٤- الترتيب بصوغ (فاعل) من العدد:

ذكرت في (مطلق الجمع) أنه قد يصاغ نحو: ثالث ثلاثة، ورابع أربعة... للدلالة على أن الشيء واحد من ضمن المجموعة. نحو: على رابع أربعة من الخلفاء الراشدين (أي: أنه واحد منهم، بغض النظر عن ترتيبه منهم، كما تقول: أبو بكر رابع أربعة من الخلفاء الراشدين).

ويمكن أن تستعمل في العربية هذه الصيغة بطريقة ترتيبية، وذلك بإضافة العدد إلى العدد الأقل منه، فيفيد الترتيب، نحو: علي رابع ثلاثة من الخلفاء الراشدين (فالمعنى أن ترتيبه: الرابع)، وتقول: عثمان ثالث اثنين من الخلفاء الراشدين (فالمعنى أن ترتيبه الثالث). وعليه فهذه الصيغة تفيد ترتيب العدد، ولكنها لا تفيد عدد المجموعة.

أما الصيغة الأولى (عثمان رابع أربعة من الخلفاء الراشدين)، فلا تفيد الترتيب، ولكنها تفيد عدد المجموعة (فهم أربعة).

قال تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ } (سورة المجادلة ٧). أي ما تكون مجموعة ثلاثة مثلا، إلا ورابعهم الله، أي: يصير رابعهم، ولا خمسة إلا صار سادسهم... والآية تبين معية الله لخلقه واطلاعه عليهم وعلمه التام بهم.

ثالثاً: المصاحبة (المفعول معه)

في العربية يستخدم المفعول معه، للمصاحبة بين حدث وشيء آخر متصل به، نحو: سرتُ والطريقَ (فأنت تسير في الطريق، فثمة اتصال بين الحدث والمكان)، ونحو: سهرت والنجمَ، (فكأن النجم صحبك في سهرك، فجعلت سهرك متصلا بالنجم، فهو اتصال توافقي)، ونحو: سافرت والفجرَ، (أي: أنك انطلقت مسافرا مع الفجر، فالاتصال هنا زماني بين الحدث والزمان)... وهكذا ثمة اتصال يربط بين الحدث وشيء ما.

والمفعول به، يكون مفردا منصوبا بعد واو المعية، وهو يتصل بالحدث بوجه من وجوه الاتصال. ولهذا لا نقول: سار عليٌ ومحمداً، فـ(محمد) شريك حقيقي، ومن ثم فإنك تجمع بينه وبين علي، جمع عطف، وليس جمع صحبة. بخلاف: سار علي والطريقَ، فالطريق لا يسير حقيقة، ولكنه يصحب السائرين بوصفه مكانا لهم.

المبحث الثاني: الجمع بين الشيء وأجزائه

الأصل في العربية أن الجمع يكون بين الشيء وشيء آخر عنه، كما سبق من أمثلة، فلا تقول: الكلمة والاسم والفعل والحرف؛ (فالاسم والفعل والحرف) من أقسام الكلمة ولا يصح أن تجمع بينها، ولكن يمكنك أن تقول: الكلمة تتألف من: الاسم والفعل والحرف.. فتقسم الكل إلى أجزائه...

ولكن المتكلم قد يجمع بين الشيء وأجزائه لعلة ما، ومن ذلك: بيان الغاية، أو التخصيص، أو التعميم... وقد يكون لاستثناء الجزء من الكل، والحديث عنه في باب الاستثناء.

١- تخصيص الجزء بعطفه على الكل، أو عطف الكل عليه:

وتستخدم الواو للعطف بين الجزء والكل إذا قصد به التعميم والتخصيص، كقوله: { مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ } (سورة البقرة ٩٨)، فجبريل وميكال من الملائكة، وقد خصصهما بالذكر. وقد يسبق الخاص، كقوله: { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ } (سورة الحجر ٨٧)، فالسبع المثاني من القرآن، فعطف العام على الخاص، بعد أن خص الجزء بالذكر.

ومن أمثلة هذا العطف: { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } (سورة البقرة ٤٧ – ١٢٢)، فتفضيل الله لهم من نعمته عليهم.

وقوله: { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا } (سورة القدر ٤)، فالروح هو جبريل، وهو من الملائكة.

٢- تخصيص الجزء بأسلوب: ولا سِيَّما

في العربية تأتي (ولا سيما)، لتخصيص جزء من كل، فهي بمعنى: أخص بالذكر، نحو: أحب الصالحين ولا سيما الصادقَ. فقولك: أحب الصالحين، يشمل عامة الصالحين وما يتصفون به، ومنهم: الموفون بالعهد، البارون بوالديهم، المساعدون لغيرهم... إلخ، فخصصت بالذكر منهم: الصادق، فنصيبه من الحب أكبر من غيره، . فالغرض من المجيء بـ(ولا سيما) إفادة أن ما بعدها وما قبلها مشتركان في أمر واحد، ولكن نصيب ما بعدها أكثر وأوفر من نصيب ما قبلها، ولهذا يؤتى بـ(لا سيما) لتخصيصه، وتأكيده، وإبراز معناه.

ونحو: أتابع الأخبارَ ولا سيما العلميةَ. اقتنيت حيوانات أليفة كثيرة ولا سيما قطة.

الصيغة:

يلي (لا سيما) اسم نكرة أو معرفة، يجوز فيه ثلاثة أوجه: الرفع والنصب والجر. ويصح مجيء الحال بعدها، نحو: أخاف الأسد ولا سيما وهو غاضب، وقد تقع الجملة الشرطية بعدها، نحو: النمر غادر ولا سيما إن أبصر عدوه. وقوله:

ويشتم أعلام الأئمة ضلة ولا سيما إن أولجوه المضايقا

**

ويصح أن تقول: نحتقر الأشرار لا سيَّما الكذابَ (بلا واو).

**

٣- بيان الغاية بـ(حتى):

تأتي (حتى) للدلالة على أن المعطوف بلغ الغاية في الزيادة أو النقص، فكأن المعطوف تحقق كله حتى آخر جزء فيه، نحو: قابلت أهل المدينة حتى رئيسَها. فالرئيس جزء من أهل المدينة، والمتحدث يبين أنه قابل الجميع، حتى رئيس المدينة قابله، ونحو: قابلت أهل المدينة حتى عمالَ النظافة. فالمثال الأول تدرج نحو الزيادة، والمثال الثاني تدرج نحو النقصان.

ولا يعطف بـ(حتى) إلا المفردات، ومن الأمثلة أيضاً: استخدمت وسائل الانتقال حتى الطيارةَ.

وقد اشترط النحاة لهذا العطف أن يكون المعطوف بعضا حقيقيا من المعطوب عليه، أو شبيها بالبعض، أو بالتأويل. فمثال البعض الحقيقي: بالرياضة تقوى الأعضاء حتى الرجل، ومثال الشبيه بالبعض: أعجبني العصفور حتى لونه، ومثال البعض بالتأويل: تمتعت الأسرة بالعيد حتى طيورها.

٤- الاستثناء بـ(أدوات الاستثناء):

نحو: جاء القوم إلا خالداً، فخالد جزء من القوم، فجمعت بين الجزء والكل لتستثنيه منها. والحديث عنه في باب الاستثناء.

المبحث الثالث: التسوية والتشبيه بين الأشياء

أولا: التسوية بين الأشياء

هناك عدة أساليب للدلالة على التسوية بين الأشياء، ومنها:

١- التسوية بألفاظ التسوية

سواء أفعالا كانت، كلفظ (يساوي)، أو (يماثل)، أو أسماء، نحو: مثل. نحو: هند مثلُ أختِها، العشرة تساوي خمستين، هذا يماثل ذاك. وما بعد (مثل) مضاف إليه مجرور، وما بعد الفعل: مفعول به منصوب.

٢- التسوية بلفظ: يستوي

ويأتي الشيئان بعد الفعل متعاطفين، نحو: هل يستوي هذا وذاك، استوى عندي قعودك وذهابك. أو بصيغة التثنية، كقوله: { وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ } (سورة فاطر ١٢).

وقد يكون الغرض نفي التسوية، نحو: ما يستوي هذا وذاك، ومنه قوله: { قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ } (سورة المائدة ١٠٠)، وقوله: { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ } (سورة الحشر ٢٠). وقد تأتي (لا) مع المعطوف، كقوله: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } (سورة فاطر ٢٢)

٣- أسلوب: سواء

يأتي أسلوب (سواء) للدلالة على التسوية في الحكم بين الأشياء المختلفة، ولها عدة صور:

الصورة الأولى: سواء أكذا أم كذا

فتأتي همزة الاستفهام مع الشيء الأول، و(أم) مع الشيء الثاني، ويكون الشيئان متباينين، والمتكلم يبين أنه بالرغم من تباينهما فإنهما مستويان في الأثر، كقوله: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (سورة البقرة ٦)، فالإنذار وعدمه متباينان، ولكن أثرهما واحد، وهو أنهم لا يؤمنون. وقوله: { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } (سورة الأعراف ١٩٣). و(أم) تسمى: متصلة.

ولا بد أن يأتي الشيء الأول بعد الهمزة، والشيء الثاني بعد (أم)، فتقول: سواء أحسيا كان الأمر أم معنويا (ومن الخطأ القول: سواء أكان الأمر حسيا أم معنويا).

الصورة الثانية: سواء كذا وكذا

فتخلو من الهمزة و(أم)، وتدخل الواو مع المعطوف. كقوله: { سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } (سورة الرعد ١٠)، وقوله: { سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ } (سورة الحج ٢٥). ويبين استواء الشيئين في الحكم. ومنه قوله: فليس سواء عالم وجهول.

وفي كلتا الصورتين يكون الاسم بعد (سواء) فاعل مرفوع، ولو كان جملة فإنها تؤل بالمصدر.

٤- أسلوب (ما أبالي)

التسوية بالهمزة و(أم):

قد يستخدم للتسوية الهمزة و(أم)، بعد لفظ (ما أبالي)، نحو: لا أبالي أتكلمت أم سكتّ.

ثانياً: التشبيه بين الأشياء

هناك عدة أساليب للدلالة على تشبيه الأشياء بعضها ببعض، ومنها:

١- التشبيه بالكاف

ويليها المشبه به، نحو: وجه فاطمة كالقمر. والكاف حرف جر، والاسم الذي يليها مجرور. ومنه قوله: { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ } (سورة النحل ٧٧). وكقوله: { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ } (سورة إبراهيم ١٨).

٢- التشبيه بـ (كأن)، (كأنما):

(كأنّ):

ويليها المشبه ويكون اسماً منصوباً، نحو: كأن وجهَ فاطمة قمرٌ. والأصل أن تدخل (كأن) على الجملة الاسمية، فيكون الغرض تشبيه المبتدأ بالخبر، فيكون الاسم بعدها منصوبا، ويكون الخبر مرفوعا، نحو: كأن محمدا أسد. (أي: محمد يشبه الأسد). وكقوله: { وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} (سورة النمل ١٠)، وقوله: { تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ } (سورة القمر ٢٠).

(كأنْ):

(كأنْ) مخففة النون، وتليها جملة فعلية غالباً، ولم تأت في القرآن الكريم إلا داخلة على جملة فعلية منفية بـ(لم)، كقوله: { فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ } (سورة يونس ٢٤)، وقوله: { الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} (سورة الأعراف ٩٢)، وقوله: { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ} (سورة يونس ٤٥).

وقد تدخل على جملة فعلية مثبتة، مسبوقة بـ(قد)، نحو: كأنْ قد هوى الغريق في البحر كصخرة هوت في الماء.

(كأنّما):

أما (كأنما) فتدخل على الفعل، كقوله: { يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ } (سورة الأَنْفال ٦)، وقوله: { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } (سورة الحج ٣١).

٣- التشبيه بألفاظ التشبيه:

وهناك ألفاظ دالة على التشبيه، قد تكون أسماء، أو أفعالا، نحو: شبه، يشبه، نظير، مثيل، شبيه... نحو: محمد شبيه القمر، وزيد نظير محمدٍ... إلخ.

٤- التشبيه دون أداة:

ومن أساليب التشبيه في العربية، المجيء به دون أداة، ويفهم من السياق، نحو: محمد أسد. فالإخبار هنا أفاد التشبيه. ويسميه البلاغيون: التشبيه البليغ، كقول الشاعر يصف حسناوات:

سَفَرْنَ بُدُوراً، وانْتَقَبْنَ أَهِلَّةً ومِسْنَ غُصُوناً، والْتَفَتْنَ جَآذِراً

٥- التشبيه بالاستعارة:

ومن التشبيه بين الشيئين، إيراده مع حذف المشبه أو المشبه به، وكأن المتكلم يدعي أن المشبه عين المشبه به، فبدلا من أن تقول: محمد أسد (وهذا تشبيه)، تقول: اليوم قابلت أسدا فصافحته. ونحو: أكل الدهر علينا وشرب (فأنت شبهت الدهر بآكل، ثم نسبت الفعل إلى الدهر مباشرة).

وللتوسع في مبحث التشبيه والاستعارة يرجع إلى كتب البلاغة.

المبحث الرابع: التفريق بين الأشياء

أولا: التقسيم والتفصيل

مفهوم التقسيم:

التقسيم أن يضع المتكلم أقساما فيستوفيها ولا يغادر قسما منها، والمراد باستيفاء التقسيم ما يحتمله الواقع والممكن فقط، ولا يشترط استيفاء القسم الفعلية. كقوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ } [الشورى: ٥١]، وقوله: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } [الشورى: ٤٩-٥٠]. وقول الشاعر:

فـــإن الحـــق مقطعـــه ثـــلاث يمين، أو نفار، أو جلاء

وقول الآخر:

والمـــرء ســـاع لأمـــر لـــيس يدركـــه والعيش شح وإشفاق وتأميل

فلاحظ حسن ترتيبه واستيفائه، فالشح يكون بما ادخرته في الماضي حتى لا ينقص منه شيء، والإشفاق على ما في يدك من الضياع أو ما تشتغل الآن بتحصيله، والتأميل لما ليس في يدك أو ترجوه في المستقبل.

هذا والتقسيم يكون في الجمل الخبرية والإنشائية، وقد يأتي بعد إجمال، نحو: الكلمة ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف، وقد لا يأتي كذلك، نحو: الكلمة اسم وفعل وحرف.

وله أساليب:

١- الأسلوب الأول: استخدام (أو)

نحو: الكلمة: اسم أو فعل أو حرف، (بمعنى أن هذه أقسام الكلمة)، ونحو: لقيت ثلاثة فسألتهم: أي الأعمال أفضل للشباب ؟ فقالوا: أفضلها الزراعة أو التجارة أو الصناعة. [وتقدير التفصيل أن هناك مزارعا وتاجرا وصانعا. فقال المزارع: أفضلها الزراعة، وقال التاجر أفضلها التجارة، وقال الصانع أفضلها الصناعة]

ومنه قوله تعالى: { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا} [البقرة: ١٣٥]، (أي: قالت اليهود كونوا هودا تهتدوا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا).

**

٢- الأسلوب الثاني: باستخدام (إما ... وإما)

كقوله تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } [الإنسان: ٣].

٣- الأسلوب الثالث: باستخدام الواو

وهو قليل، نحو: الكلمة: اسم وفعل وحرف، وكقوله تعالى: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا } [الشورى: ٤٩-٥٠]، وقوله: { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } [آل عمران: ١٩١][(١)].

---

(١) حالة الذكر أفضلها القيام ثم القعود ثم الاضطجاع، كما جاء في الآية، وقارن مع قوله تعالى: { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا } [يونس: ١٢]، فعكس الترتيب هنا؛ لأنه إذا أقعد الإنسان المرض، ومسه الضر فإن أشد أنواع الضر ما ينيم صاحبه على جنبه وأوسطها ما يقعده، وأدناه ما لا يحول بينه وبين القيام، فالترتيب هنا من الشدة في الضر إلى الأخف منه.

٤- الأسلوب الرابع: باستخدام (إنْ)

وتدخل بين جزئي جملة شرطية، وما بعد (إنْ) يكون معمولا لفعل الشرط[١]، نحو: مَنْ يجاملْني – إنْ صديقٌ وإنْ عدوٌ – أجاملْه، ونحو: ما تقرأْ – إنْ جيداً وإنْ رديئاً – تتأثرْ به، ونحو: متى تزرْني – إنْ غداً وإنْ بعدَ غد – أسعدْ بك، ونحو: حيثما تجلسْ – إنْ فوقَ الكرسي وإنْ فوقَ الأريكة – تسترحْ.

فتقدير التفصيل، كأنك تقول: (إن يجاملني صديق أجامله، وإن يجاملني عدو أجامله أيضا.

٥- الأسلوب الخامس: استخدام (أما ... وأما)

وهذا أسلوب من أساليب التفصيل عند العرب[٢]، ومع دلالتها على التفصيل فإنها تدل على التأكيد أيضا، فلو قلت: محمد عالم، فلقد أثبت له علماً، فإن أردت تأكيداً قلت: أما محمد فعالم. ولاستخدامها صور:

الصورة الأولى:

أن تأتي بعدها جملة اسمية يلزم في خبرها الفاء[١]، نحو: أما محمد فكريم، وأما زيد فبخيل، ومن الأمثلة قوله تعالى: { إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا

---

[١] يجعل بعض النحاة ما بعد (إنْ) بدلا من أداة الشرط بجعلها اسما، ولا داعي لهذا الإعراب، فالأصل أن أدوات الشرط لا تعرب.

[٢] يقول النحاة أن (أما) تدل على معنى الشرط، فتنوب عن أداة الشرط وفعله، ولهذا تلزم الفاء بعدها، فنحو: أما زيد فمسافر، تقديره: مهما يكن من شيء فزيد مسافر. ثم بعد ذلك يعربونها بأن (أما): نائبة عن (مهما يكن من شيء)، وزيد: مبتدأ، فمسافر، مسافر: خبر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب (أما) النائبة عن (مهما)، والفاء: رابطة للجواب، وزحلقت من المبتدأ إلى الخبر.

وهذا التقدير فيه تعقيد وتمحل لا حاجة بنا إليه، فيكفي أن نعرف أن هذا الأسلوب يدل على التفصيل، ولا وجه لحمله على الشرط، ولا لذلك التقدير. ونعربها كما يلي: (أما) أداة دالة على التفصيل والشرط، زيد: مبتدأ، ف: حرف لربط الجملة بعد (أما)، مسافر: خبر.

الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا } [البقرة: ٢٦]، وقوله: { يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ } [يوسف: ٤١]، وقوله: { أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى } [عبس: ٥ – ١٠][٢]. وكقول الشاعر:

ولـــم أر كـــالمعروف أمـــا مذاقـــه فحلو وأما وجهه فجميل

وقول الآخر:

قتيل من الأشواقِ أمّا نهارُه فباكٍ وأمّا ليلُه فأنينُ

وقد يتقدم الخبر، نحو: أما كريمٌ فالعربي، وأما في البادية فالشجاعة.

الصورة الثانية:

أن تليها جملة شرطية، دون جوابها، فيغني جواب (أما) عن جواب الشرط، وتدخل الفاء، كقوله تعالى: { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ

---

[١] إذا كان الخبر مقولا، فتحذف الفاء والمقول، كقوله تعالى: { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: ١٠٦]، أي: فيقال لهم أكفرتم. وفي غير ذلك فحذفها قليل، كما في الحديث: (أما بعد، ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله)، ولو اطرد لقال: فما بال رجال، وقوله للأنصار: (قلتم: أما الرجل قد أخذته رأفته بعشيرته)، ولو اطرد لقال: أما الرجل فقد أخذته... وقال البراء: (أما رسول الله لم يفر).

[٢] وقد لا يرد ذكر التفصيل، فيقدر؛ لأنه مفهوم من السياق، كقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } [النساء: ١٧٤ – ١٧٥]، أي: وأما الذين كفروا فجزاؤهم كذا وكذا. وتقول: الناس معادن فأما أنفسها فالأخيار. أي: وأما أخسها فالأشرار.

أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ } [الواقعة: ٨٨ – ٩٣]، وكقول عمر بن أبي ربيعة:

رأتْ رجــلاً أمــا إذا الشــمسُ عارضــتْ فَيَضْحَى وأَمَّا بالعَشيِّ فَيَخصرُ

وقول ابن الرومي:

ألا حبذا الأعمال في كل حالةٍ إذا كان منها وجهُ نفعٍ مُيَسَّر
فأمــا إذا كَــدَّتْ وأكْــدتْ علــى الفتــى فما هي بالمعروف بل هي منكر

الصورة الثالثة:

أن تليها جملة فعلية، على أن يتقدم المفعول به، والفعل يلي الفاء، كقوله تعالى: { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ } [الضحى: ٩ – ١١]، وكقول لبيد:

فتــىً كــانَ أمّــا كُــلَّ شــيء ســألْتَهُ فيعطي وأمّا كلَّ ذنبٍ فيغفِرُ

الصورة الرابعة:

أن تليها شبه جملة، إما ظرف، أو جار ومجرور، ثم تأتي بعد الفاء جملة، نحو: أما اليوم فالعلم سلاح، وأما في القتال فالسلاح الإيمان، ونحو: أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله. وقد تلحق شبه الجملة جملة دعائية: أما الآن– حفظك الله– فأنا مسافر، ونحو: أما في بلدنا– صانها الله– فالأحوال طيبة[1].

---

[1] ملاحظتان:

الأولى:تختلف (أما) هذه عن (أما) المركبة من (أن) المصدرية و(ما) التي تأتي عوضاً عن (كان)، كما في قوله:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

(أي: لأن كنت ذا نفر)،

***

٦- الأسلوب السادس: استخدام (... وأما)

وهذا من الأسلوب السابق إلا أنه لا يرد ذكر (أما) في البدء، بل تأتي جملة تدل على التفصيل فتغني عن (أما) الأولى، ثم يأتي لفظ (وأما) ويكون ما بعدها كما بعد (وأما) السابقة. كقول ابن هانئ الأندلسي:

ولـــــيسَ النَّـــــواظرُ إلاّ القلـــــوبُ وأمّا العيونُ ففِيها العمى

وقول بهاء الدين زهير:

ولـي صـبوةُ العشـاقِ فـي الشـعرِ وحـده وَأمّا سِواها فهيَ منيَ طالِقُ

وقوله:

إذا لـــم يكـــنْ إلا تحمـــلُ منـــةٍ فمنكَ وأما من سواكَ فلا ولا

وقول جميل بثينة:

بعيـدٌ علـى مـن لـيسَ يطلـبُ حاجـةً وأمّا على ذي حاجةٍ فقريبُ

والثانية: للتفريق بين (أما)، و(إما) نورد ما قاله الفخر الرازي: (إذا كنت آمراً وناهياً أو مخبراً فالهمزة مفتوحة، نحو: أما الله فاعبده وأما الخمر فلا تشربها، وأما الضيف فقد خرج، وإن كنت مشترطاً أو شاكاً أو مخيراً، فالهمزة مكسورة، كقوله: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال: ٥٧]، ونحو: لا أدري من قام إما محمد وإما علي، ونحو: لي في المدينة دار فإما أن أسكنها وإما أن أبيعها).

ثانياً: أسلوب التخيير

حيث تترك المخاطب يختار أحد المتعاطفين فقط ويقتصر عليه، دون الجمع بينهما، والتخيير يكون في الأساليب الطلبية. وللتخيير عدة أساليب، وهي:

١- الأسلوب الأول: أفعال التخيير:

الأول: الكلام باستخدام أفعال التخيير، نحو: أخيرك بين موز وبين تفاح، بمعنى: اختر واحدا منهما.

٢- الأسلوب الثاني: التخيير بـ(أو)، (إما)

نحو: تزوج هندا أو أختها، ونحو: تكلم بخير أو اسكت، وكقوله تعالى: { فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ} [البقرة: ١٩٦]، أي: فليقدم فدية من صيام أو صدقة أو نسك.

٣- الأسلوب الثالث: التخيير بـ (إما ... وإما)

التخيير بـ(إما) على أن تسبق بالواو، كقوله تعالى: { قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} [الأعراف: ١١٥]، وقوله: { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد: ٤].

٤- الأسلوب الرابع: التخيير بـ(إما ... أو)

نحو: إما أن يختارني محمد صديقا أو يعاديني. وكقول فاروق جويدة:

في هذا الزمن المجنونْ

إما أن تغدوَ دجالاً

أو تصبحَ بئراً من أحزانْ.

٥- الأسلوب الخامس: التخيير بـ(وإلا)

وله عدة صور:

الصورة الأولى: (إما ... وإلا)، كقول المثقب العبدي:

فإمـــا أن تكـــون أخـــي بصـــدق فـأعرف منـك غثـي مـن سـميني
وإلا فـــــاطرحني واتخـــــذني عـــــدوا أتقيـــــك وتتقينـــــي

الصورة الثانية: (افعل ... وإلا)، نحو: اسكت وإلا تكلم بخير، ومنه قول الشاعر الأندلسي:

أطيلـــي العويـــلَ معـــي والنحيبـــا وإلا دعينـــي أقاســـي الكروبـــا

وقول المعري:

فافعَلِ الخيرَ إن جَزاكَ الفتى عنه وإلاّ فاللَّـــهُ، بـــالخَيرِ، جـــاز

الصورة الثالثة: مجيء (إلا) بعد جملة شرطية، كقول الفرزدق:

إنْ تُنصِـفُونَا يـالَ مَـرْوَان نَقْتَـرِبْ إلَـــيكُمْ، وَإلاّ فـــأذَنُوا بِبِعَـــادِ

وقول المعري:

فـاذخَرْ لنَفسِـكَ خَيـراً كـيْ تُسَـرّ بـهِ، فـإنْ فعلـتَ، وإلاّ عـادَكَ النّـدَم

وقول أبي تمام:

فـإنْ نلـتُ مـا أملـتُ فيـكَ فـإنني جَـــديرٌ وإلاَّ فالرَّحِيـــلُ قَرِيـــبُ

الصورة الرابعة: (هكذا وإلا فلا)، وهذا الأسلوب عادة ما يأتي بعد جملة تفيد التعظيم من شأن ما يتحدث عنه المتكلم، كأن تسمع خطيبا يخطب، فتقول: هكذا وإلا فلا لا، ومنه قول المتنبي:

ذي المَعَـالي فلْيَعْلُـوَنْ مَـن تَعَـالى ... هَكَـــذا هَكَـــذا وَإلاّ فَـــلا لا

وقول ابن هانئ الأندلسي:

ولا تـــــرضَ إلاّ بعقـــــرِ الثنـــــاءِ ... ونَحْـــــرِ القَـــــوافي وإلاّ فـــــلا

وقول الآخر:

ألا هكـــذا تـــذكرُ الصـــالحاتُ ... وتبنـــى المعـــالي وإلا فـــلا

وقول محمود الجوهري:

فإمّـــا حيـــاةٌ حـــرّةٌ مســـتقيمةٌ ... تَليقُ بِشَعبٍ ذي كيان وسؤدُد
وإمّا مماتٌ ينتهَي الجهدُ عِندَهُ ... فتُعذَرُ ، فاختر أيَّ ثَوْبيَك ترتدي
وإلا فلا يُرجى نهوضٌ لأمّةٍ ... تقوم على هذا الأساس المهدَّد

ثالثاً: أسلوب الشك

ويكون في جملة خبرية، وله أساليب، منها:

١- الأسلوب الأول: استخدام (أو)

نحو: قضيت في السباحة ثلاثين دقيقة أو أربعين، وكقوله تعالى: { قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } [البقرة: ٢٥٩].

٢- الأسلوب الثاني: استخدام (إما ... وإما)

نحو: القوم إما خمسون وإما ستون. وكقول أبي تمام:

سأصبِرُ إمّا أنْ تَدورَ صُرُوفُها عليّ، وإمّا تَستَقيمُ أُمُورُها

٣- الأسلوب الثالث: استخدام (إما ... وإلا)

كقول ابن الرومي:

هي النفسُ إما أن تعيش عزيزةً وإلا فغنمٌ أن تزولَ زوالَها

رابعاً: أسلوب الإبهام بين الشيئين

والمراد أن يخفي المتكلم عن المخاطب حقيقة الأمر، إما رغبة في عدم إثارته أو إقلاقه، وإما عدم إرادة إخباره، وإما لغير ذلك.

– كمن يسأل: متى تسافر لأشاركك؟ فإذا كنت لا ترغب في مصاحبته أجبت: قد أسافر يوم الخميس أو الجمعة. وللإبهام أساليب:

١– الأسلوب الأول: استخدام (أو)

كقوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ } [يونس: ٥٠]، وكقوله: { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [سبأ: ٢٤]. والإبهام هنا من باب الإنصاف، حيث تقول لخصمك وأنت على يقين من كذب دعواه: إما أنا أو أنت على حق.

٢– الأسلوب الثاني: استخدام (إما ... وإما)

كقوله تعالى: { وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ }[التوبة: ١٠٦]، وقوله: { حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا } [مريم: ٧٥].

المبحث الخامس: أساليب التعليل

الجملة المشتملة على تعليل، تتركب من ثلاثة أجزاء: السبب، والنتيجة، وأداة التعليل.

قد يتقدم السبب على النتيجة، وقد تتقدم النتيجة، بحسب غرض المتكلم. وأداة التعليل الأساس للسبب هي: (اللام)، والأداة الأساس التي تصحب النتيجة هي: (الفاء).

السبب	الأداة	النتيجة
محمد مجتهد	ف	أكرمه
ذاكرْ	ف	تنجح

في هذه الجمل جاء السبب أولا، ثم النتيجة ثانياً، وقد دخلت الفاء على النتيجة.

ولاحظ الأمثلة التالية:

النتيجة	الأداة	السبب
أكرمت محمدا	ل	اجتهاده
نجحتَ	ل	أنك ذاكرتَ

في هذه الجمل جاءت النتيجة أولاً، ثم السبب ثانياً، فدخلت اللام على النتيجة.

يتبين أن أساليب التعليل في اللغة العربية ترجع إلى هاتين الأداتين، الداخلة على السبب (اللام وأخواتها)، والداخلة على النتيجة (الفاء).

سأتناول المبحث في مطلبين، الأول: التعليل باللام (السبب)، والثاني: التعليل بالفاء (النتيجة). وثالثاً: أتحدث عن التعليل الخيالي، كما هو لدى البلاغيين.

ولا بد من التفريق بين التعليل والاستدلال،

فالتعليل أن يبين المتكلم سبب حدوث الشيء، أو نتيجته، إثباتا أو نفيا، سواء في الإخبار أو الطلب. (فهو في جواب: ما السبب؟ أو: ما نتيجة السبب؟).

أما الاستدلال، فهو الإتيان بدليل ومدلول عليه، والدليل هو الحجة؛ حيث يأتي المتكلم بقول أو قرينة أو نحوه، يدل به على أمر آخر، فقد يستدل بالدليل على صحة كلامه، أو بطلان كلام غيره. (فهو في جواب: ما دليلك على ما تقول؟).

والمتكلم قد يستخدم ألفاظ وأساليب التعليل للاستدلال، وقد لا يفعل.

فمثلا: (الصلاة واجبة). هذه جملة إخبارية، فلو قال المتكلم: الصلاة واجبة؛ لأن الله أمر بها [فهو يستدل على وجوبها بأمر الله، ويستخدم أسلوب التعليل: لأنّ]، وقد يقول: الصلاة واجبة والدليل قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)، فقد استدل دون استخدام أسلوب التعليل[1].

وقد يقول: [قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)؛ فالصلاة واجبة]، فقدم الدليل، ثم أتبعه بمدلوله.

---

[1] ومن الاستدلال ما يبحثه البلاغيون في البيان، تحت مسمى: التشبيه بالتمثيل (التشبيه الضمني)، حيث يؤتى بجملة تشبيهية، مسوقة مساق التعليل لما تقدم من حكم، وتقترن بالفاء غالبا وقد لا تقترن، كقول البارودي:

فانهض على صهوات المجد معتليا ... فالباز لم يأو إلا عالي القلل

ودع من الأمر أدناه لأبعده ... في لجة البحر ما يغني عن الوشل

فقوله: (فالباز...) هي جملة تعليلية للأمر الذي سبق جاء، وجاء بالتعليل على وجه التشبيه، وكذلك في الشطر الثاني من البيت الثاني (في لجة) جملة تعليلية تشبيهية، ولكنها خلت من الفاء، ويصح لولا الوزن (ففي لجة البحر).

ولأبي تمام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... فالسيل حرب للمكان العالي

وللمتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

أولا: التعليل باللام (السبب)

اللام تدخل على السبب، نحو: جئت لإكرامك. وبتحليل أساليب استخدام في اللغة العربية، وبدائلها، يمكن القول إن اللام تدخل إما على اسم مفرد (صريح، أو مصدر مؤول)، وإما على جملة مبدوءة باسم، أو فعل ماض، أو فعل مضارع.

أمثلة:

- اسم مفرد:
  - صريح: أكرمتك لاجتهادِك.
  - مصدر مؤول: لقد فزتَ لِمَا اجتهدتَ [أي: لاجتهادك].
- جملة:
  - مبدوءة باسم: أكرمت زيداً؛ لأنه مجتهد [الجملة: هو مجتهد].
  - مبدوءة بفعل ماض: فاز زيدٌ؛ لأنْ كان مجتهدا [الجملة: كان مجتهداً]
  - مبدوءة بفعل مضارع: جئت لأكرمَك.

وتلحظ في هذه الأمثلة أن اللام تدخل مباشرة على بعضها (الاسم المفرد الصريح أو الفعل المضارع)، وبعضها لا تدخل عليه اللام مباشرة، وإنما يكون هناك (موصل تعليلي)، وهو الحرف الذي يوصل اللام إلى الاسم أو الفعل، مثل (ما) في المثال الثاني، و(أنّ) في المثال الثالث.

كما تلاحظ في الأمثلة السابقة إمكانية الإتيان ببعض البدائل للام، مثلاً، في المثال الثاني يمكنك أن تقول: (لقد فزتَ بما اجتهدتَ)، فالباء بديل للام.

ويمكن وضع هذا الجدول، لبيان مختلف الصور، والموصلات التعليلية، والبدائل الممكنة:

صيغة السبب		المثال	التعليل باللام	الموصل التعليلي	البدائل
مفرد	(صريح)	١/ أكرمتك لاجتهادِك	ل		
		٢/ جئت إكراماً لك			حذف اللام ونصب المصدر
		٣/ أحببتك من اجتهادِك ٤/ أكرمتك باجتهادِك ٥/ لمته في تقصيرِه ٦/ كافأتك على اجتهادِك ٧/ جئتك عن طلبٍ منك			مِنْ ب في على عن
	(مؤول بالمصدر)	٨/ فزتَ لِما اجتهدتَ	ل + ما		
		٩/ فاز زيد مما يجتهد ١٠/ فزتَ بما اجتهدتَ ١١/ فزتَ فيما اجتهدتَ ١٢/ فزتَ على ما اجتهدت		ما	من ب في على
جملة	مبدوءة باسم	١٣/ أكرمت زيداً؛ لأنه مجتهد	ل + أنّ	أنّ	
		١٤/ أكرمت زيداً؛ بأنه مجتهد			ب
	مبدوءة بفعل ماض	١٥/ فاز زيد؛ لأنْ كان مجتهداً	ل + أنْ	أنْ	–
		١٦/ فاز زيدٌ؛ أنْ كان مجتهداً			– حذف اللام.
	مبدوءة بفعل مضارع	١٧/ جئت لأكرمَك	ل		
		١٨/ جئت لأنْ أكرمَك ١٩/ جئت أنْ أكرمَك	ل + أنْ	أنْ	– – حذف اللام
		٢٠/ جئت لئلا أؤذيَك ٢١/ جئت أنْ لا أؤذيَك ٢٢/ جئت أن أؤذيَك	ل + أنْ +لا	أنْ	– – حذف اللام – حذف اللام و(لا)
		٢٣/ جئت كي أكرمَك ٢٤/ جئت حتى أكرمَك ٢٥/ لأتوبنّ أو يغفرَ الله لي			كي[+ لكي] حتى أو
		٢٦/ أكرم زيدا، فإنه مجتهد ٢٧/ أكرم زيدا؛ إنه مجتهد	ف		ذكر الفاء أو حذفها

رقمت الأمثلة، ليسهل الإحالة إليها، ومن خلال هذه الأمثلة يتبين أن ثمة سبعاً وعشرين حالة ممكنة للتعليل بذكر السبب في اللغة العربية. وسأعرض بعض الأمثلة على الحالات المذكورة في الجدول:

١- السبب المفرد الصريح:

(الأمثلة ١ – ٧).

(١) أكرمتك لاجتهادِك

تدخل اللام مباشرة على الاسم المفرد، نحو: جئت لمصلحتك، وكقوله: { وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ } (سورة العاديات ٨)، وقوله: { وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ } (سورة الأنبياء ٨٠)، أي: لأجلكم. وقوله: { وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } (سورة هود ١١٩)، وقوله: { وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ } (سورة الرحمن ١٠).

(٢) جئت إكراماً لك

يصح حذف اللام، إذا كان الاسم الدال على التعليل مصدرا قلبيا، ويسميه النحاة (المفعول لأجله) ويكون منصوباً، كقوله: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } (سورة الإسراء ٣١)، فـ(خشية) تعليل متعلق بالحكم، أي: لا تقتلوا أولادكم لأجل خشية الإملاق. وكقوله: { وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ} (سورة البقرة ٢٠٧)، وقوله: { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ } (سورة التوبة ١٠٧)، فـ(إضرارا) مفعول له، وعطفت عليه مصادر أخرى، كلها تبين سبب اتخاذهم المسجد.

***

(٣) أحببتك من اجتهادِك

(٤) أكرمتك باجتهادِك

(٥) لمته في تقصيرِه

(٦) كافأتك على اجتهادِك

(٧) جئتك عن طلبٍ منك

هذه حروف الجر الخمسة تمثل بدائل اللام، فتدخل على الاسم المفرد الذي يكون سببا، كما في الأمثلة المذكورة.

ومن أمثلتها:

(مِنْ): نحو: مِنْ سعيك نلتَ مرادك، وكقوله: { يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ} (سورة البقرة ٢٧٣)، وقوله: { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ } (سورة الأنعام ١٥١)، وقوله: { وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ } (سورة القصص ٧٣).

(الباء): كقوله تعالى: { فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ } (سورة العنكبوت ٤٠)، أي بسبب ذنبه، وقوله: { فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيرًا} (سورة النساء ١٦٠). وقد تزاد (ما) بعد (من)؛ لزيادة التأكيد على السببية، كقوله: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ } (سورة آل عمران ١٥٩) ، وقوله: { فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } (سورة المائدة ١٣).

(في): كقوله: { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } (سورة المائدة ٩١)، وكقوله تعالى: { قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ } (سورة يوسف ٣٢) ، أي: بسببه.

(على): نحو: كافئ المحسن على إحسانه، ولا تؤاخذ فلانا على إساءته.

(عنْ): نحو: كافئ المحسن عن إحسانه، ولا تؤاخذ فلانا عن إساءته. وكقوله: { وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ } (سورة التوبة ١١٤)، أي: بسبب موعدة، وقوله: { قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ } (سورة هود ٥٣)، أي: بسبب قولك.

٢- السبب المفرد المؤول بـ(ما):

الأمثلة (٨-١٢)، وغالباً ما يأتي الفعل ماضياً، وقد يأتي مضارعا، والموصل التعليلي (ما) المصدرية، فتؤول مع الفعل الذي يليها بمصدر. وتدخل اللام مع بدائلها السابقة على المصدر المؤول.

(٨) فزتَ لِما اجتهدتَ

تأويل المصدر: فزت لاجتهادك، وتقول: بلغ غايته لما سهر في الليل والنهار [أي: لسهره في الليل والنهار].

(٩) فاز زيد مما يجتهد

(١٠) فزتَ فيما اجتهدتَ

(١١) فزتَ على ما اجتهدت

(١٢) فزتَ بما اجتهدتَ

هذه الحروف تمثل بدائل للام، وتدخل على (ما) المصدرية، فتؤول الجملة بعدها بالمصدر.

مِنْ: كقوله: { وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ } (سورة النمل ٧٠)، أي: من مكرهم.

الباء: كقوله: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } (سورة الشورى ٣٠)، وقوله: { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } (سورة الأعراف ١٦)، وقوله: { ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } (سورة البقرة ٦١)، وقوله: { سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ } (سورة الرعد ٢٤). وجاء الفعل مضارعا في قوله: { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } (سورة سبأ ٥٠).

في: كقوله تعالى: { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا } (سورة المائدة ٩٣) ،

أي: بسبب طعامهم، وكقوله: { لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (سورة الأَنْفال ٦٨) ، أي: بسبب ما أخذتم، وكقوله: { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ } (سورة الأحزاب ٥).

على: كقوله تعالى: { وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ } (سورة البقرة ١٨٥)، أي: بسبب هدايته لكم.

***

٣- الجملة المبدوءة باسم:

الأمثلة (١٣-١٤)

(١٣) أكرمت زيداً؛ لأنه مجتهد

(١٤) أكرمت زيداً؛ بأنه مجتهد

نحو: أكرمت زيداً؛ لأنه مجتهد، الجملة الأصلية (هو مجتهد)، فجيء بـ(أنّ)، وهي حرف موصل، كما بينت هذا من قبل، فأدخلنا لام التعليل عليها، فصارت (لأنّ).

والجملة: (الناس يحبونك). إذا عللت بها جملة أخرى، نحو: (الناس يأتون إليك)، فستقول: يأتيك الناس لأنهم يحبونك.

والغالب في هذا القسم مجيء (بأنّ)، ولم ترد (لأنّ) في القرآن الكريم.

(بأنّ): كقوله تعالى: { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا } (سورة البقرة ٢٧٥)، وقوله: {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} (سورة البقرة ٦١)، وقوله: { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } (سورة المائدة ٥٨).

**

٤- الجملة المبدوءة بفعل ماض:

الأمثلة: (١٥-١٦)

(١٥) فزتُ؛ لِأنْ كنتُ مجتهداً

(١٦) فزتُ؛ أنْ كنتُ مجتهداً

تدخل اللام على الجملة المبدوءة بفعل ماض أو مضارع، و(أنْ) هو الموصل الحرفي. وسأتناول في هذه الفقرة الفعل الماضي فقط. نحو: أتتكبر لأنْ آتاك الله مالا؟! أي أتتكبر بسبب أن آتاك الله مالا.

وقد تحذف اللام، ويكتفى بالموصل الحرفي (أنْ).

فمن أمثلة دخوله على الماضي:

قوله تعالى: { كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } (سورة العلق ٦ – ٧)، فطغيانه بسبب أن رأى نفسه مستغنيا عن ربه. وكقوله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ } (سورة البقرة ٢٥٨)، وبيان الآية: أنه حاج إبراهيمَ في الكفر بسبب أن آتاه الله الملك، وكقوله: { وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ } (سورة القلم ١٠ – ١٤)، وكقوله: { ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ } (سورة الروم ١٠)، فالسبب الذي جعل عاقبتهم هي السوأى هو تكذيبهم بآيات الله واستهزاؤهم بها.

وأتناول الفعل المضارع في الفقرة التالية.

***

٥- الفعل المضارع المثبت (بعد اللام):

الأمثلة (١٧-١٩)

(١٧) جئت لأكرمَك

(١٨) جئت لأنْ أكرمَك

(١٩) جئتُ أنْ أكرمَك

(١٧)

تدخل اللام على الفعل المضارع مباشرة، فينتصب بعدها، كقوله تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ } (سورة النساء ١٠٥)، وكقوله: { أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } (سورة إبراهيم ١٠).

(١٨)

وقد تدخل على الفعل المضارع مع الموصل الحرفي (أنْ)، فينتصب الفعل المضارع بعدها، نحو: قلتُ هذا لأن أقيم عليك الحجة. وهو قليل، ولم يأت في القرآن الكريم، ويحتمل التعليل في قوله: { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} (سورة الزمر ١٢).

وإذا كانت الجملة السابقة منفية، نحو: ما جئت لأكرمَ زيداً، فإن النفي يتسلط على السبب، فهي تدل على أمرين، الأول: أنك جئت، والثاني: أن سبب مجيئك ليس إكرام زيد، بل هناك سبب آخر، ولذلك تقول: ما جئت لأكرمَ زيداً بل لأضربه. ونحو: ما سافرت لأضيعَ وقتي.

(١٩)

وقد تحذف اللام، ويكتفى بالموصل الحرفي (أنْ)، كقوله تعالى: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ} (سورة غافر ٢٨). أي: أتقتلون رجلا لأن يقول ربي الله.

**

٦- الفعل المضارع المنفي (بعد اللام):

الأمثلة (٢٠-٢٢)

(٢٠) جئت لئلا أؤذيَك

(٢١) جئت أنْ لا أؤذيَك

(٢٢) جئت أن أؤذيَك

(٢٠)

إذا كان التعليل بالمضارع المنفي، فإنك تنفي الفعل المضارع بأحد حروف النفي، ثم تدخل اللام، مع الموصل الحرفي (أنْ)، نحو: جئت لئلا أؤذيك [اللام + أنْ + لا]. ومنه قوله: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } (سورة النساء ١٦٥).

(٢١)

وهناك أسلوب ثانٍ، وهو: عدم المجيء لام التعليل، بل الاقتصار على الحرف الموصل (أنْ)، تتبعها (لا)، فتقول: جئت أنْ لا أؤذيك، ونحو : جئت إليك أنْ لا تظنَّ بي سوءا.

(٢٢)

والأسلوب الثالث: الاقتصار على الحرف الموصل (أنْ)، من دون (لا)، كما في قوله تعالى: { يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا } (سورة النساء ١٧٦)، أي: يبين الله لكلم لئلا تضلوا، فبيان الله سببه ألا نقع في الضلال.

وكقوله: { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } (سورة الحجرات ٦)، أي: تبينوا لأجل أن لا تصيبوا قوما بجهالة، وقوله: {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ } (سورة الممتحنة ١)، هم يفعلون كيلا تؤمنوا.

وكقوله: { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } (سورة الأعراف ١٧٢). أي: لئلا تقولوا، وكقوله: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ } (سورة المائدة ١٩)، أي: لئلا تقولوا..

وكقوله: { وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } (سورة النحل ١٥). أي: لئلا تميد.

**

٧- الفعل المضارع (مع بدائل اللام):

الأمثلة: (٢٣ – ٢٥)

(٢٣) جئت كي أكرمَك

(٢٤) جئت حتى أكرمَك

(٢٥) لأتوبنّ أو يغفرَ الله لي

تمثل هذه الحروف الناصبة بدائل اللام، فتدخل على الفعل المضارع المثبت أو المنفي، لإفادة التعليل، ومن الأمثلة:

كي:

كقوله تعالى { فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ } (سورة القصص ١٣). والنفي، نحو: جئت كي لا يقتلوك، وكقوله تعالى: { مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ } (سورة الحشر ٧).

وقد تسبقها اللام، فيعطي ذلك السببَ قوةً وتأكيدا، كقوله تعالى { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ

وَطَرًا} (سورة الأحزاب ٣٧) ، وقوله: { فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ } (سورة آل عمران ١٥٣).

حتى:

كقوله تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا } (سورة البقرة ٢١٧)، وقوله: { هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا } (سورة المنافقون ٧). والنفي، كقوله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } (سورة البقرة ١٩٣).

أو:

وتأتي بعد جملة فعلية دالة على المستقبل، نحو: لأرضين الله أو يغفرَ لي (أي: كي يغفر)، ومنه قول الشاعر:

لأستسهلنّ الصعب أو أدركَ المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

٨- مجيء السبب مع الفاء:

الأمثلة: (٢٦ – ٢٧)

(٢٦) أكرم زيدا، فإنه مجتهد

(٢٧) أكرم زيدا؛ إنه مجتهد

(٢٦)

هناك حالة وحيدة، تأتي فيها الفاء مع السبب (والأصل أن الفاء تأتي مع النتيجة)، وهذه الحالة حين يكون السبب جملة [مبدوءة باسم أو فعل]، ويراد إيرادها دون موصل حرفي.

لاحظ الأمثلة السابقة (١٣-١٦)، فقد كان السبب فيها جملة، ولكن توصلنا إليها بموصل؛ لأن اللام لا تدخل على الجمل مباشرة، نحو: أكرمت زيداً؛ لأنه مجتهد، فـ(لأنّ) موصل، والجملة الأصلية: هو مجتهد، ولو لم نستخدم الموصل لقلنا: (أكرمت زيدا لِهو مجتهد). وهي جملة غير صحيحة، وفي هذه الحالة يمكننا أن نقول: (أكرمت زيدا فهو مجتهد).

وغالباً ما يكون التعليل بالجملة بعد جملة طلبية، نحو: أكرم زيداً؛ فإنه مجتهد، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم: { قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } (سورة الحجر ٣٤)، فعندما قضى الله بخروج إبليس، قد يتساءل إبليس: لماذا؟ فجاء السبب (فإنك رجيم). وكقوله: { وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ } (سورة النساء ٩٤)، أي: لا تفعلوا ذلك ابتغاء الدنيا؛ فإن عند الله مغانم كثيرة. والأمثلة على هذا كثيرة.

وينبغي أن أنوه إلى ما ذكرته سابقاً، أن (إنّ) حرف توكيد، يدخل على الجملة فيصبح منها، بخلاف (أنّ) فهو موصل حرفي، يوصل الحروف إلى الجمل المبدوءة باسم.

ومن ثم فنحو: أكرم زيدا؛ فإنه مجتهد (الجملة الأصلية: إنه مجتهد). أما نحو: أكرم زيدا؛ لأنه مجتهد (الجملة الأصلية: هو مجتهد)، ولو دخلت عليها الفاء لصارت: (أكرم زيدا فهو مجتهد).

**

(٢٧)

كما يجوز حذف الفاء، وإيراد جملة السبب دون تعليل، وغالباً ما يكون ذلك بعد الطلب، وتكون الجملة السببية مؤكدة، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: { فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ } (سورة التوبة ٩٥)، أي: أعرضوا عنهم؛ فإنهم رجس، فسبب الإعراض عنهم أنهم رجس، فكونهم رجس سبب، والنتيجة هي الإعراض عنهم. وكقوله: { وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا

وَسَاءَ سَبِيلًا } (سورة النساء ٢٢)، وقوله: { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } (سورة الإسراء ٣٢)... إلخ. وتقول: لا تذهب إلى الحديقة اليوم؛ إنها مزدحمة.

وقوله: { فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا } (سورة الكهف ٦٢)، فجملة (لقد لقينا) للتعليل، فهو يقول: بسبب تعبنا ونصبنا فقد جعنا، ومن ثم يطلب من فتاه أن يؤتيهم غداءهم.

وقد لا يأتي بعد جملة طلبية، كقوله: { وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي } (سورة يوسف ٥٣)، فبسبب أن النفس أمارة بالسوء، فالنتيجة أنها لا تبرئ نفسها.

وتلاحظ في كل الأمثلة، أن جملة التعليل مؤكدة، الاسمية مؤكدة بـ(إن..)، والفعلية بـ(لقد..).

ثانيا: التعليل بالفاء (النتيجة)

الفاء تدخل على النتيجة، نحو: (زيد مجتهد؛ فأكرمه)، فالإكرام نتيجة لاجتهاد زيد. وهذه الفاء لها حالتان:

الأولى: أن تأتي بعد جملة تامة (سواء طلبية أم إخبارية أم غيرها). نحو: (زيد مجتهد فأكرمه)، فجملة (زيد مجتهد) جملة تامة، وهي جملة إخبارية. ونحو: (أكرم زيداً؛ فإنه مجتهد)، فجملة (أكرم زيدا) جملة تامة، وهي جملة طلبية... فالجملة التامة أن تُفهم معنى تاماً.

والثانية: أن تأتي قبل تمام الجملة، نحو: (الذي يقوم الليل فمؤمن)، فالفاء هنا جاءت بين المبتدأ (الذي يقوم الليل)، والخبر (فمؤمن)، فالجملة لم تتم معناها، ودخول الفاء أفاد بيان النتيجة، بمعنى أن قيام الليل سبب، ونتيجته وصف الشخص بالإيمان. كما تأتي هذه الفاء في جواب الشرط، نحو: (مَنْ يذاكر فلن يخيب)، فجواب الشرط (لن يخيب)، هو كالنتيجة لفعل الشرط، فالمذاكرة سبب، ونتيجتها: عدم الخيبة.

ويوضح الجدول التالي حالات مجيء الفاء:

الجملة السابقة		بعد الفاء	المثال	ذكر الفاء	جواز الحذف
جملة تامة	طلبية، أو استفهامية	فعل مضارع	١/ اجتهد فتفوزَ ٢/ اجتهدْ تفزْ ٣/ اجتهد فتفوزُ	■	■
	منفية		٤/ لم يجتهد زيد فيفوزَ ٥/ لم يجتهد زيد فيفوزُ	■	
	مطلقاً	بقية الجمل	٦/ زيد مجتهد؛ فأكرمه	■	
جملة غير تامة	اسمية	(خبر)	٧/ الذي يجتهد فناجح	■	
	شرطية	(جواب الشرط)	٨/ من يجتهد فسوف ينجح ٩/ من يجتهدْ ينجحْ	■	■
	حالية	فعل مضارع	١٠/ ما يجتهد محمد فيطلبَ مكافأة	■	

قسمت حالات مجيء الفاء إلى قسمين: بعد جملة تامة، وبعد جملة غير تامة.

وبالنظر إلى ما يلي الفاء، ففرقت بين حالات مجيء الفعل المضارع بعدها، وحالات غير المضارع. ثم فرقت بين مجيء الفعل المضارع بعد جملة تامة (طلبية)، وبعد جملة تامة منفية).

وأما الجملة غير التامة، فقد تكون اسمية، وقد تكون شرطية.

وهذا بيان موجز لهذه الحالات:

١- (الفعل المضارع) بعد جملة تامة طلبية أو استفهامية:

(الأمثلة ١ – ٢).

(١) اجتهدْ فتفوزَ
(٢) اجتهدْ تفزْ
(٣) اجتهدْ فتفوزُ

(١)

تدخل الفاء على الفعل المضارع بعد جملة طلبية أو استفهامية، فينتصب بعدها. كما في المثال (١).

وتشمل الجملة الطلبية: طلب الفعل أو الترك (أمر، نهي، دعاء، تحضيض)، كما تشمل الجملة الطلبية الحصولية (التمني والترجي).

ومن أمثلة ذلك:

[بعد أمر]، قولك: احترم الناس فيحترموك.

[بعد نهي] قوله تعالى{ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي } (سورة طه ٨١)،

[بعد دعاء] قوله تعالى{ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } (سورة يونس ٨٨).

[بعد تحضيض]، كقوله تعالى: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ } (سورة المنافقون ١٠)، وكقول الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصرَ ما قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

[بعد تمني] كقوله تعالى: { وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا } (سورة النساء ٧٣).

[بعد ترجي] كقوله{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى } (سورة عبس ٣ – ٤).

[بعد استفهام] قوله تعالى: { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } (سورة الأعراف ٥٣). وكذلك بعد استفهام منفي، كقوله تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } (سورة الحج ٤٦).

وسواء بالصيغة الصريحة كان الطلب، أم بغيرها، نحو: سكوتا فنسمعَ الخطيب، صه فيهدأَ النائم، يرزقني الله الغنى فأنفقَ المال في سبيل الخير.

(٢)

أما المثال الثاني، فيبين لنا أن الفعل المضارع بعد الطلب، يجوز ألا يقترن بالفاء، وعندئذ يكون الفعل مجزوما، نحو: اجتهد تفز، فالفوز سببه النجاح.

ومن الأمثلة في كتاب الله، قوله تعالى { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ } (سورة التوبة ١٤)، وقوله: { قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي } (سورة طه ٢٥ – ٢٨)، وقوله: { تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (سورة الصف ١١ – ١٢)، والإخبار هنا صوري فهذا طلب في صورة الخبر، والتقدير: آمنوا وجاهدوا. وفي الشعر:

لعل التفاتا منك نحوي ميسر يملْ بك من بعد القساوة لليسرى

وقوله:

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

***

(٣)

يشير المثال الثالث إلى حالة صورية للفعل المضارع، فقد تأتي النتيجة فعلا مضارعا (بعد الفاء)، ولكنها تقدر بجملة مبدوءة باسم. وحينئذ يكون الفعل المضارع مرفوعا، نحو: اجتهد فتفوزُ (أي: اجتهد فأنت تفوزُ).

ومنه قوله تعالى: { وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} (سورة القلم ٩) ، أي: فهم يدهنون، وليس المراد حتى يدهنوا.

ولذلك قرئ قوله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً } (سورة البقرة ٢٤٥)، (يضاعفه) قرئت بالنصب على السببية، والرفع على الاستئناف، أي: فهو يضاعفه، ومثل الآية الحديث (من يدعوني فأستجيبُ له، ومن يستغفرني فأغفرُ له)،

وكذلك قوله تعالى: { وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (سورة البقرة ١١٧) ، قرئت (يكون) بالنصب والرفع[1].

٢- (الفعل المضارع) بعد جملة تامة منفية:

(الأمثلة ٤ – ٥).

(٤) لم يجتهد زيد فيفوزَ

(٥) لم يجتهد زيد فيفوزُ

---

[1] وإذا جاء المضارع بعد طلب ولا يقصد به السببية بمعنى أنه ليس مسببا عما قبله، فلا يكون من هذا الباب، ويجب رفعه، كما إذا قصد به الحال، كقوله تعالى: { وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ } (سورة المدثر ٦)، أي: مستكثرا، وكقوله تعالى: { ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } (سورة الأنعام ٩١)، أي: لاعبين. أو إذا قصد به الوصفية، كقوله تعالى: { فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ } (سورة مريم ٥ – ٦)، أي: وليا وارثا. وقد يحتمل الصفة أو الحالية، كقول الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني

فالتقدير على الحالية: على اللئيم ساباً، وعلى الوصفية: على اللئيم السابّ.

وقد تحتمل الاستئناف، كما في قول الشاعر:

وقال رائدهم: ارسوا نزاولُها فكل صنف امرىء يجري بمقدار

أي: ارسوا، فنحن نزاولها.

وقد يحتمل الاستئناف والحال، كما في قوله تعالى: { وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى } (سورة طه ٧٧)، أي: فأنت لا تخاف، أو: غير خائف. وكقوله تعالى: { وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } (سورة طه ٦٩)، عند من رفع، أي: فأنت تلقف، أو الق ما في يمنيك لاقفا.

وقد يحتمل الوصف والحال والاستئناف، كما في قوله تعالى: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } (سورة التوبة ١٠٣)، فالتقدير: صدقة مطهرة، أو: خذ مطهرا لهم، أو: خذ صدقة تطهرهم وتزكيهم بها.

(٤)

نحو: لم يجتهد محمد فأكرمَه، في هذه الصورة انتفى ما بعد الفاء لانتفاء ما قبلها، فاجتهاد محمد منتفٍ، وكذلك الإكرام منتفٍ، والمعنى: أن محمد لم يؤد السبب وهو الاجتهاد، ومن ثم فلم تحدث له النتيجة وهي الإكرام. فلو أنه اجتهد لأكرمته.

وكقوله تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا } (سورة فاطر ٣٦)، فهم لا يقضى عليهم حتى يذوقوا العذاب فمن ثَمّ لا يموتون، فانتفى السبب وهو القضاء عليهم، وبذلك ينتفي المسبب وهو الموت. والمعنى: لا يقضى عليهم فكيف يموتون؟ فانتفى الموت لانتفاء القضاء عليهم.

وسواء بأدوات النفي الصريحة، كان النفي، أم بما يدل على النفي، نحو: قلما، فتقول: قلما يشيع الظلم في أمة فتنهضَ، (أي: ما يشيع الظلم في أمة فتنهضَ، فشيوع الظلم سبب في انتفاء النهوض. وكذلك (قد) التهكمية، نحو: أيها المتحدث عن الحرب وما حملت سيفا، قد كنت في معركة فتصفَها، أي: ما كنت في معركة فكيف تصفها؟ وكذلك التشبيه المراد به النفي، نحو: كأنك مسئول عنا فتحاسبَنا، أي: ما أنت مسئول عنا فتحاسبَنا[1].

**

(٥)

وقد يرتفع الفعل المضارع بعد الفاء، إذا قصدنا أن الفاء داخلة على الجملة، فتقول: لم يجتهد محمد فأكرمُه، أي: لم يجتهد محمد فأنا لم أكرمه، فكأن الفاء عطفت النفي على النفي، والأول (لم يجتهد) منفي صراحة، والثاني (أكرمه) منفي دلالة.

ومنه قوله تعالى: { وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ } (سورة المرسلات ٣٦) ، أي: لا يحصل إذن لهم في الاعتذار، فالنتيجة أنهم لا يعتذرون، فالإذن منفي والاعتذار منفي.

---

[1] النفي الذي تحدثت عنه هو النفي بعد الجملة التامة، (نفي للسبب والنتيجة)، فإن كان النفي بعد جملة غير تامة، فسيأتي حكمه لاحقاً، نحو: ما يجتهد محمد فيطلبَ مكافأة، [فما بعد الفاء حال لما قبلها، والتقدير: ما يجتهد طالبا المكافأة، بل يجتهد لشيء آخر] (نفي للنتيجة فقط).

***

٣- (بقية الجمل) بعد الجملة التامة:

(المثال ٦)

(٦) زيد مجتهد؛ فأكرمه

هذا من أوسع الأبواب في اللغة العربية، وأمثلته كثيرة جدا، وقاعدته أن تكون الجملة الأولى دالة على السبب، وتكون الجملة الثانية دالة على النتيجة. فتقترن الفاء بجملة النتيجة، أيا كان نوع الجملة الأولى، وأيا كان نوع الجملة الثانية. ومن أمثلة ذلك:

[جملة النتيجة طلبية]

نحو: كما ربيتك وأكرمتك فأطعني، كقوله: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ } (سورة قريش ١ – ٣)، أي: لأجل الإيلاف؛ فليعبدوا، بمعنى: كما من الله عليهم بهذا الإيلاف – فليكن منهم عبادة له. ونحو: لقد سافرت سفرا طويلا فخذ بعض الراحة، أو فالآن استرح.

وكقوله: { إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} (سورة يس ١١)، وقوله: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } (سورة التوبة ٣٤).

وقد تتقدم الفاء مع المسبب، ويتأخر السبب، كقوله تعالى: { فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (سورة البقرة ٢٣٩).

ويكثر مجيئها في الجمل الطلبية الدعائية، كقوله: { الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (سورة آل عمران ١٦)، أي: لأننا آمنا فاغفر لنا. وقد تحذف الفاء، كقوله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } (سورة الفاتحة ٢ – ٦)، أي: لأننا نحمدك ونثني عليك ونمجدك ونعبدك ونستعين بك . فاهدنا الصراط المستقيم.

[جملة النتيجة إخبارية]

نحو: بسبب ابتعاد الناس عن الأخذ بأسباب النصر؛ فإن الله لا ينصرهم. وكقوله{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } (سورة المجادلة ١٦).

وكقوله تعالى: { الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} (سورة الفجر ١١ – ١٣)، وكأنه نشأ سؤال: لما طغوا في البلاد فأفسدوا فيها – ماذا حصل؟ فأجيب: فصب...، (أي: لأجل طغيانهم صب عليهم ربك عذابه)، وكقوله: {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ } (سورة الأَنْفال ٥٢).

ومن هذا العطف ما يسمى عند النحاة (الفاء الفصيحة)، حيث يحذف المعطوف عليه فتفصح عنه الفاء، كقوله: { وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } (سورة البقرة ٦٠)، أي: (فضرب) فانفجرت. فالفاء التي في (فانفجرت) عطفت الجملة التي بعدها على الفاء المحذوفة مع معطوفها، فهي قد أفصحت وكشفت عن المحذوف، كما أفصحت عن السببية، والتقدير: إن كان موسى قد أطاع الأمر وضرب الحجر، فماذا حصل؟ فأجاب: فانفجرت، فالضرب كان سببا في الانفجار. وتقدير السببية: فضرب، فلهذا انفجرت[1].

[جملة النتيجة شرطية]:

---

[1] قد يحدث تحويل بعض صور الجمل الإخبارية، حين تكون نتيجة، فنحو: قلت الحق ففرح الناس، جملة (فرح الناس)، نتيجة، وجملة (قلت الحق) سبب، ففرح الناس نتيجة للسبب، وهو قول الحق. ويمكن أن يحدث في الجملة تحويلان، الأول: تأخير الخبر، وتحويل المبتدأ اسما موصولا، فتصبح الجملة هكذا: (الذي قلته – ففرح الناس – الحقُ)، ونحو: ضرب موسى الحجر فانفجرت العيون، تصبح: (التي ضربها موسى – فانفجرت العيون – الحجرُ)، فاسم الموصول مبتدأ، والفعل بعده صلة الموصول، والخبر اللفظ المتأخر: الحجر، والفاء سببية. والجملة: شكا الناس فأزال الحاكم أسباب الشكوى، يمكن أن تصبح: الذي شكا إليه الناس – فأزال أسباب الشكوى – الحاكمُ.

والتحويل الثاني، المجيء بالمبتدأ اسم إشارة، وخبره نكرة، فتقول في الأمثلة السابقة: هذه حجرٌ ضربها موسى فانفجرت العيون. هذا حاكم شكا الناس فأزال أسباب الشكوى.

نحو: محمد مجتهد، فإن فاز فإنه مستحق.

وكقوله تعالى: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (سورة البقرة ٢٣٨ – ٢٣٩)، فالتقدير: حافظوا على الصلاة في كل حالة فـ(لهذا) [أي الوجوب المحافظة] إن خفتم فصلوا رجالا أو ركبانا، ثم قال: صلوا خائفين بهذه الطريقة؛ فلهذا إذا أمنتم فاذكروا الله.

وكقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (سورة البقرة ١٧٨)، والتقدير: القصاص مكتوب، فلهذا من عفي له فاتباع بالمعروف...

وكقوله تعالى: { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } (سورة الليل ٤ – ١٠)، فدخلت على (أما) التفصيلية، وهي داخلة على جملة شرطية.

[جملة النتيجة استفهامية]:

كقوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ } (سورة آل عمران ١٤٤)، والتقدير: ما محمد إلا رسول كغيره ممن سبق؛ فلهذا أئنْ مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟

وكقوله: { ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (سورة آل عمران ١٦١ – ١٦٢)، والمعنى: بعد أن توفى النفوس ما عملت، ويجد كل جزاءه، فهل استوت النتيجتان؟ نتيجة من اتبع رضوان الله ونتيجة من أسخط الله؟

٤- الفاء في الجملة غير التامة (الاسمية):

(المثال ٧)

(٧) الذي يجتهد فناجح

في هذه الحالة تدخل الفاء على الخبر، وذلك إذا كان الخبر فيه معنى النتيجة، ويكون المبتدأ فيه معنى السبب. وعادة ما يكون المبتدأ اسما موصولا، وتبين صلته السبب.

نحو: الذي يقوم الليل فمؤمن، فقيام الليل سبب للوصف بالإيمان.

ومن أمثلته قوله تعالى: { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } (سورة البقرة ٢٧٤)، فـ(الذين...) مبتدأ، وخبره (لهم أجرهم)، فنتيجة من اتصف بهذه الصفات (الإنفاق)، الحصول على الأجر، فالإنفاق سبب، والحصول على الأجر نتيجة.

ومنه قوله [في الخبر المثبت]: { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ } (سورة البروج ١٠)، وقوله: { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ } (سورة التين ٦)، وقوله: { لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ } (سورة الغاشية ٢٢ – ٢٤)، [يعذبه: خبر لـ(من)]، وقوله: { بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (سورة البقرة ٨١).

[وفي الخبر المنفي]، كقوله: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } (سورة محمد ٣٤)، وقوله: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } (سورة آل عمران ٩١).

[وفي الخبر الطلبي]، كقوله تعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } (سورة المائدة ٣٨)، فالسرقة: سبب، والنتيجة (أو الجزاء): قطع اليد، وتقول: المجتهد فكافئوه، والمقصر فعاقبوه.

وقد لا يكون المبتدأ اسم موصول، بل يكون اسما دالا على العموم، نحو: كل رجل يقول الحق فشجاع. ونحو: كل موظف يتميز في عمله فله مكافأة... ومنه قول الشاعر:

كل سعي سوى الذي يورث الفوز (م) فعقباه حسرة وخسار

فسبب الحسرة والخسار في هذا السعي هو أنه لا يورث الفوز.

المهم أن يدل المبتدأ على معنى السبب، أيا كانت صيغة المبتدأ، والأغلب مجيؤه اسم موصول، كما تقدم. ومن الأمثلة أيضا: كاتب هذه الرسالة فبارع، صانع هذا المصباح فخبير...

**

٥- الفاء في الجملة غير التامة (الشرطية):

(الأمثلة ٨ – ٩).

(٨) من يجتهد فسوف ينجح

(٩) من يجتهد ينجحْ

سبق الحديث عن الجملة الشرطية مفصلاً، وبيان متى يقترن جواب الشرط بالفاء ومتى لا يقترن. وجواب الشرط الإمكاني يحمل معنى الجزاء، أما جواب الشرط التقريري فيحمل معنى: الدليل، والجزاء والدليل كلاهما يقترنان بالفاء.

فالشرط الإمكاني نحو، (من يجتهد فسوف يفوز)، فالفوز نتيجة وجزاء للاجتهاد. وكقوله تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } (سورة آل عمران ٨٥)، فالسبب: ابتغاء دين غير الإسلام، والنتيجة: عدم القبول منه.

والشرط التقريري، نحو: (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)، فالمعنى أنه إن سرق فهناك دليل على أن هذا الأمر مطرد فيه، وهو سرقة أخيه من قبل.

**

٦- الفاء في الجملة غير التامة (الحال):

(المثال ١٠).

(١٠) ما يجتهد محمد فيطلبَ مكافأة

تحدثت سابقا عن مجيء الفعل المضارع بعد جملة تامة منفية، نحو: لم يجتهد محمد فنكرمه، وبينت دلالتها.

أما هذا المثال فيبين مجيء الفعل المضارع بعد جملة منفية غير تامة، أي: لم يتم المعنى، بل يكون ما بعد الفاء جزءا مما قبلها، فيدل على النتيجة، ويقع موقع الحال، ويكون الفعل المضارع منصوبا.

ففي المثال السابق: يكون المعنى: ما يجتهد محمد طالبا المكافأة، فالنفي هنا يتجه للنتيجة وليس للسبب، أي: أن محمد يجتهد (وهذا إثبات للسبب)، ولكن اجتهاده ليس لأجل هذه النتيجة (طلب المكافأة)، بل لنتيجة أخرى.

فهذه الجملة، تثبت: السبب، وتنفي النتيجة. (ويقتضي وجود نتيجة أخرى، يمكن ذكرها بعد: بل، نحو: ما يجتهد محمد فيطلبَ مكافأة بل ينالَ رضا ربه).

بخلاف نحو (لم يجتهد محمد فنكرمه)، فهي تنفي السبب وتنفي النتيجة أيضاً.

ومن أمثلة النحاة الشهيرة: ما يحكم الله فيجورَ، أي: ما يحكم الله جائراً، بل يعدل. ونحو: ما يخلقُ الله فيعبثَ، ولا يعاقبُ فيظلمَ[1].

[1] في نحو: لم يجتهد محمد فنكرمه، يمكن تخريجها على نفي السبب والنتيجة، فيكون المعنى: أن محمدا لم يجتهد، ولذلك لم يحصل على الإكرام. ويجوز نصب الفعل المضارع، ورفعه بتقدير (فنحن لم نكرمه).

ثالثا: التعليل الخيالي

ويحسن أن نذكر في هذا الباب ما يسميه علماء البديع بـ(حسن التعليل)، وهو أن يَدّعى المتكلم لوصفٍ ما علةً غير حقيقية باعتبارٍ لطيف، على أن يوجد تناسبا بين العلة المزعومة وذلك الوصف.

كأنْ يأتي الأديب إلى وصفٍ ما فيدعي أن له علةً طريفة تناسب مقصده. كقوله:

مـا قصـر الغيـث عـن مصـر وتربتهـا طبعـاً، ولكـن تعـداكم مـن الخجـل

فالشاعر يزعم أن علة عدم سقوط المطر هو خجله من الممدوح، فالممدوح قد غمر مصر بفضله وعطائه، والمطر لا يستطيع مجاراته في الكرم، فيمتنع عن النزول خجلا لا طبعا. وهذه علة يدعيها الشاعر، وإلا فإن علة عدم نزول المطر – بعد مشيئة الله هي عدم تهيؤ الظروف الطبيعية لنزوله.

ولا نريد الخوض في التفصيلات التي يذكرها علماء البديع في هذا الباب، إنما نكتفي بالقول أن العلة التي يدعيها المتكلم هي علة غير حقيقية، وإنما هي تخييلية، ولهذا سمي بالتعليل التخييلي.

ولا يخفى ما في الباب من سحر وإبداع واعتماد على الخيال، وما فيه من حسن المفاجأة وروعتها، غير أنه لم يقع لا في القرآن ولا في السنة؛ لأنهما يعللان الأشياء تعليلا حقيقيا مطابقة للواقع، لا تعليلا ادعائيا خياليا. وهذا التعليل إنما يلجأ إليه الأدباء، ومن الأمثلة على ذلك:

قول أبي هلال العسكري: (اغتر البنفسج بجماله فزعم أنه في الحسن كعذار الحبيب كذبا وافتراء، وكانت عقوبته أن سل لسانه من قفاه)، فأوراق زهرة البنفسج تبدو وكأنها مسحوبة إلى الوراء، فعلل العسكري ذلك بأنه اغتر بجماله فسل لسانه من قفاه. وهي علة خيالية لوصف ثابت.

ويمكن تخريجها على نفي النتيجة فقط، وإثبات السبب، فيكون المعنى: أن محمدا لم يجتهدا من أجل أن نكرمه، بل اجتهد ليحصل على نتيجة أخرى.

وقول المتنبي يمدح سيف الدولة:

ما به قتل أعاديه ولكن يتقي إخلاف ما ترجو الذئاب

فجعل علة محاربة الأعداء وقتلهم خشية إخلاف رجاء الذئاب للطعام، برغم من أن العلة الحقيقية هي حماية أرض الإسلام من بغيهم.

ومنه قول الآخر:

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

فهنا ادعاءان، الأول: الوصف، حيث يدعي أن ثغرها أقحوان – حقيقة، والثاني: العلة، حيث يزعم أن ثغرها يزداد طيبا في الأسحار كما أن الأقحوان يعيق بالروائح في تلك الساعة.

الفصل التاسع: المكانية والزمانية

في هذا الفصل أتحدث عن الظروف المكانية والزمانية، والأساليب العربية المختلفة في الدلالة عليهما، وقد جعلته أربعة مباحث:

المبحث الأول: الدلالة على المكانية.

المبحث الثاني: الدلالة على الزمانية.

المبحث الثالث: الدلالة على المقدارية (مكانا وزمانا).

المبحث الرابع: الابتداء والانتهاء في الغايات المكانية والزمانية.

المبحث الأول: الدلالة على المكانية

الدلالة على المكانية هي جواب السؤال (أين)، حيث تعين من خلالها مكان حدوث الشيء، أو مكان وجوده، نحو: أين محمد؟ فتجيب: محمد فوق الكرسي، أو محمد عن يمين زيد، ونحو: أين سكنت؟ فتقول: سكنت عند المدرسة...إلخ.

أولاً: أساليب الدلالة على المكانية:

١- الدلالة باستخدام الجهة المكانية:

ويسميه النحاة ظرف المكان، ويكون منصوبا[١]، ويليه اسم يضاف إليه، ويبين التركيب الإضافي بمجموعه المكان، نحو: جلست يمينَ محمد، ووقفت أمامَ البيت. ونحو: الحديقة أمامَ المدرسة[٢].

والدلالة على المكانية في العادة تنصرف إلى الجهات المكانية النسبية الست: فوق، تحت، يمين، شمال، أمام، وراء، والجهات المكانية الأصلية الأربع: شمال وجنوب وشرق وغرب، وأشباه الجهات، نحو: (شطر / ناحية / جهة / إزاء / حذاء/ داخل / خارج / باطن / ظاهر / جوف / جانب). وسنتناول في هذا الباب هذه الدلالات.

---

[١] النحاة تسمي هذا الظرف (مفعولا فيه)، ويقصرون الظرف الاصطلاحي على هذا النوع الذي ينتصب.

[٢] يفرق النحاة بين حالتين للظرف، الحالة الأولى حين يدل على مكان الحدث، نحو: جلست أمامَ البيت، فالظرف هنا يعربونه مفعولا فيه، إذ دل على مكان الحدث (والحدث هو الجلوس). والحالة الثانية حين يدل على مكان وجود الشيء، نحو: الحديقة أمامَ البيت، (فهنا دل على مكان وجود الشيء، وهو الحديقة)، فهم يعدون الظرف خبرا للمبتدأ. وبعضهم يجعله متعلقا بخبر محذوف، والتقدير: الحديقة كائنة أمام البيت.

٢- الدلالة باستخدام المكان المختص:

ولا بد أن يأتي بعد حرف الجر، نحو: سافرت إلى اليمن، مكثت في مصر[(١)].

هذا والفرق بين المكان والجهة المكانية أن المكان يدل على مكان محدد، له هيئة أو شكل، وحدود تحصره وتحدد جوانبه، نحو: غرفة، بيت، دار، بلد، مدينة، قرية، وكذلك أسماء الأماكن نحو: الشام، مصر، مكة، اليمن، القاهرة. ولهذا لا ينتصب على الظرفية بل يجب جره بالحرف، وعليه فالمكان مختص معين، أما الجهة المكانية فهي تدل على جهة مكانية مبهمة وليس على مكان معين. ومعنى إبهامها أنه ليس لها حدود تحصرها بين نهايات مضبوطة بحدود جوانبها. فـ (فوقك) يمتد إلى مالا نهاية، ولا حد لحصره، وكذا: أمامك....إلخ.

**

٣- الدلالة بالإشارة المكانية

يدل على المكان في جواب (أين)، بأدوات الإشارة المكانية الواردة عن العرب، وهي: (هنا، هناك، هنالك)، وهذه الأدوات تستخدم في الزمان وفي المكان، بحسب المعنى، فالقريب يشار له بـ(هنا)، نحو: محمد هنا، وقد تدخلها هاء التنبيه، (هاهنا)، كما في قوله تعالى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: ٢٤]. والمتوسط يشار له بـ(هناك)، نحو: الشجرة هناك، وكقول أبي العتاهية:

سأُسـألُ عـنْ أمـورِ كُنْـتُ فِيهَـا فَما عذرِي هُنَاكَ وَمَا جوَابِى

والبعيد يشار له بـ(هنالك)، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا } [الفرقان: ١٣].

---

(١) هناك ثلاثة أفعال، وهي: (دخل، سكن، نزل)، ورد عن العرب نصب المكان بعدها وجره، فيقولون: دخلت الدارَ، وسكنت البلدَ، ونزلت المدينةَ. ويقولون: دخلت إلى الدارِ، وسكنت في البلدِ، ونزلت في المدينةِ. كما وردت عن العرب جملتان، حيث يقولون: ذهبت الشامَ، وتوجهت مكةَ. والأصل: ذهبت إلى الشام، وتوجهت إلى مكة.

ومن أدوات الإشارة إلى البعيد لفظ (ثَمَّ)[1]، بمعنى: هنالك، كقوله تعالى: {وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ} [الشعراء: ٦٤]، وقوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا } [الإنسان: ٢٠].

وهذه ظروف مكان (يقدر نصبها)[2].

**

وما سبق إشارات خاصة بالمكان، أما بقية ألفاظ الإشارة، نحو: هذا وهذه وتلك... إلخ، فيشار بها إلى المكان أو غيره، نحو: هذا المكان طيب، وهذه الأرض طيبة، وتلك الربا عالية، وذان الجبلان عاليان، وتان الهضبتان جميلتان، وأولئك الهضاب بعيدة.

**

٤- الدلالة بصياغة وزن (مفعل)

ويصاغ (مَفْعَل) من الفعل، نحو: وقفت موقفَ الخطيب، أي: في المكان الذي وقف فيه الخطيب، ونحو: جلست مجلِسَ زيد. (ويعرب موقف، ومجلس في المثالين: ظرف مكان منصوب).

٥- الدلالة باستخدام حروف الجر

ويليها الاسم المجرور، ومن الحروف: في، والباء، وعن، وإلى. نحو: الكوب في الماء، وكقوله: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ } [القصص: ٤٤]، ونحو: جاءت السيارة فوقفت عن يمين الطريق، وكقول الشاعر:

---

[1] في هذا اللفظ لغات، فتقول: **ثَمَّ، وثَمَّهْ، وثَمَّتَ.**

[2] وقد تستخدم هذه الألفاظ للإشارة إلى الزمان، بقلة، فتقول: إذا أقبل الليل فهناك تعرف خطورة ما فعلت، أي: ففي ذلك الزمان. وجعل منه قوله تعالى: { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ } (سورة يونس ٢٨ – ٣٠)، فقوله: هنالك، أي في ذلك اليوم.

وإن يلتق الحى الجميع تلاقنى إلى ذروة البيت الكريم المصمد

فكل هذه الأمثلة تأتي جوابا للسؤال: أين.

**

٦- الدلالة باستخدام المصدر

يأتي المصدر منصوبا في جواب السؤال عن المكان، أي جواب (أين)، نحو: جلست قربَ المدفأة، (أي مكاناً قربها). وهذا في جواب أين؟ (وتعرب: قربَ: نائب ظرف مكان).

**

٧- الدلالة باستخدام صفة المكان

نحو: جلست شرقيَّ المنزل، أي: جلست مكاناً شرقي المنزل. (وتعرب: شرقيَّ: نائب ظرف مكان، أو صفة لظرف مكان محذوف).

٨- الدلالة باستخدام الشرط

ويستخدم لذلك: (أين، أنى، حيثما، أي)، كقوله تعالى: {وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ}(البقرة١١٥)، وقوله: {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ}(النساء٧٨) ، ونحو: حيثما تكثر السلع تنخفض الأسعار. فكل هذه في جواب (أين)، فلو قلت: أين تنخفض الأسعار؟ فالجواب: حيثما تكثر السلع، ولو قلت: أين يدرككم الموت؟ فالجواب: أينما تكونوا. ونحو: أي مكان تجلسْ أجلسْ. (في جواب: أين تجلس؟). وقد تقدم في الشرط.

ثانياً: الجهات الست النسبية

١- (فوق) و(تحت)

فوق، تدل على أن شيئا مرتفعا عن غيره. والدلالة على الفوقية، سواء أحقيقية كانت الفوقية أم مجازية، وسواء أمباشرة كانت الفوقية الحقيقية أم غير مباشرة.

فالوقوع الفوقي الحقيقي يدل على أن شيئا حسيا يعلو غيره، وهو إما يكون حقيقيا مباشرا، نحو: الراكب فوق الطائرة، فالاسم المجرور قد وقع فوقه معنى الركوب وقوعا حقيقيا مباشرا، وإما يكون وقوع الفعل حقيقيا لكن غير مباشر، كقوله تعالى: { أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى} (سورة طه ١٠)، أي: أجد فوقَ مكانٍ قريبٍ من النار هاديا يدلني الطريق.

وأما الوقوع الفوقي المجازي فيدل على أن شيئا معنويا يعلو غيره، نحو: لأنت فوق قومك كرما وفضلا، وكقوله تعالى: { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } (سورة البقرة ٢٥٣).

وله أساليب عدة، منها:

أ- الاستعلاء بـ(فوق)

ويليه اسم مجرور يدل على أن شيئا آخر يعلو عليه[1]، نحو: العصفور فوق الشجرة، ونحو: هذا البيت الذي رأيت الرجل فوقه. وكقوله تعالى: {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } [الأنعام: ١٨]، وقوله: {وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ } [يوسف: ٣٦]، وقوله: {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ } [الدخان: ٤٨].

---

[1] يستخدم (فوق) أحيانا بمعنى أكثر، كقوله تعالى: {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ } [النساء: ١١]، أي: أكثر من اثنتين، فالفوقية دالة على فوقية العدد. وكذلك (حت) تستخدم أحيانا بمعنى: أقل، نحو: الدرجة السادسة تحت الصفر، أي: أقل من الصفر.

وفي نحو: صعد الخطيب فوق المنبر، فقولك: صعد الخطيب، يفهم منه أن صعوده فوق المنبر، فمجيء الظرف هنا أفاد التوكيد. ونحو: الطيارة مرتفعة فوق السحاب، في جواب: أين تكون الطيارة مرتفعة؟

ب- الاستعلاء بـ(على)

ويليه اسم مجرور، هو المعلي عليه، نحو: الكتاب على الطاولة. وكقوله: { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [المؤمنون: ٢٨]، وقول الشاعر: وبات على النار الندى والمحلق.

ج- الاستعلاء بـ (في)

ويليه اسم مجرور، نحو: غرد الطائر في الغصن، ونحو: يصيح الغراب في المئذنة. وقول العرب: بطل كأن ثيابه في سرحة، كناية عن أنه ضخم طويل. وحمل بعض المفسرين على هذا المعنى قوله تعالى: { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } (سورة طه ٧١).

**

ومن المهم أن نفرق بين دلالة هذه الحروف على الاستعلاء، بمعنى ورودها جوابا عن السؤال:(أين)، ومجيئها حروفا يتعدى بها الفعل[1].

---

[1] فـ(على) مثلا، هي للاستعلاء في نحو: محمد على الكرسي، أنت على قومك كرما. وأما في نحو: مررت على المدينة، شهدت على عملك، فـ(على) هنا يتعدى بها الفعل، وليست من الاستعلاء في شيء. وكقوله تعالى: {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } (سورة الأنبياء ٧٧)، أي:- نصرناه على القوم. فيقول النحاة أن (مِنْ) تفيد الاستعلاء بمعنى (على)، أي: نصرناه على القوم. وكلامهم أنها بمعنى (على) صحيح في كونها يتعدى بها الفعل، وتكون بمعنى على، ولكنها لا تفيد الاستعلاء. وكقوله: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا } (سورة آل عمران ٧٥)، أي: تأمنه على قنطار. ومنه قوله تعالى { وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ } (سورة محمد ٣٨)، أي: على نفسه. وكقول الشاعر:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فما زال غضباناً علي لئامها

أي: إذا رضيت علي.

**

دلالة (تحت)

وتدل على أن شيئا أسفل شيء، سواء أحسيا كان السفل، أم معنويا. فالسفل الحسي، نحو: الكرة تحت السيارة، وكقوله: {إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}، وقد تسبقه (مِن)، كقوله: {جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}. والسفل المعنوي، نحو: هذا العمل تحت إشراف فلان. ومن السفل المعنوي قولهم: تحت أمره، وتحت تصرفه، وتحت يده.

**

أعلى وأسفل:

ويدل على (فوق وتحت)، ألفاظ أخرى، منها: أعلى وأسفل، نحو: الكرة أعلى الجدار، والقلم أسفل الطاولة. قال تعالى: { وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ } (سورة الأَنْفال ٤٢).

ويأتي لفظا العلو والسفل، بصيغ أخرى، منها: عاليَ وسافلَ، نحو: سكنت عاليَ المدينة، وسكن سافلَها، قال تعالى: { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ } (سورة الإِنْسان ٢١).

**

٢- دلالة (أمام) و(خلف)

(أمام): ظرف يدل على أن شيئاً يقع أمام الآخر حساً أو معنى. و(خلف) عكس ذلك، نحو: البيت أمامَك، والسيارة خلفَك. وكقوله: { فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً } (سورة يونس ٩٢).

وهناك ظروف بمعنى (أمام)، منها: قُدّامَ، نحو: مشى قدامَه. و(تجاه، وتلقاء)، نحو: جلس تلقاءه، وتجاهه، بمعنى: أمامه. و(قُبال، وقُبالة)، نحو: جلس قبالَ بيته، وسيارته قبالةَ بيتي.

وهذا الباب يقع الخلط فيه كثير، فتنبه لهذا فإنه مفيد.

كما يستخدم العرب (بين يديه) بمعنى: أمامه، كقوله: { لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ } (سورة الرعد ١١). وتقول: وقفت بين يَدَيْ المعلم.

ومن الظروف التي بمعنى (خلف): دُبُر، نحو: جعل القلم دبر أذنيه، أي: خلفهما.

وأما (وراء)، فهو ظرف يعني: ما توارى واستتر، سواء أمامك أم خلفك، ولا يصح قصره على (أمام)، ومن أمثلته، قوله تعالى: { وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا } (سورة الكهف ٧٩)، أي: أمامهم، ونحو: وراءك برد شديد، أي: أمامك قادم. وكقوله: { إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ } (سورة الحجرات ٤)، أي: خلف الحجرات. وقوله: { فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ } (سورة المؤمنون ٧)، أي: سوى ذلك.

٣- دلالة (يمين) و(شِمال)

يمين: ظرف يدل على أن شيئا يقع يمين شيء آخر، نحو: جلس محمد يمينَ زيدٍ.

وشمال: ظرف مكان يدل على أن شيئا يقع شمال شيء آخر، نحو: جلس زيد شمالَ زيدٍ. كما يدل على هذا المعنى لفظ آخر، وهو: يسار، نحو: جلست يسارَ زيد.

وينصبان على أنهما ظرف مكان (وما بعدهما مضاف إليه). وتدخل عليهما (على) الجارة، فتظل على معنى الظرفية، ولكنها تجر، نحو: جلست على يمين زيد، ووقفت على شمال عمر. وكذلك حرف الجر (عن)، وقفت عن يمين زيد، وعن يسار هند.

وإذا دخل عليهما حرف الجر (الباء) أفادا معنى الاسمية، نحو: العصا بيمينِ زيد (أي في يده اليمنى)، والكأس في شمال هندٍ.

كما تعرفان فتقترن بهما (ال)، نحو: أتيت من اليمين إلى الشمال. وكذلك ينكران، نحو: تفرقوا يميناً وشمالاً. وقوله تعالى: { وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ } (سورة الكهف ١٨)، أي: جهة اليمين وجهة الشمال.

- وزن: (مفعَلة) من: يمين ويسار.

كما يدل على معنى اليمين بلفظ (ميمنة)، نحو: وقفت ميمنةَ البيت. (أي: يمينه)، وتعرب ظرف مكان. وكذلك: ميسرة للدلالة على الشمال، نحو: وقفت ميسرة زيد.

- وزن (فَعْلَة) من: يمين ويسار

كما يدل على معنى اليمين واليسار بلفظ: يَمْنَةً ويَسْرَة، نحو: أحاطت السيارات بالبيت يَمْنَةً ويَسْرَة، ذهب زيد يمنة. وعادة ينون ولا يضاف.

**

٤- الوصف من الجهات:

والألفاظ السابقة تنصب على الظرفية، فتضاف إلى ما بعدها، ولا تنون ولا تدخل عليها (ال) [وهي في حالة الظرفية].

وإذا أردنا الدلالة على الوصف منها فنستعملها كما نستعمل الصفات، مع بعض التغييرات في الألفاظ على النحو التالي:

- (فوق) و(تحت)، لا يستخدمان أوصافا، وإنما يستخدم للوصف منهما: أعلى وأسفل، نحو: الطابق الأعلى، والطابق الأسفل. قال تعالى: { وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى } (سورة النجم ٧)، وقال: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } (سورة النساء ١٤٥)، وقال تعالى: { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } (سورة التوبة ٤٠ – ٤١)
- (أمام) و(خلف)، يستخدم الوصف منهما بإدخال ياء النسب عليهما، نحو: الجزء الأماميّ، والجزء الخلفيّ.

- (يمين) و(يسار)، الوصف منهما: أيمن وأيسر، (للمذكر)، ويمنى ويسرى (للمؤنث)، نحو: الجانب الأيمن، والجانب الأيسر، قال تعالى: { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ } (سورة مريم ٥٢)، ولا يأتي الوصف من (شمال)، ولكنه يأتي من (أشأم)، كما في الحديث: (فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدم).

**

كما أن (فوق) و(تحت)، لا يستعملان إلا ظروفا منصوبة، فلا يأتي الوصف منهما، ولا الاسم، فلا ينكران ولا يعرفان. أما (أمام) و(خلف) و(يمين) و(شمال) فتأتي نكرة أو معرفة وحينئذ تدل على الاسمية أو الوصفية، نحو: انتقلت من اليمين إلى الشمال.

**

كما تدخل عليها حروف الجر، وحينئذ تكون مجرورة بحرف الجر، نحو: مررت من يمين زيد، ووقفت في أسفلِ التل. وتمتعت بالأزهار من أعلى الدار[1]. وقال تعالى: { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } (سورة الأنعام ٦٥).

**

٥- الجهات الأصلية:

تستخدم أربعة ألفاظ لتحديد الجهات الأصلية، وهي: الشمال والجنوب والشرق والغرب. والفرق بين الجهات الأصلية والجهات النسبية أن الجهات النسبية تتحدد قياسا إلى موقع المضاف إليه، فمثلاً: محمد أمام السيارة (في حال كان أمامها)، ولو انتقل محمد خلف السيارة، ونظرت إليه من الجهة المقابلة، فإنك تقول: محمد أمام السيارة، فرغم أن جهته تغيرت

---

[1] يختصر العرب لفظ (أعلى)، فيقولون: عل، وذلك إذا سبق بحرف الجر (مِن)، نحو: نظر إليه من علُ، أو: من علٍ (بالتنوين). إن أريد باللفظ المعرفة بني على الضم ولم يضف (من علُ)، وإن أريد به النكرة كان معربا مجرورا: (من علٍ)، كقوله: كجلمود صخر حطه السيل من علِ، أي: من أعلى أي شيء.

إلا أن الجهة هنا نسبية، فتتحدث عنها من منظور غير ثابت. وكذلك بقية الجهات النسبية: يمين وشمال وفوق وتحت. أما الجهات الأصلية فهي جهات ثابتة، فتقول: محمد شمال السيارة، ولو انتقل إلى جنوبها، فإنك تقول: محمد جنوب السيارة. فالجهات الأصلية ثابتة.

وتتحدد الجهات الأصلية بالنظر إلى القطب الشمالي للأرض، وتستخدم هذه الألفاظ ظروفا، نحو: اليمن جنوبَ السعودية، ومكة غربَ الرياض... إلخ. كما تستخدم أسماء: أسكن في الشمال، ونحو: اجته شمالاً ثم انعطف غرباً. وتستخدم أوصافا، فتدخلها ياء النسب، نحو: الجانب الشمالي، والجهة الجنوبية... قال تعالى: {إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا } (سورة مريم ١٦)، وقال: { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ } (سورة القصص ٤٤). ولم يستخدم في القرآن الكريم لفظي: الشمال والجنوب.

وتقول العرب للريح الجنوبية التي تهب من جهة الجنوب: الريح القِبْليّة.

**

ثالثاً: أشباه الجهات

هناك ألفاظ لا تدل على إحدى الجاهات النسبية أو الأصلية، ولكنها تدل على شبه جهة، كوسط بين الجهات، أو بجانبها... وتسمى: أشباه الجهات، وهي كثيرة، منها: وأشباه الجهات، نحو: (شطر / ناحية / جهة / إزاء / حذاء/ داخل / خارج / باطن / ظاهر / جوف / جانب)، وتدل على مجموعة من المعاني، سأعرضها بحسب معانيها:

١- الدلالة على مطلق الجهة:

وتستخدم لذلك مجموعة من الظروف، منها: جهة، وناحية، وشطر، وجانب، وجنب، وإزاء، وحذاء، وتُجاه، وحِيالَ، وقُبالة، ونحو، وصوب، وكلها بمعنى: جهة الشيء، نحو: وقف محمد جهةَ زيد، وذهبت السيارة ناحيةَ الشرق، ووقفت إزاءَ محمد، وقال تعالى: { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } (سورة البقرة ١٤٤ – ١٥٠)، أي: ناحيته. ونحو: سيارتي جانبَ البيت، وبيته جنبَ بيتي، وكقوله: { أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ } (سورة الإسراء ٦٨)، وقوله: { وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ } (سورة طه ٨٠)، ونحو: وقف حيالَ الخطر، أي: جهته. ونحو: ذهب نحوَ اليمين، أي: جهته، واتجهت الكرة صوبَ المرمى.

ويدخل على بعض هذه الظروف حرف الجر (من)، كقوله: { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} (سورة مريم ٥٢)، كما يدخل عليها حرف الجر: الباء، كقوله: { وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} (سورة القصص ٤٤).

والوصف منها يكون بالمجيء بياء النسب، (وذلك في لفظ: جانب) فقط، نحو: الشق الجانبي، الخط الجانبي، الطريق الجانبي.

٢- الدلالة على المكانية مجردة من الجهة:

(حيث)، ظرف مكان مبني على الضم، يدل على المكانية مجردة من الجهة، تقول: اجلس حيث يجلس زيد، أي: في مكان جلوس زيد نفسه، فالجهة هنا غير مقصودة، والمقصود: اجلس في مكان جلوس زيد. و(حيث) يضاف إلى الجملة التي بعده، اسمية أو فعلية، ولذلك لا يأتي بعده المفرد، فلا تقول: اجلس حيث زيد، بل تقول: اجلس حيث يجلس زيد، أو: اجلس حيث زيدٌ جالسٌ. قال تعالى: { وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا } (سورة البقرة ٣٥). وقد تسبقها (مِن) الجارة، كقوله: { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } (سورة البقرة ١٩٩)، وقوله: { وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ } (سورة النحل ٢٦)، وقوله: { فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا } (سورة الحشر ٢). وقد تسبقها (إلى)، نحو: مضوا بالجنازة إلى حيثُ لا تعود.

(أنّى)، وهو مثل (حيث)، نحو: اذكر الله أنّى كنت. أي: في أي مكان تكون فيه.

٣- دلالة (داخل) و(خارج)

داخل الشيء: أي في جوفه، وباطنه، نحو: الماء داخل الكأس، والرجل داخل الدار. ولفظ (داخل) اسم، يعرب إعراب الأسماء.

ويستخدم للدلالة على (داخل) الحرف: (في)، نحو: الكوب في الماء، ونحو: المعادن متراكمة في جوف الأرض، ونحو: السعادة في راحة النفس، والظرفية هنا مجازية. وكقول الشاعر:

ولا خير فى فرع إذا طاب أصله ولـم يـك ذا طيـب يـدل علـى

وقد يدخل (في) على (داخل)، نحو: الرجل في داخل بيته. أو حرف الباء، نحو: الله يعلم ما بداخلك. وكل ذلك يدل على الظرفية. كما تستخدم ألفاظ أخرى غير (داخل)، نحو: (باطن)، و(جوف)، ولكنها تسبق بحرف الجر، نحو: الماء في باطن الأرض، القلم في جوف الصندوق...

ويقابل لفظ (داخل): لفظ (خارج)، ويدل على أن الشيء خارجا عن شيء آخر، نحو: تقابلنا خارجَ الوطن (ف: خارج) منصوب على الظرفية، وقد تسبقها (في): تقابلنا في خارج الوطن، وتقابلنا في الخارج... إلخ.

ولفظ (ظاهر) بمعنى: خارج، نحو: أسكن ظاهرَ المدينة، أي: خارجها، ونحو: لقاؤنا ظاهرَ الفندق، أي :خارجه. وهو منصوب على الظرفية، وتسبقه (مِن)، نحو: أسكن في ظاهر المدينة.

والوصف منهما: داخلي وخارجي، نحو: الغشاء الداخلي، والوجه الخارجي.

٤- دلالة (الإحاطة: حولَ)

ويدل عليه الظرف (حولَ)، نحو: السور حولَ البيت، أي: أنه محيط بالبيت، وقال تعالى: { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ } (سورة التوبة ١٠١)، وقال: { قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ } (سورة الشعراء ٢٥)، وقال: { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى } (سورة الأحقاف ٢٧). وقد يجر بحرف الجر (مِن)، كقوله: { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } (سورة آل عمران ١٥٩).

وفي (حول) لغات أخرى، تقول العرب: حوالَي، كما في الحديث (اللهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا)، ويقولون: حوالَ، نحو: الناس حوالَك.

**

٥- دلالة (التوسط: بين، وسط، خلال)

(بينَ)، ظرف مكان (أو زمان)، يدل على التوسط بين أكثر من شيء، نحو: الكتاب بينَ الكرسي والنافذة، وقوله: { وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } (سورة البقرة ١٦٤). (وظرف الزمان نحو: سآتيك بين الظهر والعصر، بين عشية وضحاها). ولهذا لا بد من أن يضاف إلى متعدد، سواء ألفظين متعاطفين، كما رأيت (الكرسي والنافذة، الظهر والعصر)، وقد يضاف إلى

مثنى أو جمع، نحو: { حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ } (سورة الكهف ٩٦)، وقولهم: مقتل المر بين فكيه، أو ما يدل على التعدد، كقوله: { وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا } (سورة الفرقان ٣٨).

ويجب تكرارها إذا كان المضاف إليه ضميرا، كقوله تعالى: { هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ } (سورة الكهف ٧٨)، وقوله: { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ } (سورة الزخرف ٣٨).

وتنصب على الظرفية، وقد تدخل عليها (مِن) الجارة فتجرها، كقوله: { نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ } (سورة النحل ٦٦)، كما أنها قد تضاف إلى ما قبلها، كقوله: { وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } (سورة العنكبوت ٢٥).

(وسْط): جلست وسْطَ القوم (أي بينهم)، وفي هذه الحالة إذا كانت بمعنى (بين) فالأحسن تسكينها (وسْط)، [بخلاف: أحمر وسَطُ وجهه، فهي اسم والأحسن تحريكها].

(خلال)، تدل على البينية، كقوله تعالى: { فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ } (سورة الإسراء ٥)، أي: ساروا بينها.

**

٦- دلالة (القرب والبعد)

(عند)، تدل على مكان الحضور، وهي دالة على القرب، نحو: وقفت عند الباب (أي: ملاصقا للباب)، وكقوله: { وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } (سورة البقرة ١٩١)، وقوله: { فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } (سورة البقرة ١٩٨)، وقوله: { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً } (سورة الأنفال ٣٥)، وقوله: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى } (سورة النجم ١٣ – ١٥). وتجر نحو: جئت من عندِ زيد.

(لَدَى)، وهي مثل: (عند)، كقوله تعالى: { وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ } (سورة يوسف ٢٥)، وقوله: { وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ } (سورة آل عمران ٤٤)، وقال: { وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ } (سورة الجن ٢٨).

(مَعَ)، وتدل على المعية والمصاحبة في المكان، نحو: زيدٌ معَ الشرطة (في جواب: أين زيد؟) أي: في معيتهم، أو في مكانهم.

وهذه الألفاظ الثلاثة تأتي أخباراً، نحو: الكتاب عندي، الكتاب لدي، الكتاب معي.

(دونَ)، تدل على المكان الأقرب، ولها معان كثيرة، وكلها تعود إلى دلالة القرب، نحو: جلس الوزير دونَ الأمير، (أي مكانا أسفل من مكان الأمير ولكنه أقرب إليه من غيره)، ونحو: عددهم دون مائة (أي: أقل من مائة، ولكنه قريب من المائة)، ونحو: اللاحق دون السابق، (أي: مكان اللاحق أقل من مكان السابق). ويجر، كقوله: { فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا } (سورة الفتح ٢٧)، أي: قريبا من ذلك.

ومن الألفاظ الدالة على القرب: قربَ، نحو: جلست قربَ المدفأة، و(جوار): جلست جوارَ زيد. و(إزاء)، و(حذاءَ)، نحو: جلس إزاءَه، ووقف حذاءَه –كل ذلك بمعنى جواره.

ويدل على القرب أيضا بالإشارة المكانية، نحو: وقفت هنا.

أما البعد فيدل عليه بالإشارة للبعيد، نحو: وقفت هناك، أو: هنالك، و(ثم)، وقد تقدم.

٧– دلالة (السابق واللاحق)

(قبل): الدلالة على سبق شيء على آخر، وتقدمه عليه في المكان الحسي أو المعنوي، (وكذلك في الزمان)، و(بعد) عكسها. وينصبان على الظرفية، ويضافان إلى مفرد، ويبينان مكان الوجود، نحو: داري بعدَ المزرعة، ونحو: سيارتي قبلَ البيت. فالمعنى: مكان بيتي، أو مكان سيارتي. أو مكان الحدث، نحو: وقفت بعد زيد (في جواب: أين وقفت؟). والأغلب استخدامهما للزمان.

المبحث الثاني: الدلالة على الزمانية (متى)

الدلالة على الزمانية هي جواب السؤال (متى)، حيث تعين من خلالها زمان حدوث الشيء[1]، نحو: متى الامتحان؟ فتجيب: بعد شهر. وكقولهم: الحر عند الحمية لا يصطاد، ولكن عند الكرم ينقاد، فلو قلت: متى لا يصطاد الحر؟ لقلنا: عند الحمية، ومتى ينقاد الحر؟ لقلنا: عند الكرم. ولا يأتي ظرف الزمان في جواب (متى) إلا إذا كان مختصا بزمن معين، كما سأوضحه.

أولا: أساليب الدلالة على الزمانية

١- الدلالة باستخدام الظرف الزماني المختص المحدد

نحو: جئت صباحاً، فـ(صباحا) ظرف زمان منصوب، في جواب: متى جئت؟ ويجوز جره بالحرف، فيصبح اسما، نحو: جئت في الصباح. ونحو: الرحلة يومَ الخميس. وكونه مختصاً، أي: أنه معرفة يدل على زمن محدد، فقولك: الرحلة يوم الخميس، تقولها والمخاطب يعلم يوم الخميس علما محددا. ولا يصح أن يكون الجواب عن (متى) بزمن مبهم[2].

---

[1] ظرف الزمان لا يأتي إلا لتعيين زمن الحدوث، ولذلك لا يخبر به إلا عن (معنى) قابل للحدوث، نحو: الرحلة يوم الخميس، والصوم شهر رمضان، والسفر صباحاً... ونحو: البرتقال شتاءً، فالحدث هنا مقدر، والتقدير: ظهور البرتقال شتاءً، وكل ذلك في جواب: متى يحدث الشيء؟

بخلاف المكان، فكما ذكرت أنه يأتي للدلالة على أمرين: مكان حدوث الشيء، ومكان وجوده، فمكان الحدوث نحو: وقفت جوارَ زيد، ومكان الوجود نحو: الحديقة أمام البيت، فالحديقة اسم ذات محسوس، وليست اسم معنى، فأنت تخبر عن مكان وجودها.

وفي حال الإخبار بالظرف فإنه يجوز فيه وجهان: النصب على الظرفية، والرفع على أنه اسم، فتقول: الصوم شهراً، أو: الصوم شهرٌ. الرجل أمامَك، أو: الرجل أمامُك، ونحو: المدرسة مني ميل (ميلا). باستثناء الظروف غير المتصرفة، نحو: فوق، وتحت، فلا يجوز رفعها، بل تلزم النصب.

[2] الأصل أن ظرف الزمان لا يكون جوابا لـ(متى) إلا إذا كان مختصا، يعين الزمن ويحدده؛ لأن السائل يسأل عن (متى) فيريد وقتا محددا. وقد يأتي ظرف الزمان مبهما في جواب (متى)، إذا قصد المتكلم إبهام الوقت، فكأنه يقول للمخاطب: ليس المهم معرفة متى، ولكن المهم معرفة ما حدث، نحو: قابلت زيدا ذاتَ صباح، أي (في صباحٍ ما)، فهنا تريد إبراز

وظروف الزمان كلها تقبل النصب على الظرفية، بخلاف ظروف المكان، فلا يقبل النصب على الظرفية منها إلا ما كان مبهما (كالجهات الست وأشباهها)، والمقادير، وصيغة (مفعل).

وهناك ألفاظ كثيرة دالة على الأزمنة المختصة، بعضها مختص باليوم وساعاته من الليل والنهار، وبعضها مختص بالشهر أوله وآخره ووسطه، وبعضها مختص بالسنة وفصولها وشهورها، وبعضها يفصل الدهر. ومن تلك الأزمنة:

غُدْوة (من طلوع الفجر إلى شروق الشمس)، وبُكرة (من طلوع الشمس إلى الضحى)، وعشية (آخر النهار)، وسحر (الثلث الأخير من الليل). وهذه الألفاظ ظروف مؤنثة، تمنع من الصرف للعلمية والتأنيث، فلا تنون، وتقتصر على الظرفية، طالما بقيت مختصة، فإن أبهمت تصريفها، تقول: قمت ليلة السبت سحرَ (فهو علم على سحر بعينه)، وفي الإبهام تقول: يقوم فلان سحراً، (أي: وقت السحر)، كقوله تعالى: { سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } (سورة مريم ١١).

ومنها: (أمسِ)، وهو ظرف زمان يدل على اليوم السابق لليوم الحاضر، نحو: قدمت المدينة أمسِ، ونحو: سافر محمد قبل أمسِ. (وهو مبني على الكسر، ولا تدخله ال، فإن قصدت به أمسا مبهما، بمعنى: الماضي، فإنك تنكره وتدخل عليه ال، نحو: كان أمسُ المسلمين طيباً – تقصد: ماضيهم، وكقوله تعالى: { فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ } (سورة يونس ٢٤).

ومنها: (الآنَ)، وهو ظرف زمان مبني على الفتح، وتفيد وقوع الحدث في الحاضر، نحو: أكملت الدرسَ الآنَ، وقوله: { قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ } (سورة البقرة ٧١)، وقوله: { الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ } (سورة يوسف ٥١)، وقوله تعالى: { آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } (سورة يونس ٩١)، فدخلت همزة الاستفهام عليها، أي: الآن آمنت – وقد كنت عاصياً – حين

الحديث عن المقابلة، وليس عن وقتها. واشتهر عن العرب إضافة (ذا)، و(ذات) إلى: صباح ومساء ومرة، فتقول: قابلته ذات صباح، وزرته ذات مساء، وذات مرة حدث هذا الأمر... إلخ.

وقد يراد من الزمن ليس إبهامه، وإنما تعميمه والدلالة على استمراره، فلو قيل: متى يزوركم فلان؟ فتقول: يزورنا كلَّ صباح (ومثله قول العرب: يزورنا صباحَ صباحَ) أي: كل صباح. فهنا تعمم الزمن وتستغرقه، فكأنك عدلت عن جواب (متى) إلى جواب (كم).

لا ينفعك إيمانك. وتدخل عليها حروف الجر: إلى، ومِنْ، وحتى، نحو: لم يأت إلى الآن، لم أتبين الفرق حتى الآن، ابدأ من الآن...

ومنها: (اليوم) معرفة، ويدل على الوقت الحاضر، وينصب على الظرفية، كقوله تعالى: {قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } (سورة البقرة ٢٤٩)، وقوله: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } (سورة المائدة ٣)، وقوله: { قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ } (سورة هود ٤٣)، وقوله: { الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ } (سورة يوسف ٩٢).

ومنها (آنفاً)، قال تعالى: { حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا } (سورة محمد ١٦)، أي: قبل قليل، فـ(آنفا) الساعة الماضية القريبة. وهو منصوب على الظرفية، على الراجح.

ومنها (غداً)، نحو: لأصومنّ غداً.

**

وتلحق بالألفاظ السابقة: ألفاظ دالة على الزمن الحاضر، منها: حالاً، توّاً، فوراً، الساعةَ، اللحظةَ، نحو: خرج من عندي تواً. (أو: في التو)، ووصلت الطائرة الساعةَ، تعال فوراً، وتوجه لرؤية والديه فورَ وصوله، أو: على الفور، أو من فوره... إلخ. قال تعالى: { بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا } (سورة آل عمران ١٢٥)، أي: يأتوكم فوراً بلا تأخر.

**

٢- الدلالة باستخدام الظرف الزماني المبهم إذا خصص

لا يأتي ظرف الزمان المبهم في جواب (متى)، إلا إذا خصص، وقد يخصص بإضافة مفرد يدل على زمن الحدوث، نحو: استيقظت عند الفجر، ومن الألفاظ المخصصة بإضافة مفرد: عند، ولدى، ومع، وقبل، وبعد، وأول، وأثناء، وحوالي.

أو يخصص بإضافة جملة، كلفظ (حين)، في نحو: قابلتها حين تخرجت من الجامعة، ومن الألفاظ المبهمة التي تخصص بإضافة جملة: حين، وإذ، وإذا، ويوم، ووقت، وساعة...

أو يخصص بالوصف، نحو: كان صوته يعلو حيناً، ولا تسمعه حيناً آخر. فوصفت (حينا) بـ(آخر)، والوصف يطرد على لفظ (حينا) في جزئي الجملة، وهذا في جواب: متى كان صوته يعلو ومتى كان ينخفض؟

وسأتناول معانيها لاحقاً.

٣- الدلالة باستخدام المفعول معه:

نحو: سرت والفجرَ، في جواب: متى سرت؟ فالواو واو المعية، والفجر: مفعول معه منصوب، ويدل على أن السير حدث في الفجر. وتقول: نمت والشاء، أدلجت والسحرَ.

٤- الدلالة بصياغة وزن (مفعل)

نحو: نلتقى مغربَ الشمس (أي: وقت الغروب).

٥- الدلالة باستخدام المصدر

نحو: سأزورك في العام القادم قدومَ الراجعين من الحج. فـ(قدوم) مصدر الفعل: قدم، وهو دال على الزمانية، والمعنى سأزورك وقت قدوم الحجاج. وقد جاء في جواب: متى تزورني؟ (فالمصدر هنا كما يقول النحاة: ناب مناب الظرف)، ونحو: خرجت من البيت شروق الشمس وعدت إليه غروبها، وهذا في جواب: متى خرجت؟ ومتى عدت؟

٦- الدلالة باستخدام حرف الجر

ومنه الباء: نحو: زيد يعمل بالليل والنهار. في جواب: متى يعمل زيد؟

ومن الحروف: اللام، وإلى، وعلى[1]. وسأتناولها في (ثانيا) في المعاني.

٧- الدلالة على الزمن بزمن حدث آخر

وقد يدل على زمن حدوث الشيء بربطه بزمن آخر، نحو: عندما تشرقُ الشمس يتحركُ القطار. (فهو في جواب: متى يتحرك القطار؟). والجملة الأولى هي الدالة على جواب متى. وتستخدم لذلك مجموعة من الأدوات، منها: عندما، ومتى، وأيان، وأنى، وإذا، وإذ، وحين... إلخ. وسأتناوله في (ثالثا).

**

[1] وأما (عن) في نحو: الزعيم لا يكون عن حمل الأعباء وانيا، ولا عن بذل التضحيات مترددا، فالصحيح أنه حرف جر تعدى بها الفعل (ونى)، و(تردد)، تقول: ونى عن حمل الأمر، وتردد عن التضحية. وليست للظرفية الزمانية.

ثانياً: معاني الظروف الزمانية

١- الدلالة على الملاصقة الزمنية:

(عند)، نحو: الصبر عند الصدمة الأولى، ونحو: استيقظت عند الفجر، ونحو (عند) في قوله:

إذا الشعر لم يطربك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

فهو جواب لـ(متى).

(لدى)، مثل (عند)، نحو: وصل لدى غروبِ الشمس. (في جواب: متى وصل؟)

(مع)، للدلالة على المصاحبة الزمانية، نحو: سار مع الأذانِ (في جواب: متى سار؟)، ونحو: جاء مع الظهر.

٢- الدلالة على السبق والتأخر الزمني:

(قبل وبعد)، للدلالة على أن زمنا قبل آخر، أو بعده، نحو: جئت بعد العصر، سأنطلق قبل المغرب، وكقوله: { فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } (سورة البقرة ١٦٤)، وقوله: { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } (سورة الصافات ٧١). وقد يجران بـ: مِن، كقوله: { إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى } (سورة الأحقاف ٣٠)، وقوله: { ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ } (سورة البقرة ٥٢)، وقوله: { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ } (سورة آل عمران ١٣٧).

و(قبل) و(بعد) ظرفان مبهمان، يختصان بالإضافة، فينصبان على الظرفية، كالأمثلة السابقة، وقد لا يضافان، فيبنيان على الضم، فتقول: جئتك قبلُ. كقوله تعالى: { لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ } (سورة الروم ٤)، وقوله: { فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ } (سورة التين ٧)، وقوله: { قَالُوا

إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ } (سورة الطور ٢٦)... إلخ، والإضافة مقدرة، يدل عليها السياق. وقد ينكران وينونان، تقول: جئتك قبلاً، وقرئ: لله الأمر من قبلٍ ومن بعدٍ.

ومن التعبيرات العربية: افعل هذا قبلَ فوات الأوان، أي: قبل تعذر فعله.

(أول)، بمعنى: سابق، نحو: أجب نداء الصلاة أولَ الناس، فهي في جواب: متى تجيب الصلاة؟ والجواب: أول وقت يجيب الناس فيه، و(أول) ظرف زمان منصوب. وقد تنكر، نحو: أجبت نداء الصلاة أولاً (أي: سابقا لكل شيء). ومن الأمثلة قوله تعالى: { وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} (سورة التوبة ١٣)، فالسؤال: متى بدأوكم؟ والجواب: أول مرة. وقد تجر بـ(من)، كقوله: { لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ } (سورة التوبة ١٠٨)، وباللام، كقوله: { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ } (سورة الحشر ٢)، أي: لأول زمن الحشر.

٣- الدلالة على الظرفية الزمانية:

(أثناء)، بمعنى (خلال)، وتختص بالزمان، وتدل على أن حدثا وقع متداخلا مع حدث آخر، نحو: شاهد التلفاز أثناءَ تناولِ العشاء. وقد يسبق بـ(في) الجارة، نحو: تعلمت في أثناءِ رحلتي.

(خلال)، نحو: سأسافر خلالَ أسبوع. وقد تجر، نحو: سأبدأ عملي في خلالِ ساعة.

(في غضونِ)، ويضاف لفظ (غضون) غالبا إلى الزمن، ويجر بـ(في)، نحو: سآتيك في غضون ساعة.

الدلالة بحرفي الجر: الباء، و(في)، نحو: زيد يعمل بالليل والنهار. في جواب: متى يعمل زيد؟ وكقوله: { وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ } (سورة آل عمران ١٢٣)، في جواب: متى نصركم؟ فهنا تبين ظرفية الحدث.

الدلالة على الظرفية بـ(على)، في قوله تعالى: { وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا } (سورة القصص ١٥)، في جواب: متى دخل المدينة؟ ومنه قولهم: أخذه على غرة أو: على حين غرة. وقول الشاعر:

يـا حبـذا النيـل علـى ضـوء القمـرْ وحبذا المساء فيه والسحرْ

٤- الدلالة على ابتداء الغاية الزمنية وانتهائها:

وقد تناولت هذا في باب انتهاء الغاية، نحو: سرت من العصر إلى الليل، في جواب: من متى سرت وإلى متى؟

وكقوله: { لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ } (سورة النساء ٧٧)، وقوله: { وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى } (سورة نوح ٤)، وقوله: { كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى } (سورة الرعد ٢).

وتستخدم اللام في نحو: كتبت هذا الكتاب لغرة رجب، في جواب: متى كتبته؟ (وغرة رجب أوله)، وتقول: أكملت العمل لخمس خلون من رمضان، ونحو: أكلمت الكتاب لثلاث عشرةَ خلت من الشهر (أي في: ١٣ من الشهر)، ونحو: أكلمت الكتاب لثلاث عشرة بقيت من الشهر (أي: في ١٧ من الشهر).

**

٥- الدلالة على التقريب:

(حوالَيْ). وقد يأتي في جواب متى الظرف الزماني التقريبي للوقت، نحو: قابلت زيداً حوالَيْ الساعةِ التاسعةِ (في جواب: متى قابلت زيداً؟)، فأنت هنا لا تحدد الوقت تحديدا تاما، فلم تقل: قابلته التاسعةَ، بل: حوالي التاسعة، أي: قريب من هذا الوقت. وما بعد الظرف مضاف إليه.

(تقريباً)، نحو: جاء الساعة التاسعة مساءً تقريباً.

(نحو)، نحو: جاء نحوَ التاسعةِ، أو: جاء في نحوِ التاسعةِ.

**

ثالثاً: الربط بين أزمنة الأحداث

١- الدلالة على الزمن بزمن حدث آخر

قد يدل على زمن حدوث الشيء بربطه بزمن آخر، فتأتي جملتان، تكون الجملة الأولى هي الواقعة في جواب متى. (والحدث الذي في الجملة الثانية هو الذي نريد معرفة زمنه).

ومن ذلك:

- استخدام الشرط للربط بين جملتين، ويستخدم لذلك: (متى، أيان، أي)، وهذه الأدوات جازمة، نحو: متى تأتِه تأمنْ. فهي في جواب (متى تأمن؟). ونحو: أي يوم تحضرْ أحضرْ. (في جواب: متى تحضر؟). وقد تقدم في الشرط.
- استخدام (ما) بإدخالها على الظروف الزمانية المبهمة، ولا تكون جازمة، وتليها جملتان فعليتان، ومن ذلك: (عندما، ووقتما، وحينما)، نحو: عندما تشرقُ الشمس يتحركُ القطار. (فهو في جواب: متى يتحرك القطار؟). والجملة الأولى هي الدالة على جواب متى. ونحو: حينما تخرج من الجامعة أخذ جائزته.
- استخدام (بينما)، وذلك بإدخال (ما) عليها، وبينما مثل (عندما)، إلا أنها تفيد المفاجأة أيضاً، ويأتي بعدها جملتان (اسمية أو فعلية)، نحو: بينما أنصفتني بالود ظلمتني بالمن. وترتبط الجملة الثانية كثيراً بـ (إذْ)، الدالة على المفاجأة، نحو: بينما أنا أقرا إذْ رن الجرس. (في جواب: متى رن الجرس؟)، ونحو: بينما نحن جلوس إذ أقبل أعرابي. وقد تختصر اللفظة فيقال: (بينا)، نحو: بينا نسوس الناسَ إذ دولتُنا تنهار، ونحو: بينا محمد يأكل إذ جاءه أخوه. والجملة الأولى هي الدالة على جواب متى.
- الربط التكراري، باستخدام (كلما)، نحو: كلما طلع الصباح سبحت الله. (في جواب: متى تسبح الله؟) فيدل على تكرار وقوع الحدث مرتبطا بحدث آخر، ويقد

بعد (كلما) جملتان ماضويتان لفظاً، وتفيدان تكرار الزمن، ومن ذلك قوله: { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا } (سورة آل عمران ٣٧)، وقوله: {وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ } (سورة هود ٣٨). ومن الخطأ الشائع تكرار (كلما).

- الربط باستخدام (لَمَّا)، ويفيد مطلق تعلق زمن بآخر، دون تكرار، نحو: لَمَّا سافر زيد ماتت أمه. (فهو جواب: متى ماتت أم زيد؟)، والجملة الأولى بعد (لما) تكون فعلها ماضيا، أما الجملة الثانية، فقد يكون فعلها ماضيا، وهو الغالب، وقد يكون مضارعا، وقد تكون جملة اسمية مقترنة بـ (إذا)، أو (الفاء). ومن ذلك قوله تعالى: { فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ } (سورة البقرة ١٧)، وقوله: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } (سورة الأَنعام ٤٤)، وقوله: { فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ } (سورة هود ٧٤)، ف(يجادلنا) مضارع، وقد وقع في جملة الجواب. وقوله: { فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ } (سورة العنكبوت ٦٥)، وقوله: { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ } (سورة الزخرف ٥٠)، وقوله: { فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ } (سورة لقمان ٣٢).

**

٢- الدلالة باستخدام (إذا، إنْ) للربط الاحتمالي في المستقبل

والدلالة بها أيضاً من الربط المطلق بين حدثين، ويأتي بعدها جملتان، إلا أن الجملة التي تلي (إذا)، هي جواب (متى)، سواء تقدمت (الأداة: إذا، إنْ) أم تأخرت.

(إذا): الربط بين حدثين لم يتحققا بعد، أي سيتحققان في المستقبل، فتحققهما احتمالي، وتستخدم لذلك: (إذا)، نحو: إذا أقبل الليل فقد أفطر الصائم (متى يفطر الصائم؟، فالجواب: إذا أقبل الليل)، ونحو: نلتقي غداً إذا طلعت الشمس، ونحو: إذا حضر محمد فأكرمه؟

(في جواب: متى أكرم محمد؟)، وكقوله: { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا } (سورة البقرة ٢٠٥)، (جواب لـ: متى يسعى في الأرض ليفسد فيها؟ فالجواب: إذا تولى)، وكقوله: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ } (سورة الحج ٧٢) (في جواب: متى تعرف في وجوههم المنكر؟).

(إنْ)، وهي مثل إذا، للربط الاحتمالي بين حدثين، إلا أن (إن) أقرب إلى الشك، و(إذا) أقرب إلى اليقين، نحو: إن تجتهد تنجحْ. فهو في جواب: متى تنجح؟ وقد تحدثت عنها في الشرط والتعليق.

***

٣- الدلالة باستخدام (إذْ) وأخواتها للربط المتحقق

تستخدم (إذْ) للربط بين حدثين قد تحققا، إما تحققا فعلاً، وإما في حكم المتحقق:

المسألة الأولى: ما تحققا فعلا، أي قد وقعا في الماضي،

وتستخدم لذلك (إذْ)، نحو: أعطيتك ألفاً إذْ زرنا صالحاً. (فهي في جواب: متى أعطيتني؟ فالجواب: إذ زرنا صالحا)، ومنه قوله: { إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ } (سورة التوبة ٤٠)، (جواب لـ: متى نصره الله؟)، وقوله: { وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ } (سورة يوسف ١٠٠). فـ(إذ) بمعنى: حين.

ويكثر مجيء (إذْ) بعد التذكر؛ لارتباطها بأحداث الماضي، والجملة التي تليها هي جواب (متى)، وأما جملة الحدث الآخر فتكون لاحقة له، كقوله: { وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ } (سورة الأَنْفال ٢٦)، فالسؤال: أتذكرون متى آواكم الله ونصركم؟ والجواب: إذ أنتم قليل... وقد يكون لاسؤال مقدرا، كما في قوله: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } (سورة البقرة ٣٠)، فالسياق يبين أن السؤال المقدر: متى بدأ الله خلق آدم؟ والجواب: إذ قال ربك...، أي في تلك اللحظة. وكقوله: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا } (سورة البقرة ٣٤)، فالسؤال: متى

سجدت الملائكة لآدم؟ والجواب: سجدوا إذ قلنا لهم اسجدوا. وكقوله: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (سورة البقرة ١٢٧)، فالسؤال: متى قال إبراهيم وإسماعيل: ربنا اجعلنا.. فالجواب: إذ يرفعان القواعد...إلخ.

كما تستخدم لذلك الظروف المبهمة، فتضاف إلى الجملة التي بعدها، فتصبح مختصة بالإضافة، فهناك ألفاظ زمانية مبهمة، نحو: حين، وقت، يوم .. وإذا أضيفت تختص بالإضافة. وقد ذكرت أنه لا يصح أن يكون الجواب عن (متى) بزمن مبهم. فنحو: عملت حيناً (جواب عن: كم، وليس عن: متى)؛ لأن (حين) زمن مبهم، إلا إذا عرفته بإضافة، نحو: عملت حينَ تخرجت من الجامعة. (فهو جواب للسؤال: متى عملت؟)، فإضافته خصصته. ونحو: كان المسلمون أمة قوية يومَ حكموا بالعدل.

المسألة الثانية: الربط بين حدثين في حكم المتحقق،

قلت إن (إذْ) تأتي بعدها جملة، فتكون جوابا لـ: متى، فالجملة متعلقة بـ(إذ)، ويعربها النحاة مضافة إلى (إذ)، كالأمثلة السابقة، وفي هذه الحالة تكون الجملة دالة على الماضي. وقد ورد عن العرب عدم ذكر جملة بعد (إذ)، فيأتون بـ (إذ) منونة بالكسر، ويسبقها لفظ مبهم، نحو: يوم، حين، وقت، ساعة، آن،... فتصبح: يومئذ، وحينئذٍ، ووقتئذ، وساعتئذ، وآنئذٍ...، وتدل على المستقبل الذي يكون حدوثه واقع يقينا، كقوله: { يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ } (سورة إبراهيم ٤٨ – ٤٩)، (فالسؤال: متى ترى المجرمين مقرنين في الأصفاد؟ والجواب: يومَئذٍ. فلم تذكر الجملة بعد (إذ) استغناء بالسياق، والمعنى: يوم إذ يبرز الناس لله الواحد القهار. وكقوله: {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ } (سورة الواقعة ٨٣ – ٨٤)، فالسؤال المقدر: متى تنظرون إلى المحتضر ولا تفعلون شيئا؟ والجواب: حينئذٍ، أي: حين إذ بلغت روحه الحلقوم، فاستغنى عن ذكر الجملة بالسياق. وعلى ذلك فقس.

ويستخدم لذلك أيضاً لفظ: حين، كقوله: { لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ } (سورة الأنبياء ٣٩)، فما بعد (حين) متحقق الوقوع، وقوله: { وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا } (سورة الفرقان ٤٢)،

فالسؤال: متى يعلمون من أضل سبيلا؟ والجواب: حين يرون العذاب. ومنه قوله: { أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (سورة الزمر ٥٨).

ولفظ (يوم)، كقوله: { يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ } (سورة الذاريات ١٢ – ١٣)، فجاء بالسؤال والجواب[1].

***

وقد تضاف هذه الألفاظ المبهمة إلى (ذاك)، فتقول: يومذاك، وآنذاك، وحينذاك، نحو: حفظ البخاري أكثر من مائة ألف حديث، ويومذاك كانوا يعتمدون على الذاكرة في الحفظ.

**

[1] الحكم الإعرابي لهذه الألفاظ المضافة إلى الجمل، أنها تبنى على الفتح، ويمكن القول إنها منصوبة على الظرفية، ويجوز إعرابها بغير النصب، ومن إعرابها قوله تعالى: { قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } (سورة المائدة ١١٩)، فـ(يوم) خبر مرفوع، وعلامة رفعه الضمة، وقوله: { يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ } (سورة المعارج ١١)، فيوم مجرور بالإضافة، وعلامة جره الكسرة. وقوله: على حينِ عاتبت المشيب على الصبا. وورد: حينَ.

هذا وقد ألحق بعض النحاة بأسماء الزمان المبهم ما ليس زمانا من كل اسم معرب ناقص الدلالة بسبب توغله في الإبهام، مثل (غير، دون، بين، مثل،...)، إذا أضيف إلى مبني فيجوز إبقاؤه على الفتح ويجوز إعرابه، نحو: ما قام أحد غيرك، قال الله تعالى: { فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ } (سورة الذاريات ٢٣)، وقال: { وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ } (سورة الجن ١١)، وقال: { لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ } (سورة الأنعام ٩٤).

المبحث الثالث: الدلالة على المقدارية (مكاناً وزماناً) (كم)

الدلالة على المقدارية هي جواب السؤال (كم)، وهي تعين أحد أمرين[1]:

الأول: المسافة المكانية، حيث تعين مقدار المسافة، نحو: كم ميلاً مشيت؟ فتجيب: مشيت ستة أميال.

الثاني: المدة الزمانية، حيث تعين من خلالها مدة زمان حدوث الشيء، نحو: كم تمكث؟ فتجيب: أمكث شهراً.

ويليها تمييز منصوب، نحو: كم شهراً تمكث؟ وكم ميلاً مشيت؟

وفيما يلي: أساليب الدلالة على المقدارية الزمانية والمكانية، ومعانيها.

١- الدلالة باستخدام لفظ المقدار (المبهم)

تقول: مشيت ميلاً، فدللت على المقدار بظرف مبهم، ولفظ المقدار معلوم من حيث مقداره، ولكنه مبهم من حيث إنه لا يختص بمكان معين[2].

وكذلك في الزمان، تقول: سرت ساعةً من الزمن، فالساعة وإن كانت معلومة المقدار، ولكنها مبهمة، فلا تختص بساعة معينة. فالزمن المختص لا يأتي في جواب كم، وإنما في جواب: متى، تقول: وصلت الساعة الرابعة (في جواب: متى وصلت؟)، ونحو: ولدت رمضانَ، (في جواب: متى ولدت؟). ومن الأزمنة المبهمة التي تأتي جوابا لـ (كم): وقت، ومدة، وحين، ولحظة،

---

[1] الدلالة العامة لـ (كم) الاستفهام بها عن المقدار، عددا أو ثمنا أو مسافة أو مدة...، وقد تحدثت عنها في (الاستفهام).

[2] هناك ألفاظ كثيرة وردت عن العرب دالة على مقادير المسافات، وأشهرها: الذراع = ٤٦،٢سم (وهو الذراع المصري ذراع اليد)، والباع = ٤ أذرع. والميل = ٤٠٠٠ ذراع [= ١٨٤٨متر]، والفرسخ = ٣ أميال [=٥٥٤٤ متر]، والبريد = ٤ فراسخ [= ٢٢١٧٦ متر]، ومن المقادير الدخيلة حديثا: المتر= ١٠٠سم، والقدم =٣٠,٤سم، واليارده = ٩١،٤٣سم، والكيلو = ١٠٠٠ متر.

وبرهة، وزمن... إلخ. وكلها تنصبها على الظرفية، أو تجرها بالحرف، نحو: سافرت مدةَ شهرا، أو: سافرت لمدةِ شهر.

٢- الدلالة باستخدام لفظي: بعض أو كل

فيضافان إلى زمن بعدهما، نحو: نمت كلَّ الليل، استمر الحفل بعض الليل، مشت القافلة بعض الأميال، قطعت كل الطريق.

٢- الدلالة باستخدام العدد

نحو: مشيت خمسَ ساعات قطعت فيها ثلاثةَ أميال، في جواب: كم مدة من الزمن؟ وكم مسافةً مشيت؟

٣- الدلالة باستخدام المصدر

نحو: سأمكث عندك كتابةَ صفحة. وأنتظرك لبسَ الثياب، وأغيب غمضةَ عين.

أي: مدةَ كتابة. ومدةَ لبس، ومدةَ غمضة،.... وهذا في جواب كم الزمانية؟

٤- الدلالة باستخدام الوصف

نحو: صبرت طويلاً. أي: (صبرت زمناً طويلاً)، وهو في جواب: كم صبرت؟

٥- الدلالة بتزمين الحدث:

(رَيْثَما)، نحو: بقيت مع زيد ريثما حضر زميله. في جواب: كم بقيت مع زيد؟، فأنت لم تجب بمدة زمنية، فلم تقل: بقيت معه ساعةً... بل ربط مدة البقاء بحدث آخر، وهو حضور زميله. ومنه قول الشاعر:

ولكــن نفســاً حُــرّةً لا تقــيم بــي على الضيم إلا ريثما أتحول

أي: مدة بقائي على الضيم مرتبطة بتحولي عن المكان الذي أظلم فيه.

٦- الدلالة على التقريب:

(حوالَيْ). وذكرت سابقاً أنه يأتي في جواب (متى)، وكذلك يأتي في جواب (كم)، لتقريب المدة الزمانية، أو المسافة المكانية، نحو: سرت حوالي عشرين ميلاً، وعاش حوالي مائة عام. وما بعد الظرف مضاف إليه.

(قُرابةَ)، وهو ظرف يدل على المقدار الزماني أو المكاني، مثل (حوالي)، نحو: سرت قُرابةَ عشرين ميلاً، وعاش قُرابةَ مائة عام. وما بعد الظرف مضاف إليه.

٧- الدلالة على استمرار المدة أو عدم استمرارها:

هناك مجموعة من الظروف تدل على استمرار المدة، أو نفيها، تبدأ من نفي الحدوث إلى إثبات الاستمرار، ومنها: أبداً، ودائما، وغالباً، وأحيانا، ونادراً، وقطّ.

(أبداً)، ظرف زمان يدل على الاستمرار في المستقبل، كقوله: { خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } (سورة التوبة ٢٢ – ١٠٠)، وقوله: { إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا } (سورة المائدة ٢٤)، وقوله: { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا } (سورة التوبة ٨٤).

(دائماً)، نحو: هو يزورنا دائماً. وتقول: دَوْماً، نحو: هو يزورنا دوماً.

(طَوال الوقت)، هو يتكلم طَوالَ الوقت. بمعنى: (دائما).

(أحياناً)، نحو: أزور المدرسة أحياناً. (في جواب: كم تزور المدرسة)، أو تقول: حيناً وحيناً، أو: بين حين لآخر، أو: بين حين وحين، أو: من حين إلى آخر، أو: حيناً بعد حين.

(قطّ)، ظرف زمان يفيد استغراق الماضي، ويختص بالنفي، نحو: ما فعلت هذا قطُّ، وما رأيته قطُّ، وهو مبني على الضم. (بخلاف: أبداً، فإنه يدل على الاستغراق في المستقبل).

٨- الدلالة على تكرار الحدث:

يدل على تكرار الحدث، في جواب (كم مرة)، بعض الظروف الزمانية، ومنها:

(تارَةً بعد تارة، ومَرّةً بعد مرة، ومراراً وتكرارا)، نحو: حاول الوصول إليه تارةً بعد تارة (في جواب كم مرة حاول الوصول إليه؟)، أو تقول: سلكت هذا الطريق مرة بعد مرة، أو: مرة بعد أخرى، أو: تارة بعد أخرى، أو: مرارا وتكرارا. فكل هذه الأمثلة في جواب: كم مدة الفعل؟ فيأتي الجواب أن الفعل له مدد عديدة، حيث تكرر مرة بعد مرة.

(أكثر من مرة)، ويدل على تكرار الحدث دون تحديده بعدد معين، نحو: سافرت إلى مكة أكثرَ من مرة.

المبحث الرابع: الابتداء والانتهاء في الغايات المكانية والزمانية

مفهوم الغاية

عندما تقول: (سافرت من اليمن إلى مصر)، ففي هذا المثال عندي نقطة ابتداء لسفري هي اليمن، ونقطة انتهاء هي مصر، وبينهما مسافة محصورة تسمى المسافة المكانية، فنقطة البدء ونقطة الانتهاء والمسافة المكانية كلها تسمى (الغاية المكانية).

وكذا لو قلت: (سافرت من الظهر إلى العصر)، فهنا عندي غاية زمانية، نقطة ابتدائها الظهر، ونقطة انتهائها: العصر، وما بينهما مسافة زمانية. ولكل من الغايتين أدوات تعبر عنهما.

أولا: ابتداء الغاية المكانية

هناك عدة أساليب تتضافر في الدلالة على بدء الغاية المكانية، وهي: (مِنْ، مِنْ لَدُنْ، مِنْ عند)، فالأسلوب الأساس يقوم على (مِنْ)، ولها ثلاث صور

١- الصورة الأولى: (مِن):

الأولى (مِنْ) مجردة، ويليها اسم مجرور وهو الذي تبدأ الغاية منه، كقوله تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } (سورة البقرة ٢٥٨)، أي: من جهة المشرق، ومن جهة المغرب. ونحو: جاءتني رسالة من زيد؛ فابتداء جهة الشمس هو المشرق، وابتداء مكان المجيء هو زيد.

٢- الصورة الثانية: (مِنْ لَدُنْ):

الثانية: (مِنْ لَدُنْ)، ويلي (لدن) اسم مجرور وهو الذي تبدأ الغاية منه، نحو: جاءتني رسالة من لدن زيدٍ، ونحو: سافرت من لدن القاهرة إلى الإسكندرية، ونحو: مشيت من لدن الجبل إلى النهر، ومنه قوله تعالى: { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } [هود: ١]،

وقوله: { وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: ٤٠]، وقوله: { وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } [النساء: ٧٥].

٣- الصورة الثالثة: (مِنْ عِنْدِ)

الثالثة: (مِنْ عِنْدِ)، ويلي (عند) اسم مجرور وهو الذي تبدأ الغاية منه، نحو: جاءتني رسالة من عندِ زيدٍ، ونحو: سافرت من عند القاهرة إلى دمياط، ونحو: سننطلق من عند الجامعة، ونحو: السفر من عند البيت، وكقوله تعالى: { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } [البقرة: ٧٩]، وكقوله: { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا } [الكهف: ٦٥].

***

ثانيا: ابتداء الغاية الزمانية

والأساليب التي تدل على بدء الغاية الزمانية، هي: (مِنْ، لَدُنْ، عند، مُذْ، مُنْذُ).

١- الأسلوب الأول: (مِنْ)

(مِنْ)، ويليها اسم مجرور وهو الذي تبدأ الغاية منه، نحو: سافرت من العصر إلى المغرب.

٢- الأسلوب الثاني: (عند)

(عند)، ويليها اسم مجرور وهو الذي تبدأ الغاية منه، نحو: سنمضي إلى القرية عند شروق الشمس، (فابتداء المضي من شروق الشمس)، ونحو: السفر عند الساعة الثامنة. هذا ولا يصح إدخال(مِنْ) على (عند) في ابتداء الغاية الزمانية.

٣- الأسلوب الثالث: (لَدُنْ)

(لَدُنْ)، ويصح فيها أن تقول: (لَدُنْ)، أو (مِنْ لَدُنْ)، ولها صور:

الأولى: أن يليها اسم مجرور وهو الذي تبدأ الغاية منه، نحو: سنمضي إلى القرية لدنْ شروقِ الشمس، ونحو: سافرت من لدن العصرِ إلى المغرب،

الثانية: أن يليها فعل ماض، يدل على بدء الغاية الزمانية، نحو: أنا هنا من لدن أذّن العصر، وكقول ابن شهيد الأندلسي:

هما صاحباي من لدن كنت يافعا مقيلان من جد الفتى حين يعثر

وكقول ابن الرومي:

نهاري لدْن فارقتني لك موحِشٌ وليلي فقيدُ النوم حتى انحسارِهِ

الثالثة: أن يليها المصدر المؤول من (أَنْ والفعل الماضي)، كقول الشاعر:

أرَاني لَدُنْ أنْ غابَ قَوْمي كأنّمَا يرانيَ فيهمْ طالبُ الحقّ أرنبا

وقول كثير:

وَمَا زِلْتُ مِنْ لَيْلى لَدُنْ أنْ عَرَفْتُها لكالهائمِ المقصى بكلِّ مذادِ

**

٤- الأسلوب الرابع: (مذ، منذ)

ولاستعمالها صور:

الأولى: أن يليهما اسم مجرور[١] ظاهر دال على زمن، يدل على بدء الغاية، نحو: أَحَبَّ محمد العلم منذ طفولتِه[٢]، ونحو: زيد يقيم في مصر منذ عامِ ٢٠٠٠م، ونحو: ما رأيته منذ يومِ الجمعة إلى اليوم[١].

---

[١] يجيز النحاة أيضا في الاسم الذي يليهما أن يكون مرفوعا، على أنهما اسمان، وليسا حرفي جر، غير أن الأولى اتباع الشائع، والاقتصار عليه.

يشترط النحاة في الاسم الذي يليهما أن يكون: اسما ظاهرا – لا ضميرا – وأن يكون وقتا [فلا يصح: منذ البيت]/ وأن يكون الوقت متصرفا [فلا يصح: ما رأيته منذ سحر (تريد: سحر يوم معين)]/ وأن يكون معينا لا مبهما [فلا يصح: منذ حين، ولا: من برهة أو:لحظة]/ وأن يكون ماضيا أو حاضرا – لا مستقبلا – [فلا يصح: مذ غد].

إذن فلا تليهما النكرة، ويستثنى من الإبهام ما إذا كانت النكرة معدودة، نحو: منذ ثلاثة أيام أو منذ يومين، وما في حكمها نحو: شهر، سنة، يوم، وقت طويل، ومنه قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان وَرَسْمٍ عَفتْ آياتُه مُنذُ أزْمَانِ

(أي: منذ أزمان طويلة).

فيصح أن تقول: ونحو: ما رأيته منذ يوم، أو مذ ليلةٍ، أو منذ ساعةٍ، أو منذ دقيقةٍ، ولا يصح: ما رأيته منذ لحظة، إلا إذا تعينت نحو: منذ لحظات، أو: منذ لحظة قليلة.

[٢] (الطفولة) اسم لا يدل على زمن، وإنما مصدر، ولكن صح المجيء به لإمكان تقدير لفظ الزمن قبله، أي: منذ وقت طفولته، وتقول: ما رأيته منذ قدوم زيد (والتقدير: منذ زمان قدومه). وكذلك في الصور الأخرى، فتقدير الزمن معتبر، وإن كنا لسنا بحاجة إلى بيانه.

الثانية: أن يليهما فعل ماض، نحو: أحببتك مذ رأتك عيناي، وهويت لقاءك منذ سمعت عنك، ومنه قول دعبل:

هذي خدودُ بني قحطانَ قدْ لصقتْ بالتربِ منذ استوى منْ فوقكَ التربُ

وقول الشريف الرضي:

جسم تفرد بالأكفان يجعلها مذ طلق العمر أبدالاً من الحلل

الثالثة: أن يليهما المصدر الموؤل من (أَنْ والفعل الماضي)، كقوله: لقد عشقت العلم منذ أن كنت صبيا يافعا.

الرابعة: أن تليهما جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، نحو: ما سافرت منذ (الجو مضطرب) (أو: مذ الجو مضطرب)، ومنه قول أبي فراس:

شِيَمٌ عُرِفتُ بهنّ، مُذْ أنَا يَافِعٌ، وَلَقَدْ عَرَفتُ بِمِثْلِهَا أسْلافي

---

(١) اعلم أنه يجوز استخدام (إلى) مع (منذ) كما في هذا المثال، ولتحرير هذه المسألة نقول أن (مذ)، و(منذ) لهما ثلاثة معاني:

الأول: معنى (مِنْ)، فيدلان على ابتداء الغاية فقط، نحو: ما رأيته منذ يوم الجمعة. [فهنا فقط يصح استخدام (إلى)، كما في المثال].

الثاني: معنى (مِنْ .. إلى)، فيدلان على ابتداء الغاية وانتهائها معا، نحو: ما رأيته منذ يومين، أي من ابتدائهما إلى انتهائهما. [وهنا لا يصح استخدام (إلى) هنا؛ لأن المعنى: ما رأيته من ابتداء هذه المدة إلى نهايتها، وعليه فلا يصح أن تقول: ما رأيته منذ يومين إلى الآن].

الثالث: معنى (في)، فهي تدل على الظرفية، نحو: ما رأيته منذ يومنا هذا، فـ(منذ) بمعنى (في)، وليست لابتداء الغاية. فلا نستعمل هنا (إلى).

الزمن مع (منذ)، و(مذ):

الزمن معهما يكون ماضيا، فهما يستخدمان للدلالة على غاية زمانية قد ابتدأت من قبل، فلا يصح أن تقول: سأزورك منذ يوم السبت، كما لا يصح أن يأتي بعدهما ما يدل على المستقبل، فلا تقول: زرتك منذ غد.

ثم إن الزمن الماضي معهما إما يكون منفيا يصح تكرار معناه، كالرؤية في نحو: (ما رأيته منذ يومين) فإن معنى الرؤية يمكن تكرره، وعليه فيصح أن تقول: ما قَتلتُ منذ سنة، ولا يصح: ما قتلت زيدا منذ سنة؛ لعدم التكرر. وإما أن يكون مثبتا ومعناه ممتد يتطاول، سواء قد انتهى أم لا، نحو: سرت منذ يوم الخميس، فالسير معنى ممتد بمعنى أنه لا يقع في لحظة ثم ينتهي، بل يمتد، وذلك بخلاف القتل مثلا، فلا يصح: قتلته منذ كذا لعدم الامتداد فيه. بل يصح استخدام الفعل المضارع الدال على الامتداد من الزمن الماضي إلى الحاضر، نحو: زيد يقيم في مصر منذ عام ٢٠٠٠م، فإقامته بدأت في الزمن الماضي، وما زالت مستمرة حتى الآن.

**

ثالثاً: انتهاء الغاية الزمانية والمكانية

وهي الدلالة على انتهاء المعنى، وهناك عدة أساليب تتضافر في الدلالة على انتهاء الغاية، وهي: (إلى، اللام، في، حتى، أو).

١ – (إلى):

تستخدم في انتهاء الغاية مطلقا، سواء أفي زمان كانت نهاية الغاية أم في مكان، وسواء أكانت الغاية هي الآخر الحقيقي لما قبل (إلى)، أم ليست هي الآخر ولكنها متصلة به اتصالا قريبا أو بعيدا.

فهذه ثلاثة أقسام لـ(إلى) الزمانية، الأول: نهاية الغاية الزمانية الحقيقية، والثاني: نهاية الغاية الزمانية المتصلة بالآخر اتصالا قريباً، والثالث: نهاية الغاية الزمانية المتصلة بالآخر اتصالا بعيداً.

وثلاثة أقسام لـ(إلى) المكانية، الأول: نهاية الغاية المكانية الحقيقية، والثاني: نهاية الغاية المكانية المتصلة بالآخر اتصالا قريباً، والثالث: نهاية الغاية المكانية المتصلة بالآخر اتصالا بعيداً.

فمثال انتهاء الغاية الزمانية الحقيقية: نمت الليلة إلى طلوع النهار (فطلوع النهار هو الآخر الحقيقي لليلة). ومثال انتهاء الغاية الزمانية المتصلة بالآخر اتصالا قريبا: نمت الليلة إلى سحرها (فالسحر ليس آخر الليلة ولكنه متصل). ومثال انتهاء الغاية الزمانية المتصلة بالآخر اتصالا بعيدا: نمت الليلة إلى نصفها – أو ثلثها... وفي قوله تعالى: { ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ } [البقرة: ١٨٧]، مثال على انتهاء الغاية الحقيقية.

وأمثلة انتهاء الغاية المكانية على التوالي: عبرت الطريق إلى الجانب الآخر، والثاني: قرأت الكتاب إلى خاتمته، والثالث: قرأت الكتاب إلى ثلثه. وفي قوله تعالى: { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى } [الإسراء: ١]، مثال على انتهاء الغاية المكانية الحقيقية؛ فالمسجد الأقصى هو آخر المسافة المكانية الواقعة بين المسجدين.

ومن حيث التركيب فلاستخدام (إلى) صورتان:

الأولى: أن يليها اسم مجرور، يدل على انتهاء الغاية، كما في الأمثلة السابقة.

الثانية: أن يليها المصدر المؤول من (أنْ) والفعل، فيدل المصدر المؤول على انتهاء الغاية، نحو: أقام محمد بزبيد إلى أن توفي، أي: إلى وفاته، ومنه قول أبي تمام:

يَا وَارِثَ المُلْكِ إنَّ المُلْكَ مُحْتَبسٌ وَقْفٌ عَلَيْكَ إلى أَنْ تُنشَرَ الصُّوَرُ

وقول حافظ إبراهيم:

سَعَيْتُ إلى أنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدَّما وعُدْتُ وما أعقبتُ إلاَّ التَّنَدُّمَا

٢- (اللام)

ويدل على أن المعنى الذي قبل اللام ينتهي وصوله إلى الاسم المجرور بها، نحو: صمت شهر رمضان لآخره، وقرأت الكتاب لختامه، وكقوله تعالى: { وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى } [الرعد: ٢]، وقوله: { إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ } [إبراهيم: ٤٢].

٣- (حتى)

وهي تدل على انتهاء الغاية، ولاستخدام (حتى) ست صور:

الصورة الأولى:

أن يليها اسم مفرد مجرور، نكرة أو معرفة، دال على زمن، كقوله تعالى: { إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ } [المؤمنون: ٢٥]، وقوله: { فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ } [المؤمنون: ٥٤]، وقوله: { سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } [القدر: ٥]،

الصورة الثانية:

أن يليها اسم مفرد معطوف على ما قبلها، وهي تدل على أن المعطوف بلغ الغاية في الزيادة أو النقص بالنسبة للمعطوف عليه، سواء أكانت الغاية حسية أم معنوية، محمودة أم

مذمومة، نحو: سهر الجيشُ كله حتى القائدُ، ونحو: الجسم حتى الأظافرُ اعتنيت بنظافتهما، ونحو: أنت كلك . حتى حديثُك . سيء، ونحو: أعجبتني الجاريةُ حتى حديثُها[1].

وكقول شوقي:

يا عادي البين، كفى قسوةً روعتَ حتى مهجات الحَمام

أي: وصل حد ترويعك إلى أن روعت مهجات الحمام. ونحو: لقد أوذي الأنبياء كلهم حتى أولوا العزم[2]. ونحو: سافرت في الأسبوع الماضي حتى في آخره[3].

الصورة الثالثة:

أن يليها فعل مضارع منصوب، وتكون (حتى) بمعنى (إلى أن)[4]، نحو: أنا أسير حتى تطلعَ الشمس، أي: إلى أن تطلع الشمس، فانتهاء سيري يكون بطلوع الشمس. ومنه قوله: { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ } [البقرة: ١٨٧]، وقوله: {وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ } [البقرة: ٢٢١]، وقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ

---

[1] يشترط النحاة في المعطوف أن يكون متصلا بما قبله اتصالا ما، فيكون بعضه حقيقة، نحو: أفاد الدواء الجسم حتى الأصبع، أو شبيها ببعضه، نحو: أعجبني العصفور حتى لونه، أو بعضا بالتأويل نحو: تمتعت الأسرة بالعيد حتى طيورها. فلو لم يكن بعضه حقيقة أو منزلة أو تأويلا لا يصح العطف به فلا تقل: أعجبتني هند حتى أختها، ولا: أعجبني الخطيب حتى نظيره.

كما يشترطون أن يكون في العطف فائدة تحقق المجيء به غاية، ولهذا فلا بد أن يكون معرفة، لا نكرة، فلا تقول: قرأت الكتب حتى كتابا، ولا: سافرت أياما حتى يوما.

[2] لا بد أن تكون الغاية واقعية بالنسبة لما قبلها، وقد تكون غاية ذهنية، بمعنى أن الترتيب يكون في الذهن، نحو: أوذي الأنبياء كلهم حتى صالح، هنا لا يوجد ترتيب زمني حسي أو معنوي، إنما فقط الترتيب في الذهن حسب السياق. وفي الأثر (كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس)، فهذا أفاد التدرج من الأضعف إلى الأقوى.

[3] لاحظ هنا أن حرف الجر أعيد بعد (حتى)، وذلك خوفا من وقوع اللبس، فنحو: نحو: سافرت في الأسبوع الماضي حتى في آخره، أفاد أن السفر في أوقات متقطعة من الأسبوع وبعضها آخره، فلو قلت: حتى آخره، لأوهم استمرار السفر.

[4] لـ(حتى) التي يليها فعل مضارع ثلاثة معاني، الأول: بمعنى (إلى أن)، والثاني: بمعنى (كي) التعليلية، نحو: أطع ربك حتى يدخلك الجنة، ومحله باب التعليل، والثالث: بمعنى (إلا أن)، نحو: لا تشهد بالباطل حتى تخرجَ روحك من جسدك، ومحله في الاستثناء.

وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا } [النساء: ٤٣]، وقوله: { وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } [الحجرات: ٥]، وقوله: { قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى } [طه: ٩١].

الصورة الرابعة:

أن يليها فعل ماض، ويكون حكاية عن أمر مضى، وما بعد (حتى) غاية لذلك الحدث، كقوله تعالى: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } [الأنعام: ٣٤]، وقوله: { فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ } [الأنبياء: ١٥]، وقوله: { وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ } [يس: ٣٩]، وقوله: { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} [التكاثر: ١ – ٢]. وكقول أبي فراس:

لقد زدتُ بالأيامِ والناسِ خبرةً وجربتُ حتى هذبتني التجاربُ

وقول أحمد شوقي:

أَين أَشرافُكِ الذين طَغَوْا في الدهر حتى أَذاقهم طغيانه

وقول المتنبي:

وجاهلٍ مده في جهله ضحكي حتى أتته يدٌ فراسة وفم

الصورة الخامسة:

أن تليها جملة شرطية، غالبا تبتدئ بـ (إذا) الشرطية، وتكون الجملة الشرطية دالة على غاية ما قبلها، كقوله تعالى: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ} [النساء: ١٨]، قال أبو السعود في تفسيره: "(حتى) حرف ابتداء، والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها، أي: ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات إلى حضور موتهم"، ومنه قوله تعالى: { قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ

عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف: ٣٨]، قال أبو حيان:"(حتى) غاية لما قبلها، والمعنى: أنهم يدخلون فوجا فوجا لاعنا بعضهم بعضا، إلى انتهاء تداركهم وتلاحقهم في النار واجتماعهم فيها".

ومنه قوله: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا } [النور: ٣٩]. وقوله: { فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ } [محمد: ٤]. وكقول أبي فراس:

وتغضبُ حتى إذا ما ملكتَ أطَعْتَ الرّضا ، وَعَصَيْتَ الغَضَبْ

وقد تكون بغير (إذا)، كقول شوقي:

ما ترى الكَرْم قد تشاكلَ ، حتى لو رآه السُّقاةُ ما حقَّقوه

وقول أبي تمام:

تعوَّدَ بسط الكفِّ حتى لو أنَّه ثناها لقبض لمْ تُجبهُ أنامِلُهْ

الصورة السادسة:

أن تليها جملة اسمية، نحو: المعروف يأسر القلوب، حتى قلوبُ الأعداء مأسورةٌ، ونحو: الصناعة مفيدة حتى فائدتُها الخلقية كبيرة. وغالبا ما تكون مؤكدة، نحو: أحبك حبا حتى إني لأضحي من أجلك بكل شيء، وكقول البتحتري:

إن سِيلَ أَحرزَ مَالهُ بِوقَايةٍ مِنْ بُخلهِ وسُرادِقٍ من عِرضِهِ
لَبس الخَزَى واللُّؤْمَ حتى إنهُ يخْزَى ويأْنفُ بعضهُ من بعْضِهِ

ومنه قول شوقي:

أَنا أَهواكَ ، ولا أَرْضى الهوى مِن شُركائي
غِرْتُ ، حتى لَترى أَرضىَ غَيْرَى من سمائى

ويكثر أن تليها (كأن) التشبيهية، كقول بهاء الدين زهير:

كادتْ عيونهُمُ بالبُغض تَنطِقُ لى حتى كأنّ عيونَ القومِ أفواهُ

**

الفروق بين (حتى) و(إلى):

وبينها وبين دلالة (إلى) على انتهاء الغاية فروق:

الأول: أن دلالة (حتى) على انتهاء الغاية يكون بالتدرج والتمهل، أي لا دفعة واحدة، بمعنى أن ما قبلها ينقضي شيئا فشيئا لا دفعة واحدة ولا سريعا، فلا بد من التدرج والتهمل. وهذا بخلاف (إلى) حيث ينقضي ما قبلها بغير تمهل ولا انقطاع غالبا، ولهذا تقول: كتبت إلى الأخ رسالة (ولا يصح: كتبت حتى الأخ رسالة).

الثاني: الغاية النهائية تدخل مع (حتى)، نحو: سهرت الليلة حتى الفجر، فإن الفجر يدخل في السهر، بخلاف (إلى) فإن الغاية النهائية لا تدخل فيها، فلو قلت: قرأت الكتاب إلى الصفحة العاشرة فالمقصود أن الصفحة العاشرة لم تقرأ، فهي خارجة عن الحكم، وكذا: صمت الأسبوع الماضي إلى يوم الخميس، فيوم الخميس لا يدخل، إلا إذا وجدت قرينة نحو: صمت شهر رمضان من أوله إلى اليوم الأخير.

ولو قلت قرأت الكتاب حتى الصفحة العاشرة، فإنه يعني دخول الصفحة العاشرة في المقروء، ونحو: صمت الأسبوع الماضي حتى يوم الخميس، فالخميس داخل. أما لو قلت: كدت أفرغ من الكتاب فقد قرأته حتى الفصل الأخير، فإن الفصل الأخير هنا لم يقرأ، فالغاية النهائية لم تدخل هنا لوجود القرينة (كدت) بمعنى قاربت.

الثالث: إذا وجدت (من) الدالة على البدء فلا يصح المجيء بـ (حتى)، فلا يصح: سهرت من الليل حتى الفجر، بل الصحيح: إلى الفجر.

الرابع: أن (حتى) تجر ما يتصل بالآخر اتصالا مباشرا، نحو: سهرت الليل حتى السحر. ولكنها لا تجر ما يتصل بالآخر اتصالا بعيدا، فلا تقل: سهرت الليل حتى نصفه أو ثلثه... ولكن قل: سهرت الليل إلى نصفه.

***

٤- (أو)

و(أو) تدل على الغاية فتكون بمعنى (إلى أن)، ويليها فعل مضارع منصوب، نحو: أتناول الطعام أو أشبعَ (أي: إلى أن أشبع). ودلالتها على الغاية كدلالة (حتى) فينقضي المعنى قبلها شيئا فشيئا لا دفعة واحدة، ويتم انقضاؤه بمجرد وقوع ما بعدها وتحقق معناه، فإذا وقع ما بعدها انقطع ما قبلها نهائيا. فالمثال السابق يعني أنني سأستمر في تناول الطعام إلى أن يحصل الشبع، فإذا حصل الشبع انقطع تناول الطعام.

ونحو: أقرأ الكتاب أو أتعبَ، فقراءة الكتاب تتطلب زمنا ما، فإذا حصل التعب انقضت القراءة بمجرد حصول التعب، ونحو: أنام الليل أو يطلعَ الفجر، ونحو: أصلي الصبح وأقرأ القرآن أو تشرقَ الشمس.

***

رابعاً: السؤال عن الابتداء والانتهاء في الغايات

أشير أخيرا إلى أن السؤال عن ابتداء الغاية أو انتهائها تناولته في باب السؤال، وهنا نقول أنه يمكنك تقدير المجيء بأي من الأساليب الدالة على الابتداء أو الانتهاء في جواب سؤال مقدر، فنحو: سهرت حتى طلوع الفجر، هو جواب لسؤال: حتى متى سهرت؟ ونحو: أقرأ الكتاب أو أتعب؟ في جواب نحو: إلى متى ستظل تقرأ الكتاب؟ ... وهكذا.

الفصل العاشر: ملحقات توضيحية

أتناول فيه مبحثين، الأول: كيفية النداء وأساليبه، والمبحث الثاني: التفضيل.

المبحث الأول: كيفية النداء

النداء: توجيه الدعوة إلى المخاطب؛ إما لأجل طلب إقباله، أو لتنبيهه للإصغاء، وسماع ما يريده المتكلم، وتوجيه نظره إلى أهمية مضمون الكلام الذي سيقوله، كما أن فيه إقامة جسر رابط بين المتكلم والمخاطب، ومشاركة وجدانية بينهما.

وغالبا ما يأتي بعد النداء أمر أو نهي، وقد يأتي غير ذلك، كالاستفهام، كما في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً}(مريم٤٢)، وقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ}(التحريم١)، والملاحظ أن الاستفهام يحمل معنى النهي والاستنكار في الآيتين. وقد يأتي بعده جملة خبرية، ثم يأتي بعدها جملة أمرية، كقوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ}(الحج٧٣)، وقوله: {وَيَا قَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ}(هود٦٤). وقد يأتي بعده جملة إخبارية، نحو: يا أيها الناس، إن النصر قادم.

١- حروف النداء:

وأشهر حروف النداء (يا)، وهناك حروف أخرى، وهي: أ، اَ، أيا، هَيَا، أيْ.

تقول: يا أحمد، أفاطمة، آهذا، أي علي، أيا زيد، هيا زيد.

ويصح أن تحذف حرف النداء (يا)، كقولك:عبادَ الله، اسمعوا وأطيعوا، (أي: يا عباد الله). ونحو: هذا، استمع لقول الناصح، (أي: يا هذا). وكقوله تعالى: {يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ

هَذَا}(يوسف٢٩)، أي: يا يوسف. وكقوله: {وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}(الأعراف٤٧).

والمؤمن ينادي ربه مباشرة، دون استخدام حرف النداء، فيقول: ربّ، ربَّنا... ولم يرد في القرآن الكريم مناداة المؤمن لربه إلا خاليا من حرف النداء، كقوله: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (سورة البقرة ١٢٧)، وقوله: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (سورة البقرة ٢٠١)، وقوله: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } (سورة البقرة ٢٨٦).

ولم تقترن (رب) بـ(يا) إلا إذا وليها جملة إخبارية، وليس طلبية، وذلك في موضعين: {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } (سورة الفرقان ٣٠)، وقوله: {وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ } (سورة الزخرف ٨٨).

**

٢- حكم المنادى:

المنادى حكمه الإعرابي بحسب نوعه، وأنواع المنادى هي:

(أ) العلم المفرد (أي كلمة واحدة)، نحو: محمد، علي، فاطمة، مصر، مكة، محمدان، فاطمات.

(ب) النكرة المقصودة. نكرة معينة بالنداء، كأن تشير إلى رجل فتقول: يا رجلُ. فاللفظ نكرة والمعنى معرفة. نحو: أن تنظر إلى القمر فتقول: يا قمرُ لا تفش سري. فالقمر نكرة لفظا، معرفة معنى[1].

---

[1] ومن الأمثلة الشعرية، قول الشاعر يخاطب طيرا معينا، (وهو نكرة مقصودة):

يا طيرُ - والأمثال تضرب للبيب الأمثل
دنياك من عاداتها ألا تكون لأعزل

(ج) النكرة غير المقصودة. نكرة غير معينة بالنداء، أي باقية على تنكيرها، فهي نكرة لفظا ومعنى.

(د) المضاف. الاسم المضاف إلى غيره، نحو: عبد المجيد، مسلمو العالم.

(هـ) الشبيه بالمضاف. اسم اتصل به اسم آخر يتم معناه، نحو: يا طالعاً جبلا، يا راكباً سيارة[1].

والمنادى المفرد، أو النكرة المقصودة، يبنيان على علامة الرفع، ولا يدخله التنوين. نحو: يا محمدُ، يا مصرُ، يا فاطمتان، يا رجلُ أقبل، ونحو: يا حسنُ بن علي[2].

والمناديات الأخرى كلها معربة نصبا، نحو: يا عبدَ الله، يا باغيَ الخير، يا راكباً سيارة.

وتابع المنادى ينصب، نحو: يا محمدُ كريمَ اليدين، وإذا كان التابع بـ(ال)، فيجوز نصبه ورفعه، نحو: يا محمد الكريمُ (أو: الكريمَ)، ومنه قوله:

---

[1] ومن الأمثلة الشعرية على الشبيه بالمضاف:

يا رافعاً راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيراً عن محبيها

وقوله:

يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً خذها من العلم أو خذها من المال

وكقوله:

يا شراعاً وراء دجلة يجري في دموعي تجنبتك العوادي

وهذا المثال فيه (شراع) نكرة وهو يقصد شراعاً بعينه، فيكون نكرة مقصودة غير أنه أخرج ذلك مخرج النكرة غير المقصودة لدلالة بليغة، وهي تصوير مدى حزنه وأساه. ومثله الأثر: يا عظيماً يرجى لكل عظيم، ويا حليماً لا يعجل، يصور فيه مدى استشعاره بعظمة ربه. ففي هذه الأمثلة أنت تنادى نكرةً قد تعلق بها ما بعدها؛ فهي لتعلقها بما بعدها تسمى (شبيهات بالمضاف)، وهي ليست مضافا إنما أشبهته من حيث المعنى، ويجب نصبها كما رأيت. ومثله نداء العدد، نحو: يا خمسةً وعشرين طالبا، أقبلوا على العلم.

[2] هذه الحالة، ونحو: (يا فاطمة بنة محمد) يجوز في المنادى وجهان: أن يبنى على الضم؛ لأنه مفرد علم، وأن يبنى على الفتح؛ وذلك حين يكون: المنادى مفرداً علماً، موصوفاً بـ(ابن) أو (ابنة) بلا فاصل بين العلم والصفة، وأن تكون كلمة(ابن . ابنة) مضافة إلى علم .كما في المثال.

أيا وطني العزيزُ رعاك ربي وجنبك المكاره والشرور

***

٣- الموصل الندائي لنداء ما فيه (ال)

إذا أريد نداء منادى فيه (ال) – نحو: الناس، الفتاة، الإنسان، أو اسم موصول مبدوء بـ(ال) – نحو: الذين، الذي، التي. أتي قبله بلفظ (أيها) للمذكر، و(أيتها) للمؤنث، أو يؤتى قبله باسم إشارة مناسب لما يليه تذكيرا وتأنيثا، إفرادا وتثنية وجمعا. وأسمي هذا: (موصل ندائي)، فهو يوصل النداء لهذه الألفاظ التي لا ندخل النداء عليها مباشرة.

ومن الأمثلة (أيها): {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ }[1] (سورة البقرة ٢١)، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} (سورة التوبة ٧٣)، {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ} (سورة الحجر ٥٧)، {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ } (سورة النمل ١٨)، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} (سورة البقرة ١٥٣)، { قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} (سورة الزمر ٦٤).

وأمثلة (أيتها): {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } (سورة الفجر ٢٧)، {ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} (سورة يوسف ٧٠).

وأمثلة (يا هذا...): يا هذا الذي حاز رضا الناس أرض ربك، يا هذه الموظفةُ أتقني عملك، يا هؤلاء المسلمات تقربن إلى ربكن، يا هؤلاء الذين أقدموا على المنكرات ارتدعوا، أيهذا الرجلُ أقبل.

وقد تحذف (يا)، كقوله: { سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ } (سورة الرحمن ٣١)، وقوله: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(النور ٣١)، وكقول المتنبي:

---

[1] نحو: (يا أيها الناس)، أختار إعراب (الناس) منادى، لا نعتا؛ لأنه هو المقصود بالنداء، و(أيها) موصل ندائي، يتوصل به إلى نداء ما فيه (ال). أما النحاة فيعربونه: (أي، وأية): مبنيان على الضم في محل نصب لأن كليهما نكرة مقصودة، و(ها) حرف تنبيه، و(الناس) نعت لأي، مبني على الضم.

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجافي عتاب

٤- أسماء لا ترد إلا في النداء

هناك أسماء وردت عن العرب لا تكون إلا منادى، وأشهرها: أبتِ، أمّتِ، اللهم، لؤمانُ، نومانُ، كقوله: {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً}(مريم٤٤)، ونحو: يا أمّتِ إني بك بار، ونحو: اللهم افتح علينا. وكقوله: { اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ } (سورة المائدة ١١٤)، ونحو: يا لؤمانُ، من أساء إلى غيره حاقت به إساءته. ونحو: يا نومانُ، الاعتدال في كل الأمور حميد.

٥- ترخيم المنادى

ورد في النصوص العربية ما يسمى بالترخيم، وهو: حذف الحرف الأخير من العلم عند ندائه، لداع بلاغي، ومن أغراض الترخيم البلاغية: التمليح أو الاستهزاء – أو التخفيف غالباً. فتنادي: يا عامر، يا منصور، يا زينب، يا محمد، فإذا رخمتها قلت: يا عامِ، يا منصُ، يا زينَ، يا محمَ. وفي القرآن الكريم قرئ في الشاذ: (ونادوا يا مالِ ليقض علينا ربك)، أي: يا مالك. [ويجوز أن يضبط آخر المرخم على الضم دائما، فتقول: يا عامُ، يا منصُ، يا زينُ، يا محمُ].

ويرد في الفصيح كثيراً نداء لفظ (صاح). (أي يا صاحب)، كقوله:

هلم يا صاحِ إلى روضة يجلو بها العاني صدا همه

وكقول المعري:

صاح هذي قبورُنا تَمْلأ الرُّحْبَ فأَينَ القبور من عهد عاد

٦- أغراض النداء البلاغية

أولاً: مع حرف النداء

كما عرفنا سابقا، أن بعض حروف النداء ينادى به القريب، وهو: الهمزة، وأي، وبقية أحرف النداء ينادى به البعيد. وهذا هو الظاهر، فالأب ينادي ابنه: أبني، أقبلْ. أو: أي بني. والرجل ينادي شخصا بعيدا: يا فلان، أو: هَيَا فلان. ومثل قول الشاعر:

هيَا غائبا عني وفي القلب عرشه أما آن أنْ يحظى بوجهك ناظري

ولكن المتكلم أحيانا قد يستخدم حرف النداء القريب لمناداة البعيد، ويستخدم حرف النداء البعيد لمناداة القريب. وذلك لغرض بلاغي ما، فقد تنادي البعيد بحرف نداء قريب؛ إشعارا بقربه منك، أو قربه من قلبك، أو كأنك تزعم أنه ليس ببعيد،

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر يخاطب قوما بعيدين عنه:

أسكانَ نعمان الأراك، تيقنوا بأنكم في ربع قلبيَ سكانُ

وقول جرير:

أبني حنيفة، أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

فهو يناديهم ويشعرهم بأنهم ما زالوا قريبين منه، وإلا فإن مصيرهم الهجاء، وحينئذ يكونون هم الأباعد.

وأما نداء القريب بحرف نداء بعيد، فقد يكون لعلو منزلة المخاطب، وكأن منزلته بعيدة عالية، وإما إشعار بأن المخاطب مجفو بعيد، أو أن درجته منحطة، إلى غير ذلك، ومن أمثلة ذلك، نداء المولى سبحانه، فنقول: يا ربنا اغفر لنا، مع أنه قريب منا. وكقول المتنبي يعاتب سيف الدولة:

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وكقول الفرزدق يخاطب جرير فينزله منزلة البعيد؛ تلميحا له بأن درجته منحطة:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ثانيا: مع المنادى

كما ذكرنا أن النداء يقصد به أساسا دعوة المخاطب إلى الإقبال إما بنفسه، وإما بذهنه، ولكن قد يخرج النداء عن هذا القصد، فيقصد به أمور أخرى، ومنها:

- الدعاء، كقولك: يا الله.
- التحسر والتوجع، وإظهار الأسى، كقول الشاعر يرثي معن بن زائدة:

ويا قبرَ معن كيف واريتَ جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا

وقول الآخر:

يا راحلاً أخلى الديارَ وفضله لم يرحل

- الزجر والملامة، كقول الشاعر:

أفؤادي، متى المتاب ألمّا تصحُ والشيب فوق رأسي ألمّا

وقوله:

إلامَ يا قلب تستبقي مودتهم؟! وقد أذاقوك ألوانا من الوَصَب

- التعجب، كقول شوقي:

أبا الهول طال عليك العُصُرْ وبُلّغْتَ في الأرض أقصى العمر

- الاختصاص، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"اللهم اغفر لنا أيتها العصابة"، أي: أخص العصابة.
- التحبب والتودد، كأن تقول لحبيب: يا حبيبي، وكقول الشاعر:

بالله يا ظَبَيات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

- التحقير، كقولك: يا لئيم الفعال، ويا سيء المقال.
- المدح، كقول الشاعر:

أيا قمراً تبسم عن أقاح ويا غصنا يميل مع الرياح

- العتاب، كقول المتنبي يخاطب سيف الدولة:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

وغير ذلك من أغراض.

المبحث الثاني: التفضيل

أولاً: معنى التفضيل:

من المعاني التي يريدها المتكلم: التفضيل، والتفضيل يعني أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر، سواء أحميدا حسنا كان المعنى أم ذميما قبيحا.

ولا ضابط لمقدار الاشتراك بين الشيئين، فقد يكون اشتراكا حقيقيا، نحو: القطار أسرع من السيارة، (فكلاهما سريع، ولكن أحدهما يفضل الآخر في سرعته). وقد يكون اشتراكا تقديريا، كقولهم في التهكم: أنت أعلم من الحمار، وكقول إنسان في عدوين له: هذا أحب إلي من ذاك، وهو لا يحب أحدا منهما، إلا أن واحد منهما أقل عداوة، فبغضه أقل. ومنه التضاد في الصفة، كقولهم: حاتم أكرم من مادر، والأول كريم والثاني بخيل، وكقول حسان لأبي سفيان حين هجا الرسول:

أتهجـــوه ولســـت لـــه بكـــفء فشـــركما لخيركمـــا الفـــداء

فالرسول صلى الله عليه وسلم كله خير، وأبو سفيان إذ ذاك كله شر، ولكن قال (فشركما لخيركما) فأوهم اشتراكهما في الخير والشر، وليس ثم أي اشتراك. ومثله قوله تعالى: {أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ} [التوبة: ١٠٩]، فلا شراكة بين الأمرين في الخيرية إلا على معتقد صاحب الضرار، كما قال الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة.

**

وقد لا يكون هناك اشتراك مطلقا إلا على المجاز، نحو: الثلج أشد بياضا من المسك، الصيف أحر من الشتاء، السكر أحلى من الملح، العسل أحلى من الخل. والمراد: الثلج في بياضه أشد من المسك في سواده، والصيف في حرارته أشد من الشتاء في برودته، والسكر في حلاوته أقوى من الملح في ملوحته....إلخ.

**

التفضيل لا يكون إلا حيث يوجد اشتراك ما بين الفاضل والمفضول، كما بينت، ومن ثم فلا يعد من التفضيل ما يلي:

(١) إذا وردت صيغة (أفعل) لبيان الوصف، كقوله تعالى: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ } [الإسراء: ٥٤]، أي: هو عالم بكم، وقال تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧]، أي: هين عليه؛ فلا مشارك لله في علمه، ولا تتفاوت المقدورات بالنسبة إلى قدرته. وفي الأذان: (الله أكبر)، فهو الكبير الذي لا يشاركه في كبره شيء، ومنه قول الشاعر:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

(أي: لم أكن عجولا)، ومنه قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

أي: عزيزة طويلة على اعتبار البيت هو الكعبة.

(٢) إذا قصد بصيغة (أفعل) بيان المفاضلة المجردة، بمعنى أنه لا يقصد من الزيادة والتفضيل تفضيل شيء على المضاف إليه وحده، وإنما يقصد مجرد التفضيل عليه وعلى غيره، كأن تقول: الدين أولى الأصول بالتمسك به، فأنت تقصد أن الدين هو الأولى بالاتباع فقط، وأما غيره فلا يتبع. وكقوله تعالى: {فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ } [التوبة: ١٣]، فالله هو الحقيق وحده بالخشية. وكقولك: محمد صلى الله عليه وسلم أفضل قريش، فهو أفضل من قريش ومن العالمين جميعا، والمراد: هو أفضل الناس – من قريش أي هو كونه من قبيلة قريش، فالإضافة هنا لمجرد التخصيص.

(٣) أن يؤتى بـ(أفعل التفضيل)، ثم يؤتى بعده بالمصدر المؤول، ويكون المراد من هذه الصورة نفي اتصاف الفاضل بما يدل عليه المصدر المؤول، نحو: فلان أجل من أن يكذب، أي:

هو أبعد الناس عن الكذب، ولا يمكن أن يتصف بهذا الخُلُق، ونحو: فلان أحقر من أن يقاومني، فالمعنى: هو حقير، وليس باستطاعته أن يقاومني، ومنه قول الشاعر:

الحق أكبر من أن تستبد به ... يد وإن طال في ظلم تماديها

وقول أبي العلاء المعري:

كأسُ المنيّةِ أولى بي، وأروَحُ لي، ... من أن أُكابدَ إثراءً وإحواجا

ومنه قول أحمد محرم:

لا شيء أعظم خزيا أو أشد أذى ... من أن يطاع الهوى أو يعبد الصنم

وقول الآخر:

ولأنْتَ أعرقُ في المكارِمِ مَنصِباً ... مِنْ أنْ تَبيتَ بغَيْرِها مَوصُوفا

ثانياً: أساليب التفضيل

١- ألفاظ دالة على الموازنة:

يمكن التفضيل باستخدام أي لفظ يدل على الموازنة، نحو: محمد يكبر عليا بسنتين، وزيد متقدم على أقرانه، ونحو: هذا الشيخ لا نظير له بين أقرانه . . .إلخ. ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت: ١٧]، أي: فضلوا اختيار العمى على الهدى. وقد يأتي بعد فعل التفضيل الاسم الدال على التفضيل فيه، ويسمى وجه التفضيل، ويكون منصوبا على التمييز، نحو: محمد يفوق زيدا علما وفضلا. وأنت تكبر أخاك درايةً بأحداث الحياة.

٢- التفضيل بـ(أَفْعَل)

وأما التفضيل الاصطلاحي فأشهر أساليبه هو التفضيل باستخدام أسلوب (أَفْعَل)، وله عدة صور:

الصورة الأولى: (أَفْعَلُ مِنْ)

وفي هذه الصورة يأتي الاسم الفاضل، ثم يأتي أفعل التفضيل مفردا مذكرا، ثم تليه (مِنْ)، ويأتي بعدها الاسم المفضول مجرورا، نحو: أنت أحسن من زيد، وكقوله تعالى: {إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا } [يوسف: ٨]، وكقوله: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } [القدر: ٣]، وقوله تعالى: {قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ} [الجمعة: ١١]. ودلالة هذه الأمثلة: التفضيل المطلق، فنحو: أنت أحسن من زيد، يكون المراد أحسن منه مطلقا، ما لم يعين السياق ذلك. ونحو: المال أحب إلى الشحيح من متع الحياة.

وتقول: محمد أحب للخير من علي، وأبغض للكذب من أخيه، [والأفضل: محمد أكثر حبا للخير من علي، وأشد بغضا للكذب من أخيه، كقوله: { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } (سورة البقرة ١٦٥)].

كما تفضل بهذه الصيغة بين حالين لشيء واحد، فتقول: (الجو صيفاً أحسنُ منه شتاءً)، ونحو: القراءة كتاباً أحسن منها حاسوباً [أي: القراءة في الكتاب أحسن من القراءة في الحاسوب]، ونحو: محمد شابا أفضل منه طفلاً.... إلخ.

أو تفضل حالين لشيئين مختلفين، نحو: زيد مبتسما أجمل من محمد ضاحكاً.

الصورة الثانية: (أَفْعَلُ)

وهذه الصورة كسابقتها، إلا أنه لا يذكر بعد أفعل التفضيل (مِنْ) والاسم المجرور بعدها، كقوله: {وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [القصص: ٦٠]. ويكون المفضول مفهوما من خلال السياق، وغالبا ما يقدر بالغير، أو الشيء الآخر، فالتقدير في الآية: ما عند الله خير وأبقى مما عندكم. ونحو: جاءت النكبات أحزن للفؤاد وأبقى للأسى، ونحو: الهجرة أجمل بالحر، ونحو: الحر أطلب للثأر وأدفع للإهانة.

وقد يذكر وجه التفضيل منصوبا على التمييز، نحو: محمد أكرم نفساً، وأطيب قلبا.

**

الصورة الثالثة: (الأَفْعَل)

وفي هذه الصورة يأتي الفاضل، ثم يأتي أفعل التفضيل مقترنا بـ(ال)، ولا يذكر المفضول عليه[1]، ويجب فيه مطابقة صاحبه في التذكير والتأنيث، وفي الإفراد والتثنية والجمع، نحو: أنت

[1] فلا يصح أن تقول: علي الأفضل من زيد. وأما نحو:

فهم الأقربون من كل خير وهم الأبعدون من كل ذم

فهذا ليس مما نحن فيه، بل هو الحرف الذي يتعدى به الفعل، والتقدير: (هم قريبون من كل خير)، كما يتعدى أحب بـ(إلى)، نحو: نحن الأحباء إلى الناس.

الأفضل، وهي الفُضْلى[1]. فالتفضيل هنا مطلق، ومنه قوله تعالى: {قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى} [طه: ٦٨]، {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الأعراف: ١٣٧]، وقوله: {وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا} [طه: ٧٥]، ومنه قول البردوني:

لمن أرعش الوترَ المجهدا وأشدو وليس لشدوي مدى؟
وأنهي الغناء الجميل البديع لكي أبدأ الأحسنَ الأجودا

وقول الآخر:

بهمتكَ الطولى بلغتَ إلى المنى وَذو الهمةِ القصرى يروحُ كما يغدو

وقول البارودي:

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أَرَ صَادِقاً فَأَيْنَ لَعَمْرِي الأَكْرَمُونَ الأَصَادِقُ؟

وقول جبران خليل جبران:

فما مثله بين الأبوة من أب وما مثله بين البعولة من بعل
وما في النساء الفضليات كزوجه ولا كبنيه الغر في صالح النسل

الصورة الرابعة: أن يضاف (أَفْعَل) إلى نكرة

وهنا يجب أن يكون أفعل التفضيل مفردا مذكرا، فتقول: محمد أفضل رجلٍ، [والمعنى: محمد أفضل من جميع الرجال إذا فضلوا رجلا رجلا]، ونحو: هند أفضل امرأة، والزيدان أفضل رجلين، والهندان أفضل امرأتين، وهؤلاء أفضل رجال، والهندات أفضل نسوة، أي: الهندات أفضل

[1] مؤنث (أفعل) هو: فُعْلَى، نحو: فُضلى، وكُرمى، فتقول: هند الفضلى والكرمى والحسنى، والمجدى، والرذلى والجملى، والطولى، من الفضل والكرم والحسن والمجد والرذالة والجمال والطول، فالصيغة مقيسة، وتقول: هي الضِّيقى (شديدة الضيق) والكوسى (كثيرة الكياسة).....إلخ. وتقول: وهما الأكرمان، والفتاتان هما الفضليان، وهم الأكرمون، وهن الفُضْلَيات.

من جميع النساء إذا فضلن نساء نساء – مجتمعات. فالمراد بالمضاف إليه إنما هو جنسه، ومثل: القلب أعظم عضو، أي: القلب أعظم الأعضاء عضوا[1].

ومن الأمثلة قوله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } [التين: ٤]، وقوله: {وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا }[الإسراء: ٢١]، وقد يأتي بعد الإضافة تمييز يبين وجه التفضيل، كقوله تعالى: {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا } [الكهف: ٥٤]. ومن الأمثلة في الشعر:

وأحسنُ وجهٍ في الورى وجه محسن وأيمنُ كفٍّ فيهم كف منعم

وقول أبي فراس:

يقولونَ لا تخرقْ بحلمكَ هيبةً وأحسنُ شيءٍ زَيّنَ الهيبةَ الحلمُ

الصورة الخامسة: أن يضاف (أَفْعَل) إلى معرفة

نحو: محمد أفضل القوم، وبالنسبة لـ(أفعل) فيجوز أن يلزم الإفراد والتذكير، ويجوز أن يطابق ما قبله فيهما[2]. كقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا } [الأنعام: ١٢٣]، فطابق بين (أكابر) وما أضيفت إليه، وكقوله: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ } [البقرة: ٩٦]، فأفرد وذكر(أحرص). وفي الحديث: (ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم منازل يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقا). ومنه قول شوقي:

قلْ للسَّماءِ تَغُضُّ من أَقمارها تحت الترابِ أحاسنُ الأقمار

وقول أبي فراس:

---

[1] لا يصح المجيء في هذه الصورة بـ(مِنْ) والمفضول عليه، فلا تقول: محمد أفضل رجل من غيره. وكذلك في الصورة التي تليها.

[2] فتقول على الإفراد والتذكير: عمر أعدل الأمراء، والعمران أعدل الأمراء، والراشدون أعدل الأمراء، وفاطمة فضلى النساء، وهما فضلى النساء، وهن فضلى النساء. كما يجوز أن تقول على المطابقة: عمر أعدل الأمراء، والعمران أعدلا الأمراء، والراشدون أعدلوا الأمراء، وفاطمة فضلى النساء، والفاطمتان فضليا النساء، والفاطمات فضليات النساء.

أصاغرنا، في المكرماتِ، أكابرٌ أوَاخِرُنَا، في المَأثُرَاتِ، أوَائِلُ

ونحو: أبو بكر أزهد الناس في الدنيا وأبعدهم عن الظلم.

الصورة السادسة:

هذه الصورة تخالف الصور السابقة، فيؤتى بالمفضول أولا، ثم يأتي (أفعل التفضيل)، ثم يعاد ضمير المفضول، ثم يأتي الاسم الفاضل، ولهذا أسميها (التفضيل بالقلب)، نحو: مررت بزميل أفضلَ منه أنت، فالمفضول (زميل)، وأعيد ضميره بعد أفضل (منه)، والفاضل هو (أنت). ومن الأمثلة: هؤلاء قوم ألأمُ منهم أنت. وهذه امرأة أطهرُ منها أختُك، وهذه الدولة أكثرُ تطورا منها دولتُكم.

***

٣- التفضيل بـ(أشد) وأخواتها

وقد يأتي التفضيل بصيغة (أشد، أكبر،...إلخ)، وبعدها المصدر الذي يراد بيان التفضيل فيه، منصوبا على التمييز، فهو وجه التفضيل، نحو: محمد أشدّ قوةً من زيد، والقلم أحسن كتابةً من الحاسوب، ومنه قوله تعالى: { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } (سورة البقرة ٧٤)، وقوله: { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } (سورة البقرة ١٦٥)، وقوله: { وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا } (سورة النساء ٨٤)، وقوله: { أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا } (سورة القصص ٧٨).

ونحو: الآلة أحسن استخراجا للمعادن من الإنسان. وتقول: فلان أكثر تعاوناً من أخيه، أو: أنفع تعاونا أو أقل أو أضعف.... حسب المعنى. وكقوله تعالى: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [الكهف: ٣٤]، وقد يحذف المفضول عليه، كقوله: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } [سبأ: ٣٥]، ففي الآية: نحن أكثر أموالا وأولادا من غيرنا الذين عذبوا.

وكقول الشاعر:

كِلاَنا غَنِيٌّ عَنْ أخِيه حَيَاتَه وَنَحْنُ إذَا مِتْنَا أشَدُّ تَغَانِيَا

وقوله:

ولما اشتدتِ الهيجاءُ كنا أشَدَّ مَخَالِباً، وَأحَدَّ نَابَا

وبالنسبة إلى الألوان فالراجح هو جواز التفضيل منها مباشرة، نحو: هو أبيض من أخته، وقد وردت كثيرا في الشعر، ومن الأمثلة قول المتنبي:

ابعد، بعدت بياضا لا بياض له لأنت أسود في عيني من الظلم

ويجوز التوصل إلى التفضيل بها بفعل مساعد، نحو: وجهك أشد سوادا من الليل.

ثالثاً: الاستفهام عن الأفضل

هناك أساليب عدة تستفهم بها عن الأفضل، منها:

- **الاستفهام بـ(أي)، نحو: أي هؤلاء أعلم؟ وأي القوم أفضل؟ وأي الرجلين أحب إليك؟ وفي القرآن الكريم: { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا } [مريم: ٧٣]، وكقوله: { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً } [الأنعام: ١٩].**

- **الاستفهام بـ(مَنْ)، وتقدم (مِنْ ومجرورها) على أفعل التفضيل، إذا وليها اسم استفهام، نحو: أنت مِمَّنْ أكبر؟ زيد مِمَّنْ أفضل؟ فلان مِنْ جار مَنْ أكرم؟**